أحمد محمد جمال
أستاذ الثقافة الاسلامية
بجامعة الملك عبد العزيز

مكانك تحمدى



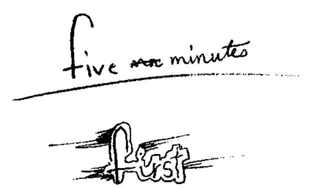




أحمد محمد جمال

أستاذ الثقافة الاسلامية
جامعة الملك عبد العزيز

مكانك تحمدي



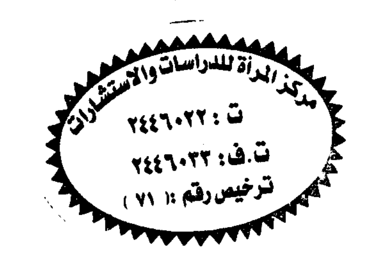
بسم الله الرحمن الرحيم

الفاتحة

● يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ، ولباس التقوى .. ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » .

● يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان ، كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما . أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم . أنا جعلنا الشيطان أولياء للذين لا يؤمنون » .

سورة الأعراف / ٢٦ ، ٢٧



مباحث الـكتاب

صفحة

تحية .. للطبعة الأولى

قرأ سعادة الاديب الكبير الأستاذ أحمد ابراهيم الغزاوى « مكانك تحمدى » فأملى علي بالهاتف هذه التحية الشعرية الرائعة :

لله درك من يراع ناطق — بالحق ينضح عنه فى تحليقه

نبراسه القرآن ، غير مكابر — فيه ، ودعوته الى تصديقه

* ★ *

ما كان من أحد ليجرأ سائلا — عن«أهل»صاحبه و«بيت»صديقه

بل لا يكاد من الحياء لسانه — فى ذاك يسعفه اللعاب بريقه

حتى الرعاع فانهم درجوا على — سنن النبى وصحبه وطريقه

لا يسألون عن«المقاصر» ما بها ؟ — والمرؤ لا يرضى فضول شقيقه

* ★ *

ادب الشريعة بينهم متمكن — والكل مستبق الى تحقيقه

واشد ما يبلى به ذو غيرة — ترويعه فى «عقره» و «عروقه»

★ * *

خير لنا التقوى وأكرمنا بها — من يحذر الحرمات فى تنطيقه

والمؤمنون الصادقون على هدى — من ربهم يمضون فى توفيقه

ومن العظات البالغات وراءنا — ما فيه مزدجر على « تزويقه »

احمد ابراهيم الغزاوى

١٣٧٨/٥/١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بين يدى الكتاب

هذا الكتاب اعددته من أجل الفتاة العربية ، فى كل بلد عربى ومن أجل الفتاة السعودية ، بخاصة .

كتبت فصله الأول .. عن طبيعة المرأة ووظيفتها ، وتخلل الكلام فى هذا الفصل ذكر تجارب الأمم من غيرنا فى اخراج المرأة عن طبيعتها التى فطرها الخالق تبارك وتعالى عليها ، وصرفها عن وظيفتها الأساسية التى خلقت لها ، وهى تمتاز عن الرجل بالقدرة والكيفية لأدائها كاملة وافية .

وفى الفصل نفسه حديث .. عن طبيعة الأسرة ، التى ارادها الله لها ، لتؤدى عملها ورسالتها فى الحياة الانسانية ، وعن شريعتها التى رسمها لها الاسلام ، فقرر حقوقها ، واثبت واجباتها ، واوضح مكانتها السامية فى المجتمع الانسانى الكبير . وفى هذا الفصل

اشارات موجزة عن موقف الديانات الأخرى من الأسرة عامة ، والمراة خاصة .. مما يتجلى به الفرق الفارق بين المكانتين !

وخصصت الفصل الثانى لدراسات ودروس عن المراة ، وسفورها واختلاطها تعليما وتشغيلا فى المجتمعات الغربية والعربية .

وجاء الفصل الثالث مجموعة من المناقشات والتعليقات والتعقيبات ، فى الموضوع ذاته .. وهى زيادة لايضاح ، واتمام لنقص ، وتصحيح لمفهوم خاطىء عن المرأة المسلمة ، ومكانتها الكريمة ، التى وضعها الاسلام فيها شقيقة للرجل واختا له ، واقامه هو الى جانبها أخا لها .. شريكا فى مسؤولية ورفيقا فى طريق ، وذائدا عن حمى !

ان الكتاب ، فى جملته ، دعوة صريحة مخلصة للمراة العربية المسلمة ، الى معرفة « حقيقتها » الضائعة او التائهة فى خضم التيارات الحضارية الغربية الحديثة . حقيقتها فى طبيعتها كأنثى ووظيفتها كزوجة وام .. والأم كما يقول حافظ ابراهيم :

الأم مدرسة اذا اعددتها

اعددت شعبا طيب الأعراق

وهو ــ اى الكتاب ــ نذير عاجل صارخ للفتاة السعودية .. أن تعود الى قواعدها سالمة ، بعد ان بدأ تيار التحلل والتفسخ يجرفها الى الهاوية .. ويخرجها عن طبيعتها ووظيفتها ، وينزع عنها تقاليدها الوطنية .. تقاليد المحافظة والاحتشام والحياء .

اننى اقول لها ــ كما هو عنوان الكتاب ــ : مكانك تحمدى مكانك فى دينك وعروبتك ووطنيتك .. لكى تستبقى مكانتك الرفيعة المنيعة ، وتنعمى باستقرار سعيد فى الأسرة ، واجلال كريم فى المجتمع .

مرة اخرى .. ايتها الفتاة السعودية ، مكانك تحمدى ، وتسعدى فى نفسك ، وتسعدى زوجك واولادك واسرتك كلها ومجتمعك ايضا . والله هو الموفق والمستعان .

* * *

كانت هذه مقدمة الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ — والآن بعد عشرة أعوام منذ صدور الكتاب فى طبعته الأولى ، وخلال هذه السنوات العشر التالية الخالية ، وعبر رحلاتى فى العالم العربى والاسلامى .. رأيت مزيدا من سفور المرأة العربية والمسلمة ، ومزيدا من اختلاطها بالرجل فى مجال التعليم ، وميدان العمل ، ومزيدا من تعريها جسدا وخلقا فى الشوارع والطرقات والاسواق ، وفى الأندية الرياضية والثقافية .

وعرفت — فى الوقت ذاته — فيما قرأت وسمعت ورأيت كثيرا من تجارب الأمم والشعوب العربية والاوروبية والامريكية ، فى التعامل مع المرأة تعليما وتشغيلا ، واختلاطا وسفورا .

ومن هنا كانت الرغبة فى نفسى ملحة على أن اعيد طبع الكتاب ، واضيف الى فصوله بعض الدراسات والمشاهدات الجديدة . وما دار بينى وبين عدد من الكتاب والقراء من تعقيب وحوار حول موضوعات الكتاب ، وحول ما يزعم « النسائيون » للمراة من تساو تام مع الرجل ، وما يطلبون لها من حرية ثقافية واجتماعية وعملية .. متجاهلين عمدا اختلاف الجنسين تكوينا وتفكيرا واستعدادا ، وهو الاختلاف الحكيم الرحيم ، الذى أراده الخالق القدير الخبير لمصلحة الأسرة ، والمجتمع ، والعالم .

وقد اضفت — مع ذلك — نماذج وتراجم لفريق من المسلمات الصالحات الغيورات .. اللاتى عرفن طبيعتهن ، وأطعن شريعتهن ، وادين وظيفتهن ، فكن المثال الرائع للنساء العاقلات الفاضلات .

✶ ★ ✶

وشىء آخر .. لا بد من اضافته الى المقدمة الجديدة ، وهو ما يتوهمه الطيبون خطأ ، ويزعمه — فى الوقت نفسه — الخبيثون عمدا . ذلك قولهم بأنى عدو للمراة ، لأنى اهتم بالكتابة عنها أكثر من غيرى ، واحرص على بقائها فى حمى الأسرة والبيت ، أكثر من سواى .

سألتنى جريدة (عكاظ) قائلة :

● للمراة حظ وافر من مقالاتكم وملاحظاتكم .. حتى اصدرتم حول المراة كتاب (مكانك تحمدى) فهل انت عدو للمراة كما يقولون ؟

● **فكان جوابى :**

يقال فى الأمثال المأثورة — عن العامة والخاصة معا : المطر له محب وله كاره ، ورضا الناس غاية لا تدرك — وكتابى : (مكانك تحمدى) ومحاضرتى : (رفقا بالقوارير) والثانية : (المرأة فى التشريع الاسلامى) ودراساتى ومقالاتى فى المجلات والصحف العربية والسعودية — نالت من رضا القراء وسخطهم الشىء الكثير .

وحسبى ان فريقا عاقلا فاضلا من قرائى — رجالا ونساء — قد رضى عنى فيما أكتب حول المرأة . وذلك من فضل الله على وتوفيقه اياى ، ويحضرنى هنا قول الشاعر القديم الحكيم :

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى

فلا زال غضبانا على لئامها !

أما ما يقال من انى عدو للمراة .. فهو كلام أطفال لا يعقلون شيئا ولا يهتدون . فالمرأة اهلى ، والمرأة أمى ، والمرأة أختى وابنتى وعمتى وخالتى . وقد كتبت بدافع الحفاظ على حيائها وابائها ، والخوف من انحدارها وبوارها تحت ستار التحضر والتحرر ، ودعوى المساواة — المستحيلة طبيعيا وشرعيا — مع الرجل .

والذى يقرأ ما كتبته وما أكتبه عن المرأة بعقل صاح وضمير نظيف .. يدرك بوضوح ، ويسلم بأيمان : ان من يدعو الى تعليم المرأة وتشغيلها فى نطاق ما خلقت له ، وفى محيط المرأة نفسها .. كالتعليم النسوى ، والتطبيب النسوى ، لا يعقل أن يكون عدوا للمراة . بل أنى اقوم بتدريس الطالبات فى جامعة الملك عبد العزيز مادة الثقافة الاسلامية ، عن طريق التلفاز ، واتلقى اسئلتهن وحوارهن بواسطة الهاتف خلال عشر سنوات تقريبا كما انى أصحح أوراق امتحانهن ، ويعجبنى صواب كثيرات منهن ، واخلاصهن فى الدرس والاستماع ، وفى الحوار والسؤال ، وفى الاجابة على اسئلة الامتحان .

كما لا يعقل أن يكون عدوا للمرأة من يسوق الأدلة والتجارب ، والدراســـات العلمية والاحصائية ــ من حيـــاة المرأة فى الغرب والشرق ، المرأة التى سبقت أختها السعودية الى التحلل والانفساخ من مبادىء الدين ، ومكارم الأخلاق ، وتقاليد الاوطان .. بدعـــوى المساواة المزعومة الباطلة طبعا وشرعا ، وباسم التحرر الخــاطىء ، والتطور الموبوء .

● و **(السعيد من اتعظ بغيره)** كما يقول المثل المعروف ــ وحسبى أنى أديت واجبى ، وابرأت ذمتى ، وأرضيت ضميرى . وكل همى ــ قبل ذلك ــ رضا ربى عما أقــول وأعمــــل ، وأنى لاتضرع اليه تبارك وتعالى مخلصا بما يبتهل به الصادقون الوجلون.

فليتك تحـــلو ، والحياة مريرة
وليتك ترضى ، والانام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عــــامر
وبينى وبين العـــالمين خــــراب
اذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب

احمد محمد جمال

مكة المكرمة ــ رجب ١٣٩٦هـ (يوليو ١٩٧٦م)

الفصل الأول

المرأة : طبيعة وشريعة

في هذا الفصل :

- طبيعة الانوثة ، رقة وضعف !
- ما يريده الاسلام من المرأة !
- وما يريده الخارجون على الطبيعة والشريعة !
- الاهتمام العالمى بالمرأة !
- بعض اخطائنا فى معاملة المرأة !
- حقوق المرأة ومسؤولياتها !
- تعليم المرأة وتشغيلها !
- الحجاب للمرأة : صون وكرامة !
- تشبه المرأة بالرجل !
- مقارنة سريعة !
- طبيعة الأسرة وشريعتها !
- مسؤولية الاسرة : انفاقا واخلاقا !
- تعدد الزوجات : شروطه ومنافعه !
- الشقاق والنشوز بين الزوجين !
- الطلاق فى مصلحة المرأة والرجل معا !
- الارث والوصية : تغذية لعواطف الاسرة !

الحديث عن المرأة المسلمة ، كما ينبغى أن تكون علما وسلوكا ضرورة ملحة ، وبخاصة فى هذه الفترة التى يستمر فيها الدس الذى يمكر به أعداؤها المتسمون — زورا وبهتانا — بأنصارها ، وهم فى واقع الأمر عاملون لافساد فطرتها ، وتعطيل وظيفتها ، وتشتيت أسرتها ، وبالتالى انحدار المجتمع الاسلامى كله الى مكان سحيق من الانحلال والضلال .

وذلك لأن المرأة اذا صلحت صلحت الأسرة ثم صلح المجتمع ، والعكس صحيح أيضا . وما أصدق حافظ ابراهيم فى قوله :

الأم مدرســـة اذا أعددتهـــا
أعـــددت شــــعبا طيب الأعراق

أجل .. فى هذه الفترة بالذات من تاريخ تطور المجتمعـــات الاسلامية يكثر الكلام عن تحرير المرأة المسلمة وتطويرها ، وتتعدد المحاولات والجهود المسمومة لتبديل خلق الله فيها ، وصرفها عن مكانها الذى رفعها الاسلام اليه : أما موقرة محترمة ، أو أختا عزيزة كريمة ، أو بنتا حبيبة أثيرة ، أو زوجة شريكة مصطفاة .

وفى هذه الفترة أيضـــا يتعـــاون الاستعمـــار والاستشراق والصهيونية والشيوعية — هذا الرباعى الماكر بالاسلام ، المتربص بالمسلمين الدوائر — على أن يجعل من (المرأة) فى دنيانا : القضية التى ليس لها فصل ، والمشكلة التى ليس لها حل، والداء الذى ليس له دواء ..

وذلك بأثارة الشبهات فى أذهان الشباب والطلاب المسلمين داخل الجامعات وخارجها .. حول المرأة زواجا وطلاقا وحجابـــا وتعدد زوجات .

ـ فالحجاب : رجعية وظلام !
ـ والطلاق : ظلم واستبداد !
ـ وتعدد الزوجات : حيوانية فى الرجل ، وهوان للمرأة !
ـ وقعود المرأة فى البيت : تعطيل لطاقة بشرية جبارة عن العمل .

وهى شبهات باطلة سنرى بهتانها بعد حين .

ما يريده الاسلام للمرأة :

ان الاسلام يريد من المرأة أن تبقى ـ كما هى فى فطرتها الاصلية ـ زهرة موقوفة على تعطير بيتها ، وجوهرة مصونة فى يد زوجها ، وينبوعا فياضا بالعطف والحنان ، والتربية السليمة القويمة لأولادها .

وما أبلغ تشبيه رسول الاسلام ـ عليه الصلاة والسلام ـ للنساء (بالقوارير) ودعوته الخيرة للرفق بهن فى قولته المشهورة : (يا انجشة .. رفقا بالقوارير)(١) .

ـ أجل رفقا بالقوارير .. دعوة للرجال بالعطف عليهن واللطف بهن .

ـ ورفقا بالقوارير .. تنبيها للرجال الى الحرص عليهن من الكسر والخدش ، كسر العرض الغالى ، وخدش الخلق الكريم .

ـ ورفقا بالقوارير .. زجرا للآباء والأزواج عن أهمالهن بدون تربية فاضلة ، وتأديب حسن .

ـ ورفقا بالقوارير .. نهيا عن القائهن فى تيارات الفتنة ،

---

(١) يقول الشريف الرضى : ان قوله صلى الله عليه وسلم لحادى مطيته يا أنجشة رفقا بالقوارير : استعارة شبه فيها النساء فى ضعف طبائعهن ، ووهن غرائزهن بالقوارير الرقيقة ، فنهاه عن أن يحرك بحدائه مواضع الصبوة منهن ، أو ينقض معاقد العفة .

ومجتمعات الرجال ، وهن ذوات الافئدة الهواء ، المغرورات بالثناء، وما أبلغ التنبيه القرآني الى طبيعة المرأة الرقيقة في قوله عز وجل : **(فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه مرض وقلن قولا معروفا)**(٢) وقوله : **(وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)**(٣) .

هكذا يريد الاسلام المرأة .. يريدها ذات دين ، ويريدها صالحة الخلق ، لتكون خير متاع الدنيا لزوجها ، وأفضل معلمة لولدها ، وأوفى راعية لشرف بيتها .

ان الاسلام يأمر الرجال — من أجل صيانة النساء من عبثهن : بغض أبصارهم عنهن في قوله عز وجل : **(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون)** (٤) .

ولنتأمل في قول القرآن : (ذلك أزكى لهم) فانه يرتب نتيجة على مقدمة . فالنظر المكرر الى المرأة الأجنبية باعث للغريزة ، ومثير للشهوة . وهذه هي المقدمة ونتيجتها الطبيعية اشتغال القلب بالحب الحرام ، ثم الاهتمام والسعي الى اللقاء الأثيم .

واكد الرسول عليه الصلاة والسلام هذا المعنى بقوله : **(النظرة سهم مسموم من سهام ابليس)** وقوله : **(لا تتبع النظرة النظرة ، فان الأولى لك والثانية عليك)** .

واذا كان مجرد النظر الى المرأة ، الذى يبدو بسيطا وسهلا لأول وهلة ـ يؤدى اذا تكرر الى الفسوق والفجور ، فكيف يكشف المرأة وجها وجسدا بين ايدى الرجال ، والاتصال بهم في مكاتبهم ، والاختلاط معهم في المعاهد والمنازه ومراكز العمل ، والسير الى جانبهم في الاسواق والطرقات ؟

---

(٢) و (٣) سورة الأحزاب/٣٢ و٣٣

(٤)سورة النور/٣٠

لا شك أن ذلك ـ بالنسبة لمجرد النظر ـ مقدمة أخطر ، ونتيجتها أفسق وأفجر ؟

ولا يكتفى القرآن الكريم بتوجيه هذا التحذير من النظر الى الرجال وحدهم ، بل أنه يوجه مثله الى النساء أنفسهن فيقول فى آية تالية لتلك الآية : (**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ..**)(١) لأن المرأة كالرجل فى طبيعة الانجذاب والاعجاب بالجنس الآخر . وهى مثله ذات فؤاد يحب ، وغريزة تشتهى ، بل هى أكثر عاطفة منه وأقوى شعورا ، وأسرع انفعالا بمظاهر الجمال وأسباب الفتنة .

ذلك ما يريده الاسلام للمرأة ومن المرأة !



أما ما يريده الخارجون على قانون الطبيعة ، المفسدون لنظام الفطرة ـ فهو أن تكون المرأة رجلا بأسم المساواة بين الجنسين ، وبدعوى أفتقادها للحرية والكرامة فى ظل سيطرة الرجل عليها . وهم فى الواقع ـ لا يبتغون من وراء ذلك الا أن تخرج من حماها المنيع ، وان تنزل من عرشها الرفيع ، وتنسلخ من فطرتها الرقيقة الى ميدانهم الصاخب ، لتنطبع بطبعهم ، وتعمل عملهم ، وتلهو لهوهم وتنساق أنسياقهم فى التلذذ والتهتك والانحلال .

أنهم يريدونها ـ بأختصار ـ سلعة ومتعة ، كما يريدونها (لصاقة ذباب) يضعون صورها فى أعلانات السينما ، وادوات الزينة والغسل والعطور ، وعلى أغلفة الكتب والمجلات . ويوظفونها فى مكاتب التجارة والسياحة .. لتجذب الزبائن كما تجذب اللصاقة الذباب .

---

(١) سورة النور/٣١

فهم يهينونها .. ويزعمون كذبا أنهم يكرمونها . وشتان بين ما يريده الاسلام ، وما يريده هؤلاء الخارجون على النظام .

الاهتمام بالأنثى

ان المرأة — اليوم هى الشغل الشاغل للصحافة والاذاعات والاندية والمؤتمرات فى العالم كله شرقيه وغربيه .. حتى زعموا أن عام ١٩٧٥ هو (عام المراة) تذكيرا بشأنها ، وبحثا فى حقوقها وواجباتها ، وسعيا لانصافها من ظلامتها .

ويجب أن لا نعجب من هذا الاهتمام العالمى بالمرأه لسببين :

الأول : أنها فى الحضارة الغربية الحديثة قد اخرجوها عن فطرتها الخاصة ، واشركوها فى متاعب العيش ومشاق العمل .. مع الرجل على سواء .

والثانى : وهو أمر يتعلق بنا نحن المسلمين أكثر من غيرنا — ان المرأة والدتى ووالدتك ، وأختى وأختك ، وزوجتى وزوجتك ، وأبنتى وابنتك ، وأى عاقل فاضل لا يهتم بماضى هؤلاء النسوة العزيزات الحبيبات وحاضرهن ومستقبلهن ؟

فى الحديث النبوى : **(الدنيا متاع ، وخير متاعها المراة الصالحة)** .

وفى الأمثال المأثورة عن الحكماء : **(المراة الجميلة دمية والمراة المتعلمة فاكهة . والمراة الفاضلة غذاء)** .

وحديثنا هنا عن أعداد المرأة لتكون صالحة وفاضلة ، وبعبارة الحديث النبوى .. لتكون خير متاع الدنيا .

يرمينا الغربيون — نحن المشارقة — بالرجعية فى تقاليد اعداد المرأة للزواج ، والرجعية فى أصطلاحهم تعنى الفساد والخطأ والظلم والظلمات .

فهل الزواج اليوم فى الغرب أسعد منه فى الشرق ؟ وهل نحن رجعيون الى الحد الذى يصفون به تقاليد الزواج فى بلادنا ؟ لن نرد عليهم فى بداية دراستنا عن المرأة بحجج من القرآن الكريم والحديث النبوى والتاريخ الاسلامى ، فهى حجج لا يؤمنون بمصادرها .

ولكننا سنرد عليهم بحججهم هم ، وتجاربهم ، وفلسفتهم عن المرأة .. وبتجارب الشرقيين الذين يحطبون فى حبل الغربيين ، الشرقيين الذين أشربوا حب الغرب وفلسفته وثقافته وتقاليده . ثم ننظر بعد ذلك كيف تكون تجاربهم وفلسفتهم مصداقا لتقاليدنا وشريعتنا الحكيمة !

يقول الفيلسوف الانجليزى الكبير برتراندرسل فى كتابه (الاخلاق والزواج) وأن الطريقة القديمة التى لا تزال قائمة فى بعض الاوساط والمجتمعات — فى اختيار الاسرة لزوجة الابن أو زوج الابنة هى التى تضمن السعادة الزوجية الدائمة .. وهكذا نرى أن المدنية الغربية التى سمحت بلقاء الرجال والنساء لقاء غير شرعى خارج دائرة الحياة الزوجية — قد ساهمت بقسط كبير فى عدم أسعاد الازواج وعدم منحهم نصيبا أى نصيب من راحة البال ، والاطمئنان على أعراضهم وذرياتهم ، ومستقبل حياتهم الزوجية — وهكذا نرى أيضا أن طريقة (الحب قبل الزواج) وهى من ولائد الحضارة الغربية الحديثة نظرية غير صائبة ولا ثمرة لها غير الفشل الذريع فى عملية الزواج .. وهنا يخطر فى البال ما يتردد من أمثال وفلسفات فى أعقاب النتائج السيئة للزيجات التى يسبقها حب وغرام ، كقولهم :

- الزواج الموفق هو الذى لا يسبقه حب .
- الزواج المبنى على حب سابق مصيره الفشل — لأن الحب

يحجب عن الخطيب مساوىء مخطوبته ، ثم لا تلبث أن تنطفىء حرارة الحب بعد الزواج فتنكشف هذه العيوب .

- نشوة الحب الى لحظة ، وشقاء الحب الى الابد .

- الحب بعد الزواج أطول عمرا .

- قال صينى لأمريكى : انكم عمليون حتى فى الزواج .. انتم تحبون ثم تتزوجون ، ونحن نحب بعد أن نتزوج — اليس هذا دليلا على الشك عندكم . والأيمان بالمستقبل عندنا ؟

وتحدثت زوجة سفير باكستان فى أميركا عن العادات الشرقية .. وهى أن المرأة فى باكستان تتزوج الرجل الذى يختاره لها والداها بعد ان يدرسا بتعقل وتمييز كل مزايا هذا الزوج ، كما أن الفتاة الباكستانية تنشأ نشأة تعدها لهذا النوع من الزواج ، بينما تتزوج الفتاة الامريكية عن حب فى سن مبكرة . ولكن لا يلبث هذا الزواج ان يفشل وينتهى بالطلاق ، وهى مشكلة خطيرة ، فهل العادات الشرقية رجعية الى الحد الذى توصف به أم ان فيها كثيرا من الحكمة كما يظهر لى ؟

اذن فنحن الشرقيين على صواب فى تقاليدنا التى تمنع أختلاط المراة بالرجل قبل الزواج ، وبالتالى تمنع الحب بينهما قبل ان يتزوجا .

واذن فتجارب الغربيين وفلسفتهم الأخيرة مصداق لا ريب فيه لتعاليم الاسلام ، حيث يسأل نبينا الكريم عليه السلام ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها اى شيء خير للمرأة ؟ فتقول **(ألا ترى الرجل والا يراها الرجل)** فيصدقها ويسر لجوابها ، وذلك يعنى بالطبع الرؤية والتلاقى خارج نطاق الزوجية المقدس .

ونسوق هنا نتيجة استفتاء اجرته مجلة (الجيل الجديد) كدليل عملى تجريبى على ان اختلاط الجنسين فى غير نطاق الزوجية المقدسة أحد موانع اعداد الفتيات والفتيان معا للزوجية الموفقة السعيدة .

اجرت مجلة الجيل هذه استفتاءها بين الف امرأة من مختلف

الطبقات ، بين مدرسات ومحاميات ، وطبيبات وربات بيوت ، وأمهات وعاملات ..

وكان موضوع الاستفتاء : ما هو سر أزمة الزواج ؟

وكان جواب ٧٥٩ سيدة وفتاة أن سر الأزمة هو الاختلاط بين الفتاة والفتى ، مما ينفر الشباب من الزواج ، ما داموا يجدون أنه من السهل الممكن أصطحاب الفتيات ومعاشرتهن .

وجاء جواب ٥٣٢ امرأة أن سر الازمة أنصراف الشبان الى اللهو والعبث وفرارهم من مسؤوليات الزوجية وتبعات الاسرة ، وهذا بالطبع مرده تيسر أرواء عواطفهم وغرائزهم بالاختلاط بين الجنسين .

وأجابت ٨٣ منهن ان نزول الفتاة الى معترك الحياة العملية ينفر الشبان من الزواج بالفتيات المشتغلات بالاعمال التجارية والوظائف الحكومية والاهلية .

هنا يجب أن نقف طويلا .. نتأمل ما تنطوى عليه أجابات هؤلاء النسوة عن امر يهمهن قبل الرجال .

اليس كلامهن تأييدا وتصديقا لما قاله الفيلسوف الغربى (برتراندرسل) عن خطر تلاقى الجنسين فى غير دائرة الزواج المشروع ؟ . بل اليس كلام الفيلسوف وأجابات هؤلاء النسوة الخبيرات بشؤونهن .. حجة عملية تجريبية على أن الاختلاط من موانع الاعداد للزوجية السعيدة ؟

واذا كان قوام الحياة الزوجية ــ كما هو معروف فى تعاليم القرآن ــ المودة والرحمة المتبادلتين بين الزوجين أو الشركة التعاونية بين الرجل والمرأة على حد تعبير كتاب العصر الحديث ، فكيف نضمن صلاح هذه الشركة التعاونية ، أو غرس المودة والرحمة بين الزوجين ونحن بسبيل اعداد المرأة للزواج ؟

هل يجد تلك الصلاحية للزواج ناشد العلم فى فتاة احلامه ام يجدها ناشد المال ؟ ام يجدها عاشق الجمال ام يجدها طالب الفضيلة ؟

يقول الكاتب الفرنسى مرسيل بريفو : **أن ما يجب أن ننشده فى الزوجة هو الفضيلة** .. لا الجمال ولا المال ولا العلم ، فالفضيلة مبعث الاخلاص والولاء وموطن العفة والحنان والتضحية . ولا يمكن ان يكون العلم وحده غاية الزواج لأن المرأة المتعلمة قد تفهمك وتقدر احساسك . وتشاركك تفكيرك ولكنها قد تكون معتدة بنفسها فخورة بعلمها . تتعالى عليك وتحقرك وتنغص صفو حياتك(١) .

أما المال فيجب الا يكون غاية الزواج ابدا لأن الرجل الذى يطمع فى مال زوجته يفقد رجولته ويبتذل كرامته . بقى الجمال وهو كما أراه فتنة عرضية سريعة الزوال » . ذلك ما يقولونه فى الغرب عما ينشدونه فى المراة . وهل نحن المشارقة المتهمين بالرجعية ننشد غير ما ينشدون ؟ كلا .. فذلك حكم الدين فينا ، وتلك أيضا طبيعة العنصر العربى خاصة والشرقى عامة لا نبغى المراة الا عفيفة كريمة مخلصة لزوجها وأولادها وبيتها .

ولكنهم فى الغرب لم يفيقوا من غمرتهم التى غرقوا فيها الى الاذقان حبا وغراما ومخادنة ومراقصة فى غير دائرة الزواج المشروع الا بعد أن ذاقوا مرارة النتائج والعواقب فى انهيار الاسر ، وتهتك الاعراض ، وانحطاط الآداب العامة . اذن فمن حقنا أن نقول فى كثير من الفخر والاعتزاز : (هذه بضاعتنا ردت الينا) .

ومن حقنا كذلك ان نعجب فى كثير من الالم والأسف ، من هؤلاء الشرقيين الذين مازالوا ينظرون الى مدنية الغرب نظرة احترام

---

(١) بدأت صحفنا المحلية تنشر الآن قصصا عن مآسى الزوجات المتعلمات .. اللاتى يقضين معظم يومهن فى مطالعة الكتب والصحف ، وانصراف أزواجهن الى السهر والسمر خارج البيوت التى لم تعد بيوتا .

واقتداء ، جاهلين ان أهلها قد بدأوا يتنكرون لها ، وناسين فى الوقت نفسه أن السعيد من اتعظ بغيره ..

ومهما يكن من الأمر .. فقد ظهر جليا أن صلاح الشركة التعاونية بين الأزاوج — بالتعبير الغربى — أو قيام علاقة المودة والرحمة بينهم — بالتعبير القرآنى — لا يضمن بكل ثقة وتأكيد الا باعداد المرأة اعدادا أخلاقيا لتكون زوجة فاضلة .

كما ظهر جليا أيضا أن العلم والجمال والمال وتقاليد المدنية الغربية فى الاختلاط بين الجنسين كل اولئك لا يساعد على اعداد المرأة لتكون زوجة .

* * *

ان الاسلام لا يحرم تعليم المراة . بل يحض عليه ويجعله فرضا عليها وعلى الرجل معا ، ولكنه لا يذهب بعيدا فى مدى تعليمها ما لا تحتاج اليه فى مملكتها الصغيرة .

فيجب أن نعلم المرأة ما تحتاجه فى امر دينها من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وما يسبق هذه الفرائض وما يتبعها من أركان وشروط .

كما ينبغى ان نرسخ عقيدتها الدينية ، ونقوى توجيهها الى السماء دائما ، لترتفع بأعمالها وعقيدتها وتضحياتها فى سبيل الزوج والاولاد عن المستوى الارضى المادى الحقير ..

وينبغى كذلك تعليمها كل ما تحتاجه فى بيتها من أعمال المنزل التى تفرض عليها الحياة الزوجية مباشرتها ازاء زوجها وأولادها من خدمة وتنظيم وتمريض واعداد للملابس والموائد وغيرها .

فوق ذلك نربيها التربية القويمة ، ونعودها الخلق الحسن ، ونسلك بها مسالك الاحتشام والاحترام حيث لا تعرف رجلا أجنبيا ، ولا تكلمه ، ولا تمازحه ، وحيث لا تقرأ الصحف والمجلات والكتب التى تتاجر بالصور العارية ، والقصص الغرامية الفاجرة .

بعض أخطائنا :

ليس معنى أعتراف الغربيين اليوم بسلامة تقاليد الزواج فى الشرق أننا برءاء من الخطأ فى بعض هذه التقاليد .

فنحن — لا ريب مخطئون حين نحجب الخطيب عن رؤية مخطوبته . والنظر اليها ، ونكتفى برؤية وسيطاته من أهل بيته ، فنظرة الرجل الى المراة ، غير نظرة المراة الى المراة كما أن نظرة المراة الى الرجل غير نظرة الرجل الى الرجل . .

والاسلام يهتم بهذا الاعتبار الجنسى — أى نظرة كل من الجنسين الى الآخر اهتماما بالغا ، وقد أوصى نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام المغيرة — أحد الصحابة — بالنظر الى مخطوبته وعلل ذلك بأنه أحرى أن يوفق بينهما بعد الزفاف : (أنظر اليها فذلك أحرى أن يؤدم بينكما) وفى الوقت الذى نجد فيه بعض الشرقيين يحرمون نظر الخطيب الى مخطوبته قبل الزفاف ، وقبل أبرام العقد . وبتحملون بسبب ذلك نتائج غير حميدة ، نجد أن بعضهم يبيحون اختلاط الخطيبين ، وأختلاءهما وخروجهما الى أماكن النزهة والسمر ويقعون فى نفس النتائج غير الحميدة الا أنها من نوع آخر . . فكثيرا ما يحدث الشقاق ويتبعه الطلاق فى زيجات الفريق الأول ، لان الزوج لم ينظر الى زوجته قبل الزفاف ويتعلق منها بشىء يحبه ويهواه أو يكون جمالها من النوع الذى لا يروق صاحبنا المظلوم الذى زوج بعين غيره . .

وكثيرا ما تنتهى فترات الخطوبة بالنسبة للفريق الثانى الى الاكتفاء والارتواء ، حيث يزل الخطيبان الزلة اللعينة تحت وطأة الغرام العارم ويجد الخطيب نفسه قد اكتفى من ناحيته وانه لا يثق فى مخطوبته من ناحية أخرى وتكون الضحية هى الفتاة . . ولرب

شهوة ساعة قد أورثت حزنا طويلا .. كما يقول الشاعر القديم .. بل ان كثيرا من الفتيات قد أنتحرن .. لأن فوارس أحلامهن الذين قضوا منهن وطرا نقضوا عهودهم بالزواج منهن !!

أرأيتم كيف نخطىء نحن الشرقيين فى بعض تقاليد الزواج بين أفراط وتفريط ؟

الا ما أجمل الاعتدال ، وما أحكم مناهج الاسلام !!

* ★ *

وهنالك من أخطائنا فى بعض بلاد الشرق : التغالى بالمهور والاسراف الذميم فى أقامة حفلات الزواج والتعالى الكاذب من اسرة المخطوبة على اسرة الخطيب ، واشتراط الشروط المادية او المظهرية دون البحث عن الدين والخلق كما يقضى منهاج الاسلام فى ما قاله صلى الله عليه وسلم : (اذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته ، فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) وأى فتنة ! وأىفساد أكبر من فساد فتيات كثيرات،واضطرارهن الى الزلات اللعينة داخل البيوت وخارجها .. بعد أن رد عنهن الخطاب وقفل امام أحلامهن الباب !

يقول فولتير : **(لئن كان الحب جزءا من حياة الرجل فهو كل حياة المرأة)** فلماذا لا نقدر حق المرأة فى الشعور بالحب البرىء وفى أن تحلم بزوج يسعد دنياها وأولاد يملأون بيتها زينة وبهجة ،وأملا فى امتداد العمر وعونا على جهاد الحياة .. ومتى كان هذا الشعور بالحب البرىء وأحلام الزوجية الهانئة وقفـا على الرجـال دون النساء ؟ الا ما أظلم الاباء والاولياء لفتياتهم المعضولات ! وما أجدر هؤلاء الفتيات بأن تزل أقدامهن تحت ضغط الحرمان المتعمد وتأثير المغريات القريبة والفتن الميسورة .

يجب علينا ونحن نكتشف أخطاء الغير فى تقاليد الزواج عندهم أن نصحح ما لدينا من أخطاء ، ويجب أن نبادر الى الاعتراف بحق المرأة فى الزواج ، كما نعترف بحق الرجل فيه على سواء .

وليس حق المرأة فى الزواج هو ما نفهمه من سوقها الى أقرب خطيب وفى سن مبكرة طلبا للخلاص من متاعب تربية البنات ، ومخاوف أبقائهن بدون زواج ، أو الموت قبل الصاقهن بأى زوج . فهذا خطأ آخر نجترحه ونحن متغافلون عن ثمرته المرة ، وغير متعظين بالتجارب المتكررة للزواج المبكر بالنسبة للفتى والفتاة على سواء ..

ان فتى العشرين وما دونها عندما يتزوج بفتاة الخامسة عشرة وما دونها لا يقدر كلاهما رسالة الحياة الزوجية حق قدرها ، ولا يفهمان من معانيها ولا يدركان من أسرارها ما يعينهما على الاتفاق والاتحاد ، واحتمال تكاليفها والتزاماتها ، ويساعدهما على التسامح والتغاضى عن الزلات والهفوات ، بل تظل نظرات كل منهما الى الآخر كنظرة الآمر الى المأمور وبالعكس ..

فالزوج الصغير يمثل — كما علمه أهله — دور الرجل الكبير الذى يجب ان يطاع اذا امر . والزوجة الصغيرة تمثل — كما علمها اهلها دور القطة المدللة . أنها تريد أن تظل فى بيت زوجها كما كانت فى بيت أبيها مخدومة مكرمة منعمة ! ولأهل الزوج هنا دور خطير .. دور القط بالنسبة للفأر ، فلا حرية ولا كرامة ولا حقوق عاطفية للزوجين الصغيرين الا فى حدود المراقبة والتربص أو الغمزات واللمزات .. من أعين أهل الزوج والسنتهم وآذانهم المفتوحة ودمعها أتقانا لدور القط مع الفأر ..

وحدث — ولا حرج — عن مصير الحياة الزوجية مع قيام هذه المنغصات التى يجب أن نضيف اليها عدم استقلال الزوج الصغير عن أهله وعدم قدرته على الانفصال بزوجته بعيدا عنهم .. بسبب عجزه المالى أو خوفه من غضب أبويه ، وينتهى الأمر الى الشقاق الدائم أو الطلاق الحاسم ..

ومرد هذا البلاء كله الى (العاطفة) الحمقاء ، عاطفة الخوف على البنت وعاطفة الفرح بزواج الابن .. مهما كانا غير صالحين

للزواج ، ومهما مرت التجارب المكررة ، ووقعت النتائج المريرة على مرأى ومسمع من هؤلاء الآباء والأولياء الحمقى ..

وإذن فنحن فى حاجة الى (عقل) يضبط زلات تقاليد الزواج فى بلادنا فلا يكون بيننا فريق يتغالى فى أمور الزواج .. وتقع الطامة على رؤوس الفتيات الناضجات ، فيكسدن ويفسدن ..

وفريق يتسامح ويتهاون مأخوذا بعاطفة الخوف على البنات أو عاطفة الفرح بزواج الأبناء ، وهم فى سن لا تؤهل الجنسين لحمل رسالة الزوجية الناجحة ..

وفريق يتجاوز الحدود المشروعة فى أمر الخطوبة فيحل الاختلاط والاختلاء بين الخطيبين ، حتى تقع الزلات اللعينة ويمتنع الأمل المنشود ..

وفريق يحرم الحلال فيمنع النظرة المباحة من الخطيب لخطوبته ، النظرة المحققة للوئام والاتفاق بينهما بعد الزفاف ..

نحن فى حاجة الى (عقل) يصحح هذه الاخطاء العاطفية فى تقاليد الزواج على ضوء ما شرعه لنا ديننا العادل الفاضل .

حقوق المرأة ومسئولياتها :

نتحدث هنا عن حقوق المرأة روحيا واجتماعيا واقتصاديا كما شرعها الاسلام :

ان المرأة تحظى بنفس الثواب والعقاب على ما تقدم من عمل صالح أو سيىء ، ومسئوليتها عن أعمالها كمسئولية الرجل امام الله وأمام الشريعة . وهذا ما يقرره القرآن الكريم :

● **(فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ..)[1] .**

● **(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ..)[2] .**

---

(١) سورة آل عمران : ١٩٥ .

(٢) سورة النحل : ٩٧ .

● **(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحـد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ‥)[1] .**

فهما متساويان فى الحساب عقابا وثوابا بلا تفريق ولا تمييز .

* * *

ومن الناحية الاجتماعية منع الاسلام ــ حماية لحق المرأة فى الحياة ــ وأد البنات ، وعاب على الجاهلية الأولى قتلهم البنات خوفا من العار أو خشية من الفقر . ففى القرآن الكريم :

● **(واذا المؤودة سئلت . بأى ذنب قتلت ‥)[2] .**

● **(ولا تقتلوا أولادكم خشية أملاق نحن نرزقهم وأياكم ، أن قتلهم كان خطئا كبيرا ‥)[3] .**

وفى نفس الوقت أوضح القرآن حقيقة (الزوجية) بين الرجل والمرأة .. بأنها شركة تقوم على المثلية والمودة والرحمة :

● **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ‥)[4] .**

ولم يقل ، لتستعلوا عليهن أو لتتخذوهن اماء وخدما ، أو لمجرد الترفيه والاستمتاع .. بل قال : انهن مخلوقات مثلكم ، ان الزوجية القائمة بينكم وبينهن هى سكينة ومودة ورحمة‥ولا تكون السكينة والرحمة والمودة الا بين المتماثلين المتحـابين المتعاونين من أجـل التناسل ، وعمارة الكون بالبشر المتعاقبين .

* * *

وكذلك منع الاسلام ــ تقريرا لحقوقها الاجتماعية ــ اكراهها على الزواج بمن لا ترضاه أو بمن ليس كفئا لها ، فقد جاء فى الحديث النبوى (لا تنكح الايم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن ــ قالوا :

---

(١) سورة النور : ٢ .
(٢) سورة التكوير : ٨ ، ٩ .
(٣) سورة الاسراء : ٣١ .
(٤) سورة الروم : ٢١ .

يارسول الله وكيف اذنها ؟ قال : ان تسكت)(١) ولكن هذا لا يعنى أن تركب الفتاة رأسها وترفض الزوج الذى يرضاه أبوهـا .. فالأب أعرف بمصلحة بناته وأبنائه وهو أكثر تجربة وخبرة بحقائق الرجال وقد جاء فى التوجيه النبوى أيضا « أيما امرأة أنكحت نفسها بغير اذن وليها فنكاحها باطل » .

أنما من حق الفتاة اذا تأكد لها أن هذا الخاطب أو ذاك لا يصلح لها لكبر سنه أو عدم كفاءته ، وأن أباها يريده لها زوجا طمعا فى ماله أو حبا لجاهه ، أو رعاية لقرابته ـــ من حقها أن تراجع أباهـا فى الأمر ، وأن تبدى له معارضتها مع بيان الأسباب الداعية لرفضها ، ففى حديث يرويه ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم أتته فتاة بكر تشكو أن أباها زوجها من ابن أخيه وهى كارهة له .. فخيرها الرسول بين الموافقة وفسخ الزواج .

كما يروى ـــ أيضا ـــ ان زوجة عثمان بن مظعون جاءته تشكو من ان عم ابنتها قدامة بن مظعون يريد أن يزوجها من عبد الله بن عمر ، وهى تريد المغيرة بن شعبة ، فقال له صلى الله عليه وسلم : (ألحق الفتاة بهواها) !

نقول ذلك ، لأن المرأة عاطفية بطبعهـا ، سريعـة التأثر والانفعال بفطرتها فقد تعجب بفتى ما لأول نظرة أو ابتسامة فتنخدع بمظهره ولا تدرى عن باطنه شيئا . وقد يزعم البعض هنا من رجال ونساء ـــ أن الزواج ينبغى أن يتم بعد تعارف وتحاب بين الخطيبين. وهذا خطأ كبير فقد أثبتت التجارب العملية أن الزواج الذى يتم بهذه الطريقة سرعان ما تنطفىء وقدة عاطفتـه بعد اللقـاءات الأولى ، وتنشب النزاعات والاختلافات ، وينكشف كل واحد منهما عـلى حقيقته ، وكثيرا ما تفرق الزوجان اللذان تحابا قبل الزواج ..

---

(١) رواه الجماعة .

ان الحب الخالد الراشد .. هو الذى ينشأ بعد الزواج ، وبسببه ، وثمرة له .. انه عندئذ يدوم وتزيده الأيام قوة ، ويضيف اليه الأولاد سعادة وهناء .

* * *

ومن الناحية الاقتصادية أعطى الاسلام المراة حق (الاكتساب) أى انها تكتسب حقوقها المالية كالرجل ، وتتصرف فيها مثله :
(للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن)(١).
ووسائل اكتساب الحقوق واحدة بالنسبة للجنسين : هى التملك بالشراء أو الارث أو الهبة أو الوصية - وغيرها ..

وانما جعل الاسلام نصيب المراة فى الميراث نصف الرجل فى قول الله تبارك وتعالى : **(للذكر مثل حظ الأنثيين)** لكون الرجل هو المسئول عن دفع المهر عند الزواج للمراة ، كما هو مسئول عن الانفاق على زوجته وأولاده منها أعاشة وتطبيبا وتعليما وكسوة وذلك لقاء أحتباسها له عن الزواج بغيره ، ومشاركتها اياه فى مسئولية الأولاد ورعايتهم ، وادارة شئون المنزل والأسرة. ولا يكلف الاسلام المراة الانفاق على الاسرة مهما كانت غنية ، ومهما كان زوجها فقيرا الا أن يكون ذلك منها مكرمة وفضلا .

ويلاحظ هنا : ان المراة قبل زواجها يلزم أبوها بالانفاق عليها، وبعد الزواج يلزم زوجها ، فان لم يكن لها أب ولا زوج يلزم أخوتها فان لم يكن لها أخوة فأقرباؤها .. وليس أنفاق الاقارب الاغنياء على اقاربهم الفقراء تفضلا أو تصدقا ، وانما هو حق قانونى يقابل حق التوارث بعضهم من بعض .

ولذلك ترى الدكتورة بنت الشاطىء - عائشة عبد الرحمن - ان المراة فى الواقع أكثر من الرجل امتيازا ، ذلك انها ترث نصف

---

(١) سورة النساء : ٣٢ .
(٢) سورة النساء : ١١ .

ما يرث الرجل ، ولكنها ترث هذا النصف معفى من كل تكليف حتى تكليف الانفاق على أبنائها ، بل أن المرأة فى كل حالاتها بنتا أو زوجا أو أما غير مكلفة شرعا بأن تسعى على رزقها ، وأنما المكلف بالانفاق عليها فى جميع تلك الحالات أقرب رجل من أهلها .

* * *

ومن الحقوق الاقتصادية للمرأة — فى الاسلام — ان تعمل عملا مناسبا لأنوثتها عندما تضطرها الحاجة الى العمل .. وان كان الاسلام يؤثر بالدرجة الأولى ان تتفرغ المرأة لأهم عمل انسانى اختارتها له طبيعتها الخاصة ، وهو الزوجية الصالحة ، والامومة الراعية . فانشاء الأجيال أو تربية النشء على أسس علمية صحيحة اعظم واكرم للمرأة نفسها وللمجتمع ايضا من اى عمل تباشره خارج البيت ويستطيع الرجل أن يسد مسدها فيه .

ولقد كان العرب قبل الاسلام لا يورثون المرأة بل يخصون الرجل بالميراث كله ، بدعوى أن المرأة لا تحارب مثله فى سبيل جمعه عن طريق الاغارة كما هى عادة العرب قديما أو لأنها لا تبذل فى تحصيله جهدا عن طريق العمل التجارى ، وكذلك كان شأنها فى القوانين الرومانية القديمة .

ولم يكن وضع المرأة فى القوانين الغربية الحديثة بأفضل من وضعها فى القرون السابقة على الاسلام يقول جوستاف لوبون : (ان مبادىء الميراث فى الشريعة الاسلامية على جانب عظيم من العدالة والانصاف . وبمقابلتها مع القوانين الفرنسية والانجليزية نجد أن الاسلام منح المرأة حقوقا لا نجد مثلها فى قوانيننا) .

* * *

ولا يفوتنا — ونحن نتحدث عن احترام الاسلام لانسانية المرأة وتقريره حقوقها الانسانية المماثلة لحقوق الرجل — ان نشير بأيجاز الى مظهر من مظاهر هذا الاحترام الاسلامى لانسانية المرأة وهو

تحريمه للزواج المؤقت ــ أو زواج المتعة ــ اذ أن التوقيت فى الزواج يفسد أهدافه الأساسية ، ويبطل مصالحه الدائمة ، ويجعل المرأة مجرد (متعة) للرجل ينبذها بعد أن يقضى منها حاجته ، فى حين أن عقد الزواج ــ كما يريده الاسلام ــ ميثاق غليظ كما يسميه القرآن : **(وأخذن منكم ميثاقا غليظا)**(١) والزواج نفسه كما يصفه القرآن أيضا : سكن ومودة ورحمة ، ولا يتحقق السكن والمودة والرحمة فى زواج مؤقت تتخذ فيه المرأة متعة أو سلعة ، ويضيع الاولاد ويتشردون ، ويتقوض بنيان الاسرة الذى اراده الله متينا مكينا ، وكره عز وجل أن يهدمه اى هادم حتى الطلاق لولا أن ظروف الزوجين من اختلاف أو كراهية قد تجعله مصلحة راجحة على مصلحة البقاء على شقاق وبغضاء بين الزوجين .

قال صلى الله عليه وسلم : (أيها الناس انى قد كنت أذنت لكم فى الاستمتاع بالنساء وأن الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شىء فليخل سبيلها ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) وفى رواية عن الامام على رضى الله عنه : (ان النبى صلى الله عليه وسلم قد نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل الحمر الانسية) ــ كما روى أن عمر بن الخطاب خطب النساء يوما وذكر نهى الرسول عن نكاح المتعة ثم قال : (لا أجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة .. فقد هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث) .

وكذلك : من مظاهر تكريم المرأة وصيانة انسانيتها تحريم الاسلام (للزنا) لأنه يجعل من المرأة مجرد سلعة للبيع والشراء ، وللاجارة والاستئجار وقد سماه القرآن (فاحشة) فى قوله عز وجل **(ولا تقربوا الزنى .. انه كان فاحشة وساء سبيلا)**(٢) .

---

(١) سورة النساء : ٢١ .

(٢) سورة الاسراء : ٣٢ .

تعليم المرأة وتشغيلها

يرسل النسائيون الدعاوى العراض الطوال عن جهل المرأة المسلمة ، ويزعمون زورا : أن الاسلام يحرمها من التعـليم ، أو يحرمه عليها . مع أن الاسلام لا يحرم تعليم المرأة بل يحض عليه ويدعو اليه ، ويجعله فرضا كما هو فرض على الرجل .

ولكنه لا يذهب بعيدا فى مدى تعليمها مالا تحتاج اليه فى بيتها ، ومعاملة زوجها ، وتربية أولادها ، وشئون دينها . فعلى المرأة — فى نظام الاسلام — أن تتعلم أحكام دينها وأركانه وواجباته وعباداته من صلاة وزكاة وصيام وحج وغيرها .

وعلى المرأة — كذلك أن ترسخ عقيدتها الدينية وتتوجه الى السماء دائما لترتفع بأعمالها وعباداتها وتضحياتها فى سبيل الزوج والاولاد عن المستوى الأرضى المادى الحقير .

وفى قصص أمهات المؤمنين من زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسيرة النساء الاوائل فى تاريخ الاسلام من زوجات الصحابة والتابعين ومن تبعهم بأحسان : أمثلة رائعة ونماذج مشرفة لعلم المرأة المسلمة وخلقها وأدائها لوظيفتها الطبيعية التى خلقها الله من أجلها .

ولكن الاسلام — وهو يحث المرأة على التعلم — يريد منها أن تتعلم كل ما تستطيع أن تعلمه بدورها لمثيلاتها من النساء ، فتنفع به بنات جنسها : كالطب النسائى ، وطب الاطفال ، والتمريض ، والتوليد ، والتدريس فى معاهد البنات ، وادارة هذه المدارس النسائية . حيث تؤدى خدمة انسانية ووظيفة نافعة من ناحية ، وحيث تؤمن فتنتها والفتنة بها من ناحية آخرى اذ تؤدى عملها فى محيط نسائى خاص .

والاسلام يحث على تعلم المرأة لمصلحة بيتها وأولادها ،

فأولاد الأم المتعلمة تتوفر فيهم عادة الصحة والذكاء ومكارم الاخلاق، لأنهم يعيشون مع أم تغذيهم فكريا وعاطفيا وخلقيا .

ان المرأة ـ كالرجل ـ ميزتها وقيمتها الخلق لا العلم . بل ان الخلق الحسن فى المرأة مرغوب ومطلوب أكثر منه فى الرجل .. لأنها مناط العفاف والشرف والكرامة بالنسبة للزوج والاولاد والاسرة كلها . بل أنها كما يطلق عليها فى بلادنا : (عرض الرجل) يحمد به أو يذم ، وليس الرجل عرض المرأة تمدح به أو تعاب .

ولا أدل على ذلك من أن المرأة اذا زلت لم تغفر زلتها ، وأصبحت لازمة لها طوال عمرها . ولا كذلك الرجل الذى يزل ، فهو مغفور الزلة ولا تأثير لزلته على زواج جديد اذا أراد .

قوامة .. لا سيادة :

وقوامة الرجل على المرأة فى الاسلام هى لأجل رعايتها وتفريغها لرسالتها : فقد عرفنا كيف انحطت مكانة المرأة فى الحضارات السابقة على الاسلام . كما رأينا أخطاء الحضارة الحديثة فى نظرتها الى المرأة ومعاملتها ، ومنحها حرية أوسع مما تطيق ، وحقوقا أكثر مما تستحق ..

أما الاسلام ـ النظام الآلهى الرائد الحكيم ـ فقد جاء ليضع المرأة فى المقام الكريم ، الى جانب الرجل بدون تمييز فى حق ، ولا فى واجب : لها مثل ماله ، وعليها مثل ما عليه الا درجة واحدة هى درجة القوامة والرئاسة .. التى لا تخل بحقوقها ولا تحرمها من كرامتها ولا تنقص من انسانيتها شيئا . وانما هى (قوامة) لا بد منها لتدبير شئون البيت وتربية الاطفال . بحكم ما وهب الله الرجل من قوة وصلابة واحتمال الشدائد والمتاعب ، وقدرة على حماية زوجته وأطفاله ، ولأنه هو المنفق على شئون البيت وعلى الزوجة والاولاد ـ يقول الله عز وجل :

● **(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على**

بعض ، وبما انفقوا من أموالهم)(١) .

● **(.. ولهن مثل الذين عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ..)(٢) .**

وشأن هذه القوامة — للرجل على المرأة والاولاد والبيت — شأن (الرئاسة) اللازمة لكل جماعة مهما قل عددها فنحن نرى أنه لا بد من رئاسة أو قوامة لكل مؤسسة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو تربوية(٣) .

فأى شركة اقتصادية لا بد لها من رئيس واحد وأى مؤسسة اجتماعية لا بد لها من مدير واحد ، وأى معهد علمى أو مدرسة ثقافية لا بد لها من مشرف واحد ، وأية حكومة أو هيئة سياسية لابد لها من رئيس مسئول عنها .

وهكذا كل عمل جماعى .. لن يستقيم أمره ولن يتحقق نجاحه ولن يؤتى ثماره الا عندما تسند رئاسته الى واحد من الجماعة التى تشترك فيه يكون مسئولا عن ادارته وقيادته والسير به الى الغاية المرجوة منه .

وهل الاسرة الا اهم مؤسسة اجتماعية والا أخطر عمل جماعى يحتاج الى قوامة رشيدة ، ورئاسة قوية حازمة ، والى رجل مسئول عن رعايته وتوجيهه وأصلاحه وتحقيق سعادة أفراده من زوجة واولاد — واخوان واقارب ؟

● قال عليه الصلاة والسلام : **(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها) .**

---

(١) سورة النساء : ٣٤ .

(٢) سورة البقرة : ٢٢٨ .

(٣) حتى السفر لابد فيه من قوامة . يقول صلى الله عليه وسلم : « اذا خرج ثلاثة لسفر فليؤمروا أحدهم » .

ولنلاحـــظ جيدا تعبير القرآن (بالقوامـــة) وأنـــه لم يعبر (بالسيادة) فهو لم يقل : ان الرجال أسياد على النساء ولم يقل : ان الرجال أرباب للنساء . وانما قال : (قوامـــون) أى رعـــاة ومسئولون عنهن حماية ووقاية وتدبيرا لامورهن — وتأكيدا لذلك أردف الايه الاخرى : **(ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ٠ وللرجال عليهن درجة)** .

اذن فلا ضير من قوامة الرجل على الاسرة ، فهو أحق بهـــا وأهل لها ، وهو أقوى عليها ، وأقدر فيها من غيره وبخاصة عندما ينظر الى المرأة التى هى شريكته فى مسئولية الاسرة ، فيراها تقوم بعبء ثقيل ، وواجب جليل ، وعمل خطير .. وهو حضانة الاولاد وتربيتهم .. الأمر الذى لا يترك فرصة أو فراغا لتكون مسئولة عن التوجيه والحماية والانفاق — ولذلك جعلها الاسلام راعية — مثل الرجل — ومسئولة عن شئـــون رعيتها ، كما قال عليه الصـــلاة والسلام .

وشأن قوامة الرجل فى البيت شأن كل الرئاسات لا تعطيه حق الاستبداد برأيه فى شئون الاسرة وتربية الاولاد . بل من حقها — أى الزوجة — أن يشاورها ويأخذ برأيها اذا كان صوابا .

وحسبنا أن نقرأ .. عن مكانة المرأة وحقيقة وضعها الانسانى قوله عز وجل : **(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ..)**(١) أى أن المرأة كالرجل فى حقيقة التكوين الانسانى ، فهى من نفس الرجل .. لم تخلق من مادة أخرى أقل أو أحط من المادة التى خلق منها — فلها نفس الحقوق ، وذات الواجبات ، وعين الكرامة التى للرجل ٠

ويكرر القرآن بيان هذه الحقيقة التكوينية للمراة فى عدة مواضع منه ، وفى التوجيهات النبوية **(انما النساء شقائق الرجال)**(٢)ويكرر

---

(١) سورة النحل : ٧٢ ٠

(٢) أخرجه الامام أحمد فى مسنده ٠

الرسول عليه الصلاة والسلام الايصاء بهن فى قوله : (**أتقوا الله فى النساء — لا يفرك مؤمن مؤمنة أن كره منها خلقا رضى الآخر**) .

* * *

ولقد أمتدح المستشرق (دى أمسيس) وضع المرأة الشرقية فهى كما يقول (تعامل معاملة كريمة ، فلا أحد يستطيع أن يرفع يدا على المرأة فى الطريق ولا يتجرأ جندى أن يسىء الى أشد النساء بذاءة لسان ، حتى أثناء الشغب . وفى الشرق بلغ الاهتمام بالأم درجة العبادة . وفى الشرق لا تجد رجلا يقدم على الاستفادة من كسب زوجته ، والزوج هو الذى يدفع المهر والزوجة اذا طلقت أو هجرت أعطاها الرجل نفقة لتعيش عن سعة) .

الحجاب للمرأة صون وكرامة :

أما ما يتراءى — للنسائيين — من أن الحجاب: رجعيةوظلام، فهو زور وبهتان . وقد شرعه الاسلام — بل أقره لأنه كان موجودا ومشروعا فى الأديان والحضارات السابقة[1] تكريما للمرأة وصيانا لعرضها وبعدا عن تعرض المنافقين والمفسدين وأذى الخلعاء والرقعاء : (**يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين : يدنين عليهن من جلابيبهن . ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**)[2] .

فحجاب المرأة وتسترها دليل على حيائها وعفافها ، ومانع لاصحاب القلوب المريضة من التصدى لها بالاذى والكلام الرخيص على عكس المرأة المتكشفة المتهتكة ..التى تدور بنظراتها فى وجوه الرجال ويدورون هم بنظراتهم فى وجهها وترفع صوتها بالكلام اللين لتلفت أسماعهم اليها ، فأنها تغرى بذلك العشاق الفساق بالتعرض

---

(١) يقول بولس الرسول — فى سفر التكوين : ٢٣ و ٢٤ — :(ان النقاب شرف للمرأة) .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٩ .

لها والطمع فيها . . ثم مبادلتها نظرا وكلاما . فموعدا فلقاء ثم اختلاطا فأفسادا للاعراض وانتهاكا للحرمات . وذلك ما يحرص الاسلام على تطهير الاسرة المسلمة من أوضاره واقذاره . كمرحلة أولى لتطهير المجتمع الاسلامى كله من أوباء السفور ، ومساوىء الاختلاط بين الجنسين .

وقد نص شيخ الاسلام ابن تيمية — فى فتاويه — على وجوب احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب ، كما قال أصحاب الامام احمد بتحريم النظر الى الأجنبية ولو من المجبوب وهو الذى لا رغبة له فى النساء .

وانما أبيح النظر للرجل بقصد الخطبة وحدها ولمرة واحدة . وجاء هذا المعنى فى التوجيه النبوى : **(أنظر اليها فذلك أحرى أن يؤدم بينكما)** اى يحقق الوفاق والمودة بين الخاطب وخطيبته بعد زواجهما . ولم يبح الاسلام باسم الخطبة أن يتكرر التقاؤهما قبل العقد سواء أكان ذلك بحضور الأهل أو فى غيبتهم لأن الضرورة التى أبيح من أجلها النظر قد انتهت ، وتحققت الرغبة فى الزواج بأتمام اجراءاته .

وذكر الامام ابن تيمية — فى المنهاج — اتفاق المسلمين على منع خروج النساء سافرات الوجوه لأن النظر مظنة الفتنة — كما جاء فى نيل الاوطار — شرح المنتقى — الاتفاق على منع خروجهن سافرات الوجوه ، لا سيما عند كثرة الفساق .

وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : **(كان الركبان يمرون ونحن مع رسول الله محرمات ، فاذا حاذونا أسدلت احدانا جلبابها من رأسها على وجهها ، فاذا جاوزونا كشفناه)**(١) .

---

(١) رواه أحمد وابو داود وابن ماجه .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يصرف وجه الفضل بن عباس ، وكان رديفه فى حجة الوداع — عن النظر الى امرأة من خثعم جاءت تسأل الرسول عليه الصلاة والسلام . وقال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم : أن من فوائد هذا الحديث تحريم النظر الى الأجنبية ، ونقل الامام العينى ان الخثعمية سدلت على وجهها ثوبا . كما قال الحافظ بن حجر — فى فتح البارى شرح صحيح البخارى — عندى أن فعل الرسول اذ غطى وجه الفضل أبلغ من القول ، وفى صحيح مسلم أن جرير بن عبد الله البجلى سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة ، فقال له أصرف بصرك ، وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الفجر ، فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات بمروطهن ما يعرفهن أحد من الناس — ولو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء ما رأينا لمنعهن من المساجد) .

واذا كان ذلك فى أفضل القرون ، وقريبا من عهد النبوة الأفضل والأمثل فكيف بزماننا الذى ضعف فيه الوازع الدينى وقل فيه الحياء، وتعددت فيه الوسائل والمظاهر التى تساعد على الاختلاط والافتتان ؟ ان وجوب الحجاب يكون اذن الزم وأحزم لمنع الفساد الخلقى ، كما يكون أكرم وأسلم للمرأة المسلمة من التبذل والضياع .

ولذلك اكد القرآن — مع أمره بالاحتجاب فى آية الجلباب التى سبق ذكرها — أمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج : **(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ..)**(١) .

وحسبنا قول الله عز وجل ، الذى خلق الذكر والانثى ، وهو

---

(١) سورة النور : ٣٠/٣١ .

أعلم بفطرتهما التى فطرهما عليها من حب كل منهما وميله الى الآخر : (ذلك أزكى لهم) أى أن غض البصر — ومن باب أولى عدم الاختلاط — أطهر لقلوبهم ولاسرهم ولمجتمعاتهم من أرجاس الشـــهوات الى لا تثمر الا أنتهاك الاعراض المحرمة ، واختلاط الانساب المصونة .

وحسبنا أيضا تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم حتى من أقرباء الزوج من أخوة أو أبناء عم أو أبناء خال .. فى قوله (اياكم والدخول على النساء) فقال رجل من الانصار (أرأيت الحمو ؟ قال الحمو الموت) أى يجب أن يخاف كما يخاف الموت(١) .



وان كان لا بد من الاستشهاد بآراء بناة الحضارة الحديثة فى موضوع الحجاب فليكن رأى المفكر الانجليزى (برتراند راسل) الذى يقول فى كتابه (الأخلاق والزواج) هناك شرط مهم يساعد فى دعم الحياة الزوجية .. ذلك هو خلو الحياة الاجتماعية من النظم التى تسمح بالمصادقة والمخالطة بين المتزوجين من الرجال والنســاء .. سواء فى العمل أو فى المناسبات والحفلات وما شاكلها — أن العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من رجال ونساء خارج دائرة الحياة الزوجية هى سبب شقاء الازواج وكثرة حوادث الطلاق . وليس عسيرا أن نجمع أمثلة كثيرة عن البيوت التى أنهارت بسبب أتصال الازواج والزوجات بغير شركائهم فى الحياة الزوجية .. سواء فى العمل أو فى المناسبات الاجتماعية .

(وبرتراند راســل) برأيــه هــذا القوى الصريح يرد على دعاة الاختلاط بين الجنسين فى التعليم والتشغيل — ويجعل الحياة الزوجية السعيدة الموفقة رهنا بعدم الاختلاط بينهما فى غير نطاق الزواج المشروع .

---

(١) رواه الشيخان والترمذى — والحمو : أخ الزوج أو ابن عمه أو ابن خاله.

تشبه المرأة بالرجل :

لو افتتحنا الحديث هنا بالتوجيه النبوى الكـــريم : (لعن الله المتشبهات من النسـاء بالرجال) أو بالحديث الآخر : (لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل ، ولعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة) لقال حملة دعوى المساواة بين الجنسين : يا لها من رجعية بالية ! أننا فى القرن العشرين الذى تستحق فيه المرأة المسترجلة الرحمات لا اللعنات ، القرن العشرين : قرن المساواة بين الرجل والمرأة فى كـــل شئ ، القرن العشرين قرن العدالة والحرية والنور !

فلنذهب اذن مع هؤلاء فى طريقهم طريـــق القرن العشرين ، وتجارب القرن العشرين .

★ تقول الليدى أسكوت ــ وهى من أعضاء مجلس العموم البريطانى (لقد دخلت المرأة البرلمان ونزلت الى الحياة العامة ، ولكن صدقونى أنها لم تنجح .. وثبت أن مكانها الذى تصـــلح له هـــو البيت) .

★ ويقول الفيلسوف الألمانى المعروف شوبنهور : (لا خلاف فى أن المرأة ذات عقل صغير محدود ، وهى فى الحقيقة طفلة فى جميع أطوار حياتها ، ولا ترى لقصر نظرها الا ما تقع عليه عينها ولا تهتم بغير الحاضر ، وتحكم على الظاهر دون الحقائق وتفضل سفاسف الأمور على عظمائها) .

★ وقال (روسو) أن النساء معدومات الذكـــاء شديدات الحرص على أخفاء حقيقتهن !

★ وقال (شامفور) : أن أكثر ميلنا الى النساء جنسى ، أما التواثق الروحى والعقلى فضعيف جدا ، وشكا (روزفلت) أحـد رؤساء أمريكا السابقين من عرض النساء أنفسهن لمزاولة الاعمال العامة بأجور أقل لأنهن يقفلن بذلك الباب أمام الرجـــال الذين هم أحوج منهن الى المال ، وقال : ان واجب المرأة المتزوجة أن تنهض

بأعباء البيت ، وتنظم شئون الأسرة ، وعلى الفتاة أن تتزوج وتعيش من كدح زوجها ليتسنى لنا أن نربح من جهود المرأة فى دائرة البيت أضعاف ما نربحه من جهودها فى الأعمال الأخرى .

ذلك بعض ما تقوله فلسفة الغرب — فى القرن العشرين — وتجاربه من دعوى المساواة بين الجنسين ، هذه الدعوى الكاذبة التى نرى فشل تجربة الغربيين لها ، فلا نتعظ بها ، بل ننساق وراء الاوهام .. أو الاهواء ، مخدوعين بما يسمى الحضارة الغربية والتقدم الغربى ..

وهنالك مثل حكيم من أقصى الشرق .. من الصين يقول : (البيت الذى تزاول فيه الدجاجة عمل الديك يصير الى الخراب) . أفلا ترون أن الحضارة الغربية التى سمحت بأن تعمل الدجاجة عمل الديك صائرة الى الخراب ، بل الا ترون أنا سائرون لنفس المصير اذا لم نتخذ من تجارب الغرب موعظة حسنة ونرجع الى حضارتنا الشرقية الحكيمة قبل اتمام المطاف الخاسر المبير ؟!

لقد منحت بعض الدول الشرقية — عربية واسلامية — المرأة حق الانتخاب والنيابة كالرجل بدعوى أنها والرجل سواء .. نعم هى والرجل سواء فى حقوقها المدنية حيث قرر الاسلام لها حق التعامل : تبيع وتشترى ، وتدين وتوصى ، وتهب وترث وتتزوج بأذنها وهى مجزية على أعمالها كالرجل ، مأمورة بأجتناب الجنايات ، ومعاقبة عليها كالرجل ، ومثوبة على حسناتها كالرجل ، بلا أدنى تفريق .

ان شخصية المرأة فى الاسلام مستقلة محترمة ، وكيانها كيان مكرم مصون ، وعملها فى ميدانها الذى اختيرت له مقدر مشكور كما يقول التوجيه النبوى : (أنما النساء شقائق الرجال) .

ولكن هذا لا يعنى أن تلغى طبيعتها وفطرتها المؤنثة ، وان تدعى لنفسها طبيعة الرجل ، وفطرته المذكرة .. وبالتالى لا يعنى ذلك صلاحها لعمل الرجل كما أن الرجل لا يصلح لعمل المرأة .. **(فطرة**

الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ٠

على أن حق الانتخاب والنيابة الذى أسلفنا الاشارة الى أن بعض الدول الشرقية قد منحته لنسائها ، هو فى جوهـره شهادة وامانة،ومهمة المنتخب ان يشهد بصلاحية المرشح للنيابة عن الأمة. والمرأة بحكم تكوينها الطبيعى عاطفية تتأثر شهادتها عن الرجل المنتخب بالعاطفة الى أبعد الحدود .ومن جهة أخرى أن منحها حق الانتخاب يستلزم اختلاطها بالمرشح ، كما يستلزم اتصال المرشح بناخبيه .. فكيف تسمح تلك الدول الشرقية أو شعوبها — بعبارة أصح — باختلاط المرشحين بأمهاتهم وزوجاتهم وأخواتهم وبناتهم فى البيوت والاندية ؟ وكذلك الشأن فى أمر النيابة ، بل هو أدهى وأمر ٠

✶ ★ ✶

يجب أن نتدبر جيدا ما يزعم للمرأة من حقوق سياسية ، فان حقوق المرأة مرتبطة بحقوق الاسرة أوثق أرتباط ، والاسرة هى حجر الأساس فى المجتمع ، وهى وحدها الكفيلة والقادرة على تحقيق المثل العليا للافراد فى أخلاقهم وصحتهم واجتماعهم ، وعلى ذلك فرسالة المرأة فى الاسرة خطيرة .. يجب أن لا نصرفها عنها الى ما يزعمه لها الزاعمون ، من حقوق سياسية ، وحرية اجتماعية ، لاخراجها من حصنها واهباطها من عرشها ، فحسبنا ما مر بنا من تجارب الرجال فى السياسة حيث أفسدت فى معترك الاحتراف السياسى والتنابز الحزبى : مبادئهم وأخلاقهم وعزائمهم ..

واذكر بهذه المناسبة ما قاله السياسى المصرى المعروف الاستاذ عبد الحميد عبد الحق ، قال : انى أطالب برفع المهر والنفقة عن الرجل واباحة الطلاق للزوجين .. ما دامت المرأة تزعم المساواة وتريدها ، وكفى الرجال ما تحملوه من متاعب ، وما تلقوه من ضربات وهم فى مقدمة الصفوف ، ما دام النساء يردن احتلال هذه المقدمة ، وحمل هذه المهمة الصعبة التى سيفقدن فى غمارها خصائص انوثتهن

---

(١) سورة الروم : ٣٠ ٠

الناعمة ، وستتعفر وجوههن وشعورهن بالاتربة والاقذار .. ثم قال : اني لست رجعيا . ولكني رجل مارس الحياة السياسية حلوها ومرها ، وعبر الطريق على حبل السياسة ، وقذفه المتفرجون بالحجارة وأنزلوه الى الوحل لا عن اعتقاد منهم بأني فاشل ، ولكن عن رغبة منهم في اخلاء الطريق لأى واحد منهم ، لهذا أشفق على المرأة أن يكون هذا مصيرها وأريدها كما خلقها الله ملاكا تحلق بجناحيها على رؤوس أفراد الاسرة . لتطرد عنهم المتاعب والاحزان لا أريدها أن تنزل الى الأرض فتقذر كما يقذر الرجال(١) .

* * *

بقى أن نروى مناظرة رائعة قامت بين رجل وامرأة .. الرجل يدعى للمرأة حقوقا ليست لها ، والمرأة تنكر هذه الحقوق وتضع نفسها حيث وضعها الاسلام ..

يقول الدكتور البهى الخولى في كتابه (المرأة بين البيت والمجتمع) أن فضل الاسلام على المرأة كبير . نفض عنها غبار القرون وأعلن أنها والرجل في الانسانية بمنزلة سواء لا تزيد عنه ولا تنقص .

وترد عليه الدكتورة عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطىء في جريدة الاهرام عام ١٩٥٣ بأنه لم يتعرض في دفاعه عن حق المرأة الذى شرعه لها الاسلام الى الجانب الآخر من مثل قوله تعالى **(الرجال قوامون على النساء) وقوله (وللرجال عليهن درجة) وقوله(فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان)(٢) وقوله (للذكر مثل حظ الأنثيين)** ودع عنك ما في الحديث النبوى من مثل كون النساء (حبائل الشياطين) وأنهن (أكثر أهل النار) و (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) وقوله (أخروهن من حيث أخرهن الله) ألا يكفى بعض هذا لأن يردنا عن الاسراف في تقرير المساواة بين الرجال والنساء أخذا من الكتاب والسنة ؟ .

---

(١) مجلة (الاثنين) مارس ١٩٥٦ م .

(٢) سورة البقرة

(أنهما مختلفان قطعا ، ولا على أحدهما من هذا الاختلاف اذ أنهما متكاملان وأن لم يتساويا ، متكافئان وان لم يتماثلا) .

ذلك ما قالته واحدة منهن وهـــو معلوم لـــكل دارس للقرآن والحديث النبوى ، وانما أحببت اثباته هنا من كلام امرأة منهن ترد به على واحد منهم ليكون أبرأ لساحتى كرجل من تهمة الخصومة والتحيز لأبناء جنسى ، وأخذا بمنطق المثل القرآنى الفاضل العادل : وشهد شاهد من أهلها .

مقارنة سريعة :

لا تعرف مكانة المرأة فى التشريع الاسلامى ، على حقيقتها ، الا بعد معرفة النظرة التى كان ينظر بها الى المرأة فى الحضارات والتشريعات السابقة ، والا بعد أدراك المعاملة التى كانت تعامل بها قبل الاسلام . فقد كانت (المرأة) :

ــ عند الاغريق والفرس متاعا للبيع والشراء ، وكان الرجل صاحب سلطة عليها ، سواء كان أبا أو زوجا .. اذ لا أهلية فيهـــا للتصرف .

ــ وفى الهند كان حق الحياة أو حقها فى الحياة ينتهى بوفـــاة زوجها ، فتحرق على جثته ، وان سلمت من عملية الحرق عاشت ملعونة منبوذة طوال حياتها .

ـ وفى الجاهلية العربية كانوا يئدون البنات، وكان الابن يرث زوجة أبيه بعد وفاته كما يرث متاعه ، ويتحكم فى تصرفاتهـــا وفى حياتها . وعندما جاء الاسلام حرم هذه الشرعة الجاهلية : **(يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ..)**[1] .

---

(١) سورة النساء : ١٩ .

ـــ وعند قدماء المصريين : المرأة هى علة الخطيئة ، وسبب المصائب والنكبات .

ـــ وفى القانون الرومانى : كانت المراة قاصرا لا تستقل بحقوق منفصلة عن زوجها ولا تتصرف فى أموالها الا بأذنه .

ـــ وفى ظل التصور الرهبانى المسيحى .. كانت المراة منبع المعاصى والفجور ، وهى للرجل باب من أبواب جهنم ،من حيث هى سبب تحريكه وحثه على الاثارة ، وجمالها سلاح أبليس لا يوازيه سلاح من اسلحته المتنوعة الأخرى .

ـــ وفى أوروبا المسيحية ـــ بصفة عامة ـــ الى ما قبل قرون تعتبر المرأة مصدر الشرور والاثام وحليفة الشيطان وليس لها حق التصرف فى أموالها وتنسلخ من رابطة أسرتها ونسبها الى رابطة زوجها ونسبه ، وكان الفلاسفة ورجال الكنيسة يطيلون الجدل حول كون المرأة شيئا أم شخصا ؟

وهل لها روح انسانية كالرجال ؟ وهل تستحق مثله الحياة الأخرى ؟

ـــ وانتهى المؤتمر الذى ناقش قضية المرأة فى فرنسا عام ٥٨٦ الى قرار : ان المراة خلقت لخدمة الرجل ، دون أن تشارك فى أوامره ونواهيه برأى أو مشورة ..

ـــ وحتى سنة ١٨٠٥ كان القانون فى بريطانيا يعطى الزوج الحق فى بيع زوجته لرجل آخر بسبب الكراهية أو الحاجة المادية . ثم صدر بعد ذلك قانون بالتحريم[١] .

* * *

والمرأة الحديثة فى الغرب ـــ الذى يزعم أنه حر ومتحضر ومتقدم

---

(١) هربرت سبنسر فى كتابه (علم الاجتماع) .

علميا — ماذا يرى الزائر هناك عنها ؟ يرى المظاهرات التى تطالب فيها المرأة بالحرية .. وتصرخ من ظلم الحضارة الغربية للمرأة .. أن المرأة هناك تذهب الى العمل وتعود منه لتبقى فى غرفتها . وهى تعمل كالرجال ولكنها تعطى أجرا أقل . وهى حرة فى أن تنام مع من تشاء ولكنها وحدها تتحمل الثمن ، فأما أن تدفع ١٥٠ جنيه أجرة عملية الاجهاض ، أو أن تعيش أما غير متزوجة لترعى طفلها غير الشرعى !

والمرأة الفرنسية — بحكم القانون — تابعة لزوجها شخصيا وأسميا حيث تتسمى بأسم أسرته ونظام الارث الانجليزى يسمح للزوج بالوصية بكل ما له لمن يشاء حتى الكلاب والقطط ·· باسم الحرية الشخصية . وبهذا تحرم المرأة من حقها فى مال زوجها .

أما المرأة الروسية فهى تعمل أيضا ، ولكن بقسوة أكثر .. لا أنوثة تبدو عليها ولا مساحيق على وجهها . تمسك بالمنجل والجرافة والمكنسة وتعمل فى البناء وكنس الشوارع وقد تشققت يداها من خشونة العمل . بل ادهى من ذلك تعمل الروسية فى درس الحبوب فى المزارع بدلا من الآلات الدارسة .. بل بدلا من الثور كما هى الحال فى البلدان المتخلفة(١) .

وتعيب الكاتبة الامريكية مريم جميلة(٢) على (النسائيين) أى دعاة تحرير المرأة المسلمة فى العالم الاسلامى — تعيب عليهم فهمهم الخاطىء لمعنى (التحرر) على أنه الاباحية المطلقة للنساء فى الاختلاط بالرجل ·· حيث شئن وأنى ذهبن بدون قيد ولا شرط وفى اختيار الازياء غير المحتشمة ، وفى توظيفهن خارج البيوت .. فى الاسواق والمسارح ودور السينما وفى مساهمتهن فى الحياة العامة . مهما تمزقت أواصر الاسرة وانتهكت حرمات العفة والاباء .

---

(١) من محاضرة للدكتور مجاهد الصواف ، وقد أقام فى بريطانيا ست سنوات وزار روسيا وبعض دول أوروبا الشرقية والغربية .

(٢) اسمها قبل أن تسلم : مارجريت ماركوس .

هذا ما تقوله (الكاتبة الامريكية) التى ولدت وعاشت حياة حرة طليقة من كل قيد .. حيث السفور والاختلاط ، وعمل المرأة الى جانب الرجل فى كل مكان ، وأنطلاق الفتاة من تقاليد الاسرة وآدابها ومصادقتها للفتيان ، والذهاب معهم الى أبعد حدود الحرية والانطلاق ــ تقول ذلك الكاتبة الامريكية عن تجربة مثيرة مرت وتمر بها المجتمعات الاوروبية والامريكية والعربية المتحررة ، وتدعو بأخلاص بعد اعتناقها للاسلام ومعرفتها أحكامه وأدابه ــ الى أن يعرف النساء المسلمات نعمة الله عليهن بهذا الدين الذى جاءت أحكامه وآدابه صائنة لحرماتهن ، راعية لكرامتهن ، محافظة على عفافهن وحيائهن من الانتهاك والضياع .

ويؤيد هذا الرأى (روبرت ولزلى) وهو انجليزى أسلم وتسمى بأسم عبد الرشيد الانصارى فى كتابه (قصة اسلامى) فيقول : (أن أكتساب المسلمين للثقافة الغربية والعادات الاجنبية البذيئة كتقصير النساء لملابسهن حتى تتكشف أفخاذهن .. ليس من الاسلام ، لأنه غاية الفساد .

.. واعتراف صريح :

ويقول الدكتور أليكس كاريل ــ صاحب كتاب (الانسان ذلك المجهول) الذى تناول فيه حضارة قومه الغربيين باالنقد البصير المرير .. لاهتمامها بالانتاج المادى وحده ، وأهمالهما للانسان عقلا وروحا وعاطفة :

● (لقد ارتكب المجتمع العصرى غلطة جسيمة باستبداله تدريب الاسرة بالمدرسة استبدالا تاما ، ولهذا تترك الامهات أطفالهن لدور الحضانة حتى ينصرفن لاعمالهن أو مطامعهن الاجتماعية او مباذلهن أو هوايتهن الأدبية والفنية أو ارتياد دور السينما • وهكذا يضيعن أوقاتهن فى الكسل . انهن مسئولات عن اختفاء الاسرة واجتماعاتها التى يتصل الطفل فيها بالكبار ، فيتعلم منهم امورا كثيرة .. لأن الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجى والعقلى والعاطفى طبقا

للقوالب الموجودة فى محيطه اذ أنه لا يتعلم الا قليل من الاطفال الذين فى مثل سنه ، وحينما يكون مجرد وحدة فى المدرسة فانه يظل غير مكتمل) .

وينقل الدكتور عبد الرحمن الصابونى — فى كتابه نظام الاسرة — رأيه لمؤلفة كتاب (أطفال بلا أسر) رأيا مماثلا للدكتور وين‌دينس عالم النفس الأمريكى : ان ذكاء الطفل ينمو وقدرته على الكلام تقوى اذا نشأ بين ابويه ، ولم يترك للحاضنات أو رياض الاطفال أو المربيات الأجنبيات .

ويعقب الدكتور الصابونى بقوله : أن هذه الدراسة تكشف لنا اهمية بقاء الأم فى البيت لاداء واجبها نحو أسرتها ثم يقول : أن كل تشريع تضعه الدولة يدعو الى هجر الأسرة ، أو التنفير من الزواج ، أو التشجيع على فك روابط الأسرة ووحدتها — هو تشريع يحاربه الاسلام(١) .

هذا مع اجماع الاطباء وعماء النفس على أن أهم مرحلة فى نمو الأطفال هى السنوات الخمس الأولى من أعمارهم ، حيث تتكون فيها قواهم الجسدية والعقلية والعاطفية ولذلك يجب أن يعيشوا خلالها بين آبائهم وأمهاتهم !

*   *   *

وعن تشبه النساء بالرجال يقول كاريل : يجب أن نعيد أنشاء الانسان فى تمام شخصيته هذا الانسان الذى أضعفته الحياة العصرية ومقاييسها الموضوعية .. كما يجب أن يحدد الانسان مرة أخرى ، فيكون كل فرد أما ذكرا وأما أنثى ، فلا يتقمص مطلقا صفات الجنس الآخر العقلية وميوله الجنسية ، وطموحه الذاتى) !

● قلت : ان القرآن الكريم أكد هذه الحقيقة العلمية الانسانية منذ أربعة عشر قرنا فى قول‌الله عز وجل: «**وليس الذكر كالأنثى**»(٢)

---

(١) نظام الأسرة ومشكلاتها — ص ١٥٦/٢٢٠ .

(٢) سورة آل عمران : ٣٦ .

كما قررها مرة أخرى فى قوله عن المرأة وتكوينها الرقيق الخاص : **« .. او من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصم غير مبين »**(١) .

اختلاف الطبيعتين :

ولذلك يعود كاريل الى الحديث عن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة ، فيقول : (أن الاختلافات بين الرجل والمرأة ليست فى الشكل الخاص للاعضاء التناسلية ، وفى وجود الرحم والحمل ، بل هى ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك . أن الاختلافات بينهما تنشأ من تكوين الانسجة ذاتها ، ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محدوده يفرزها المبيض وقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الانوثة الى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا وان يمنحا سلطات واحدة ومسئوليات متشابهة . والحقيقة أن المرأة تختلف أختلافا كبيرا عن الرجل ، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها ، والأمر صحيح بالنسبة لأعضائها ولجهازها العصبى أيضا .

والنساء وحدهن — من بين الثدييات — هن اللائى يصلن الى نموهن الكامل بعد حمل أو أثنين . كما أن النساء اللاتى لم يحملن لسن متزنات توازنا كاملا كالوالدات . فالأمومة لازمة لاكتمال نمو المرأة .

ثم ينصح كاريل النساء : أن ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن ، دون أن يحاولن تقليد الذكور ، فان دورهن فى تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال فيجب عليهن الا يتخلين عن وظائفهن المحدودة .

ويذهب الى هذا الرأى روبرت ولزلى فيقول : أن المرأة والرجل جنسان مختلفان اختلافا كاملا شاملا واذا كنا نسلم بالمساواة بينهما فى الحقوق فان المساواة بينهما فى الجنس مستحيلة استحالة مادية . كما يؤيده العالم الروسى أنطون نيميلاف — فى كتابه (المأساة الحيوية

---

(١) سورة الزخرف : ١٨ .

للمرأة) ــ حيث قال : أنه لا مساواة بين الرجل والمرأة كما أثبتت ذلك تجارب العلوم الطبيعية ولم تكلفهما الفطرة بأعباء سواء .

ويرى الاستاذ العقاد : أن المرأة تختلف عن الرجل فى الكثير من الظواهر والبواطن .. فى مادة الدم ، ونبضات القلب ، وعوارض التنفس ، وفى سحنة الوجه وحجم الدماغ ، وهندام الجسم ، ونغم الصوت ــ ولا يزعم أن المرأة هى الرجل أو الرجل هو المرأة الا من ينكر الحس ، ويناقض البداهة . فالبداهة والخبرة ترسمان مجالا للمرأة .. هو القيام على النسل ، وما هو بالعمل الهين ولا بالحقير، وترسمان للرجل مجالا هو عراك الحياة وشئون السلطان ، وما هو بالعمل الكبير عليه ، ولا هو بالنصيب الذى يحسد من أجله(١) .



الأسرة : طبيعة وشريعة

ان أول فكرة عن الاسرة يلهمها القرآن للرجل المسلم هى قوله تعالى : **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليهــا وجعل بينكم مودة ورحمة)(٢) .**

فالسكن والمودة والرحمة : هى ما ينشده كل من الرجل والمرأة فى رفيقه بدافع من الطبيعة الداعية الهادية التى فطرا عليها ولن يهدأ لاحدهما بال ولن يستقر حال حتى يلتقى بالآخر .. يسكن اليه ويواده ويرحمه . فالرجل والمرأة ملتقيان من بدء الخليقة وانما جاءت الاديان لتنظيم هذا الالتقاء ليكون شركة متعادلة متعاونة بينهما ، فيها حقوق يجب أن ترعى،وواجبات يجب أن تؤدى ،وثمرات يجب أن تصان .. ذلك لأن هذا الالتقاء الطبيعى بين الرجل والمرأة ، الذى جاءت الاديان

---

(١) مطالعات فى الكتب والحياة .
(٢) سورة الروم : ٢١ .

فنظمته وسمته (زواجا) هو نواة لشىء آخر نظمته الأديان أيضـــا وسمته (الاسرة) والاسرة هى الأخرى نواة لشىء أكبر منها نظمته الاديان وأسمته (المجتمع) ..

● وقد قيل فى الاسرة : أنها الأمة الصغيرة وأنها مدرسة النوع الانسانى .. التى تعلم فيها أفضل أخلاقه الاجتماعية .. وهى الغيرة والعزة والوفاء ورعاية الحرمات كما قيل أنه لا بقاء لما كسبه الانسان من فضائل المروءة والايثار اذا هجر الاسرة وأهمل روابطها وعطل مسؤولياتها . وهذا ما يحرص عليه الاسلام ويدعو اليه ويحث عليه .. بينما اضاعته الحضارة الغربية بأتجاهاتها المادية الآلية وامسى الغربيون يشكون من حرمانهم منه .

● وقد قيل ايضا : ليس العالم كله الا رجلا وامرأة .. بيد كل منهما سلامة العالم ووئامه اذا ساد أسرتهما السلام والوئام .

● وقيل كذلك : ان جل مصائب العالم من اثنين : رجل أعزب وامرأة لا تعرف كيف تلزم بيتها . فهو يحمل قلبا فارغا الا من الغرام باللذائذ الزائلة التى تنصرم أيامه ولياليه فى طلبها واحدة تلو الأخرى أما الاهتمامات الوطنية والقومية فلا يحس بها ولا يتحمس لها ، لأنه لم يتعود من قبل ، الاهتمام بمسؤولية أسرة . وهى اى تلك المرأة الطائفة المتسكعة : ما يزال كل همها أن تغرى الرجال ويغرونها باللهو والسهو عن مهمتها كزوجة ورسالتها كأم ..

● وقيل فى الاسرة : ان الرجل اذا عاش فى حرمها المقدس ، وغرامها المباح ، ومسؤولياتها العذبة — كان شجاعا فى كده وسعيه وانتاجه وتحصيله ، ومقداما فى الطموح الى مزيد من التفوق والنجاح .. من أجل أسعاد زوجته وأولاده حيا وبعد أن يموت .



هذه كلمة عامة عن الزواج وعن الاسرة كما تريدهما نواميس الكون ، أما الاسلام كشريعة حاكمة حكيمة فحديثه عـن الزواج

والاسرة معجب مطرب ، لم يسبقه اليه ولم يلحق به دين قديم ، ولا حضارة حديثة ..

وقبل أن نخوض فى تفاصيل (الاسرة) كما يشرعها الاسلام نوطىء بالغاية التى يرمى اليها من وراء أغرائه بالزواج من جهة ، ومنعه أولياء النسوة الراغبات فى الزواج أن يعضلوهن من جهة ثانية ، وأباحته تعدد الزوجات من جهة ثالثة ثم اباحة الطلاق بين زوجين متنافرين ليجد كل منهما رفيقا آخر يرضاه من جهة رابعة — أن الاسلام يرمى من وراء ذلك الى استقرار الرجال والنساء فى أسر متعاطفة متحابة وبالتالى الى استقرار المجتمع كله بعيدا عن فوضى الغرائز وعبث الشهوات .

فالزواج — فى منهاج الاسلام — استقرار وسكن وشعور بالمسؤولية وارواء لغريزة الامومة والابوة وللرغبات الجنسية أيضا . ومن هنا جاءت حديثا نشرات الاحصاء العالمية وتقارير علماء الاجتماع والقانون مؤيدة وجهة النظر الاسلامية بأثباتها أن نسبة الاجرام بين المتزوجين أقل منها بكثير بين العزاب والمطلقين والمترملين من الجنسين .

وشىء آخر يجب أن نوطىء به قبل أن نفصل منهاج الاسرة فى الاسلام — هو أن الزواج فى الشرع الاسلامى ليس أمرا دنيويا فحسب بل هو رباط مقدس بين الرجل والمرأة ينتفعان به فى حياتهما انتفاعا خليطا بين دين ودنيا .. فكما أنه استمتاع جنسى ،وارتياح نفسى،وتعاون فى البيت والسوق بين رجل وامرأة — فهو كذلك تعفف وتصون عن الشهوات الحرام وهو كذلك سبب للتناسل الشرعى ومحفظة للانساب بينهما وبين الآخرين ..

ومن هنا رتب الاسلام الجزاء — ثوابا وعذابا — على أحسان المحسن واساءة المسىء من كلا الزوجين .. حتى فيما يبدو شيئا طبيعيا وبسيطا فقد قال نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام (فى بضع أحدكم صدقة) وحين تعجب الصحابة رضى الله عنهم من أن يثاب الرجل

على شهوته التى يضعها فى زوجته اذهب عنهم العجب فقال (اليس اذا وضعها فى حرام يكون عليه وزر ؟؟) .

ومن هنا كان تدخل الاسلام وتسلطه على شؤون الاسرة كافة التى يأتى الزواج أول لبنه فى بنيانها تدخلا وتسلطا يرعيان جـــانب الحق والخير والعدل فى مصلحة كل طرف من أطراف (الاسرة) أبا كان او أما او زوجا أو ولدا ..

* * *

وقبل الزواج : يريد الاسلام للرجل والمرأة حين يرغبان فى أن يربطا برباط الزوجية : أن يكون هذا العقد المقدس بينهما صريحـــا واضحا معلوما ملزما لكل طرف منهما بواجبه نحو الآخر ، وأن يكون — من ناحية أخرى — بعيدا عن الظنون والفتن .. لا تحوم حولـــه شبهة فى صهر ، ولا تهمة فى نسب ، والا تكون المرأة — من ناحيـــة ثالثة — مجرد وسيلة للاستمتاع وحده .

لذلك يشترط الاسلام لصحة الزواج خلو المرأة من موانع عديدة مؤبدة ومؤقته ، فقد حرم أبدا الزواج بالامهات وان علون ، وبالبنات مهما نزلن ، وبالاخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الاخت. وحرم الجمع بين الاختين ونكاح أمرأة الأب وامرأة الابن ، وقد شمل التحريم القريبات بالرضاع مثل أولئك القريبات بالنسب على سواء. وحرم الاسلام — مؤقتا — نكاح الحامل حتى تضع والمعتـــدة حتى تستبرىء .

ويشترط الاسلام لصحة الزواج أن يعرض ولى المرأة زواجها على الرجل قولا ، وان يقبلها الزوج قولا كذلك ، وأن يشهد عـــلى الزواج شاهدان، وأن يقدم الرجل الى المرأة مهرا عاجلا أو آجلا ، جاء فى الحديث النبوى : (أعلنوا هذا الزواج واجعلوه فى المساجد) وذلك ليعلم الناس عيانا وسماعا — أن فلانة زوجة لفلان ، وليعلموا كذلك ما ينسل منهما من أولاد .

وينظر الاسلام بعين الاعتبار الى ما قد يشترطه أحد الزوجين أو كلاهما من التكافؤ والتقارب فى النسب والعلم والدين والحرية والصلاح والمال والعمر لكى يقوم الزواج بينهما على أساس من الرضا والصفاء . كما يعطى للمرأة حق اختيار الزوج . أن شاءت تولته بنفسها وان شاءت تركته لأوليائها — قال صلى الله عليه وسلم : (الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأمر وأذنها سكوتها) ، على أن الخير كله أن لا تنفرد المرأة برأيها فى هذا الاختيار .

ولكن الاسلام وهو يمنح المرأة حق التزوج بمن تريد ويضيف الى ذلك أجبار وليها على تزويجها به اذا ثبت أنه عاضل لها بغير وجه مشروع — يلاحظ بعين الاعتبار ان المرأة تمتاز بعاطفة جامحة ورأى مستعجل . . فاذا أشتطت المرأة عن ما يبذل لها من رأى حسن فى أمر زواجها وخشى فسادها وكسادها — كان من حق وليها أن يجبرها على الزواج .

والاسلام — فى منهاجه العادل الفاضل يلاحظ : أن المرأة فى المفهوم العام للزواج تابعة للرجل ، فيتيح لها فرصة الاشتراط على زوجها — فى عقد الزوجية — اذا شاءت : الا ينقلها من بلدها والا يتزوج عليها بأخرى أو تكون عصمتها بيدها تطلق منه متى أرادت وغير ذلك من اشتراطات لا تتعارض ومقاصد الزواج ، فاذا نكث الزوج عما عاهد عليه الزوجة كان لها الخيار بين أن تفسخ نكاحه منه أو تبقى معه .

* * *

أما بعد الزواج — فان لكل من الزوجين تجاه الآخر حقوقا وعليه واجبات . . فالمرأة مسؤولة فى بيتها عن رعاية شؤون زوجها وأولادها وحفظ عرضها وعرضه وتدبير أعمال المنزل بحكمة واقتصاد ، وعليها أن تسمع وتطيع فى كل ما يبديه الزوج ما لم يكن معصية لله ، وما لم يكن فى ذلك جور عليها وحيف بها ، وعلى الرجل أن يتبادل معها النصح والرأى والمشورة فى كل ما يتأدى عنه خير الاسرة وسلامها ودوامها .

وقد منح الرجل ـــ فى هذه الشركة الزوجية التعاونية ـــ درجة واحدة زيادة على ما أعطيته المرأة من حقوق وواجبات وهى درجة القوامة والادارة ـــ فهو حامى حمى البيت ، والراعى لشؤونـــه ، والمنفق على تدبيره ، وقد أسلفنا فى حديثنا عن القوامة : أنه من البداهة التى لا تحتاج الى بحث أو جدل أن لكل شركة مديرا واحـــدا مسؤولا عن تدبيرها وتطويرها .. ومن هذه البداهة أيضا أن الرجل أكثر تمرسا بالعمل فى معترك الحياة ، وأعظم مسؤولية طبيعيـــة وقانونية عن رعاية الاسرة وحمايتها .. ولا يعنى كون الرجل سيـــد الاسرة أن يتحكم ويتسلط ويستبد فى شؤونها ، دون تشاور وتعاون مع شريكته فيها ودون أن يلتزم مراعاة العدالة والمسامحة فى معاملتها ومعاشرتها .. كما لا يعنى ذلك أيضا أن يكون الرجل وليا على المرأة فى أموالها الخاصة .. فهى حرة التصرف فيها بالبيع والشراء والهبة والوصية ولها شخصيتها القانونية المستقلة الكاملة .

وفى ذلك يقول القرآن : (**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم**)[1] ويقول أيضا : (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**)[2] .

وحسبنا دليلا على أن الرجل ـــ فى الاسلام ـــ ملزم برعايـــة حقوق المرأة كاملة : ان الاسلام تدخل فى أدق الاسرار الزوجية التى يتأدى عنها وفاق الزوجين أو فراقهما كما أثبتت ذلك الدراســـات الجنسية الحديثة .. فقد قال نبى الاسلام عليه الصلاة والســـلام : (اذا أتى أحدكم أهله ، فلا يعجلها ، فأنها تستحى أن تطلب منـــه ما يطلبه منها) كما قال صلى الله عليه وسلم فى سلسلة ما قاله عن كرامة المرأة وحقوقها : (أما يستحى أحدكم أن يضرب امرأته كمـــا يضرب العير ؟) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٨ .

(٢) سورة النساء : ٣٤ .

مسؤولية الاسرة : انفاقا واخلاقا :

ان المتأمل فى نظام النفقات الاسلامى يجد أنه نظام رائع .. بما فيه من الزام واحكام .. يشعران بأن الاسلام يهدف من تشريعه أشعار سيد الاسرة بمسئوليته تجاه أعضاء أسرته ، وأشعارهم بالتالى بأنهم فى مأمن من الاحتياج والضياع .. فقد أوجب الاسلام على الرجل الانفاق على زوجته وأولاده وحفدته وعلى أبويه وأجداده منهما ، وعلى أخوته .. على تفصيل فى كتب الفقه لا يتسع مجالنا له ـ من حيث الاحتياج منهم ومن حيث القدرة فيه ، ما عدا الزوجة فأنفاق الزوج عليها واجب لا محيص عنه ولو كان فقيرا أو مريضا أو صغيرا ولا أربة له فيها ، ولو كانت هى غنية أو غير مسلمة .

والانفاق على الزوجة ـ باعتبارها العماد الثانى فى بنيان الاسرة ـ يعنى الغذاء والكساء والمأوى ثم الخادم فى حالة عجز المرأة عن خدمة أولادها اذا كان الزوج قادرا على استئجاره .. ومن حق الزوجة أن تشترط سكنا خاصا مستقلا عن أهل زوجها أو عن زوجاته الأخريات ..

أما الانفاق على الاولاد ـ بمعنى أطعامهم وأيوائهم وتعليمهم حتى يكتسبوا ـ فهو أمر مقرر طبعا ومعين شرعا .. شأنه فى طبيعته وشرعيته شأن الانفاق على الاباء والامهات .

والوصايا فى القرآن والحديث علاوة على ذلك كثيرة تفجر أقسى القلوب عطفا وأحسانا على الوالدين .

ان الاسلام يريد وئام الاسرة وأمتدادها .. لذلك أكد واجب البر بالآباء والامهات على أولادهم تأكيدا جعله قرين الايمان بالله وتوحيد عبادته سبحانه :

● **(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم : ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا)**(١) .

---

(١) سورة الأنعام : ١٥١ .

● (**وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ..)**[1]

وزيادة فى تقوية رباط الاسره يعتبر الاسلام الاجداد والجدات بمنزلة الاباء والامهات من حيث الرعاية والانفاق .. وحتى اذا أفتقد (المحتاج) من ينفق عليه من أب وأن علا أو أبن وأن نزل ، فان أخوته وأعمامه وأبناءهم مطالبون فى التشريع الاسلامى للاسرة — بأن يسدوا خلته ويصونوا كرامته ، ويكفوا وجهه عن مذلة السؤال .

ولا يفوتنا — هنا — أن الأمم غير الاسلامية ، لافتقارها الى تشريع عقلى وجدانى كالتشريع الاسلامى للاسرة ، تجعل فى عامها يوما تسميه (يوم الأم) لتذكر الابناء من ذكور وأناث بفضل أمهاتهم عليهم وتستهديهم لهن الهدايا والعطيات دون الاباء .. فان فضلهم — عند هذه الأمم — غير منكر .. أما الاسلام فانه بتشريعه العقلى الوجدانى معا يشعر المسلم كل يوم أنه مدعو الى بر أمه وأبيه ويذكره بمتاعبهما فى حمله ورضاعه وتربيته والانفاق عليه :

● **(حملته أمه كرها ووضعته كرها)**[2] .

● **(حملته أمه وهنا على وهن)**[3] .

● **وفى التوجيه النبوى : (هما جنتك أو نارك) .**

ومما لا جدال فيه أن الامومة ، بالنسبة للمرأة ، غايتها القصوى ، خلافا للرجل .. فالابوة بالنسبة اليه ليست الا وسيلة الى غاية أخرى ، هى العمل والكدح فى سبيل حياة أفضل للاسرة وبالتالى للمجتمع كله .

والاسلام قد سبق علم الاجتماع الحديث فيما قرره من تقسيم العمل بين الذكر والانثى .. فى نظريته المشهورة : (الناس يتضامنون بتقسيم المسؤوليات بينهم .. على اختلاف مواهبهم الطبيعية ، فيقوم كل منهم بخدمة المجتمع حسب مواهبه الفطرية) .. فقد جعل الاسلام تربية الاولاد الاولية وهى الرضاعة والحضانة ، من اختصاص المراة ومن حقها الذى لا تغلب عليه :

---

(١) سورة الاسراء : ٢٣ .
(٢) سورة الأحقاف : ١٥ .
(٣) سورة لقمان : ١٤ .

★ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**)(١) وقد جاء أسلوب القرآن في هذا التوجيه اخباريا وهو في حقيقة الأمر انشائى ، بأعتباره حقا طبيعيا للولد على أمه ، وحقـا طبيعيا أيضا للام على الزوج لئلا يحرمها اياه في حـالة الطلاق — لقد أعطى الاسلام الأم حق حضانة أولادها رضاعا وتربية حتى في حالة افتراقها عن الزوج الى أن يبلغوا سنا يستطيعون معها خدمة أنفسهم بلا معين والزم الرجل بالانفاق عليها وعليهم وعندما تتزوج بآخر جعل حضانتهم لأمها ثم لأم الأب ، على ترتيب مفصل في كتب الفقه الاسلامى . وقد راعى التشريع الاسلامى — هنا — وجوب تنشئة الطفل في أطواره الأولى في أحض ان نسائيه عاطفة راحمة قريبه منه ، لا غريبة عنه .. تغذية وترضية منه لشعور الأمومة عند المرأة من جهة ، ومن جهة أخرى تربية وتنمية لقصور الطفولة وعجزها — في محضنها الطبيعى .

★ ★ ★

ولا حاجة بنا هنا الى بسط القول عن الخطأ الذى تجترحـه الاسر غير الاسلامية ، وسرت عدواه الى الاسر الاسلامية .. وهو انصراف الامهات طوعا الى ارضاع أولادهن صناعيا بغير البانهن الطبيعية ، أو تسليمهم الى المحاضن العامة والمربيات الأجنبيات مما أوهن علائق الاسرة وأضعف أرتباط الابناء بآبائهم وأمهاتهم كمـا اعترف بذلك علماء التربية والباحثون فى شئون النساء والأطفال(٢) .

على أن التشريع الاسلامى الذى أختص المرأة بتربية الاولاد الاولية — لحكمة بالغة — اختص الآباء بتنشئتهم بعد بلوغهم سن التمييز — لحكمة بالغة أيضا:فهم كرجال أقدر على الحزم في رعايتهم والعناية بمستقبلهم ، وفتح عيونهم على مطالب الحياة من علم وعمل وأكتساب . وفى التوجيه التربوى النبوى للاباء :

- **الزموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم .**
- **لعن الله من أستعق ولده (أى حمله بأهماله على عقوقه).**

---

(١) سورة البقرة : ٢٣٣ .

(٢) فى الفصل الثانى تفصيل وتدليل .

ومن أجل أدامة المودة بين الأبوين المفارقين أوصى الاسلام كلا مى الأب والأم : ألا يضار أحدهما الآخر بسبب الولد ، وعلى الوالد اسداء المعروف من كسوة ونفقة ، وألا ينتزع منها ولدها بغير سبب شرعى ، وعلى الام قبول هذا المعروف فى نطاق ما يجب لها .. وما يقدر عليه :

● **(أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ، ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ..)(١) (.. وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف .. »(٢) .**

ولو قدر أن أفتقد الوليد أباه ، فجاء الى الدنيا يتيما ، فوارثه ملزم بنفقات الحضانة والرضاع ـــ ومما يلحق بتربية الأولاد فى التشريع الاسلامى : الولاية والوصاية ، وهما يعنيان أن يقوم أقرب الناس الى الصغير أو السفيه أو المجنون أو المعتوه ، بتدبير شؤونه ورعاية حقوقه الى حين الكبر أو الرشد أو الشفاء .. وقد رتب الاســـــلام لهما قواعد ومنازل لا يتسع المجال لتفصيلها ، ولكنا نستطيع ان نقول: أن الاسلام بما رسم للوصاية والولاية من قوانين أنما يريد أن يظل الأقرباء ـــ أى الأسرة الواحدة ـــ فى تعاون وترابط مستمرين . . الكبير يرحم الصغير ، والعاقل ينوب عن المجنون فى أخذ وعطـــاء لصلحته المشروعة ، والرشيد يحمى السفيه من تصرفات لا تجديه ، بل قد تؤذيه ..

من آداب الاسرة :

وتأكيدا لأهمية (الأسرة) وحفاظا لكيانها من أن يهدم : نثبت هنا بعض الآداب التى أدب بها الاسلام كلا من الرجل والمرأة فـــى نطاق الزوجية ، ليبقى ظل الأسرة باردا كريما عليهما معا ، وليبقـــى حماها مصونا وبنيانها غير منهار :

ـــ عـــلى الزوجين فى الأدب الاســـلامى للأسرة أن يتشاورا ويتراضيا فى أمور أطفالهما رضاعة وحضانة وتأديبا .

ـــ وعلى الزوج ألا يتيح الفرص لامرأته لمجالسة غير المحارم

(١) سورة الطلاق : ٦ . (٢) البقرة : ٢٣٣ .

من أهلها وأهله ، منعا للافتتان الذى وقعت وتقع فيه اليوم أسركثيرة بسبب مصادقة بعضها بعضا وتكشف نساء هذه الأسرة لرجال تلك وتبادل الأسمار وأحاديث اللهو بينهم وبينهن .. فكانت النتيجة : حب امرأة لغير رجلها وأعجاب رجل بغير امرأته ثم أغراء بالطلاق ووعد بالزواج .. على أنقاض بيوت تنهدم وأطفال يشردون ..

— بل ذهب الاسلام أبعد من ذلك فوضع سياجا بين الزوجين — فى فترات الاختلاء ونزع الرداء — وبين الذين يعيشون معهما تحت سقف واحد ، من أولاد وخدم واتباع . لئلا يطلعوا على ما بينهما من عورات وأسرار قد تغرى بالفتنة والعبث بين خادم بمخدومته أو بين مخدوم بخادمته لذلك قال القرآن :

✱ (يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء .. ثلاث عورات لكم)(١) .

— ولما كانت المرأة بطبيعتها المغرمة بالاغراء ، عاملة جاهدة فى التطيب والتزين للرجل ، فقد أوصى الأدب الاسلامى للأسرة أن يتطيب الرجل ويتزين كما تفعل المرأة له .. ذلك أن الاسلام حريص على أن يقتصر اغراء الزوجة وجاذبيتها على زوجها ، وأن يعاملها هو نفس المعاملة ، ليمتنع تطلع كل منهما الى غير رفيقه .. ومن هنا أنكر الاسلام على المرأة أن تتطيب لغير زوجها ، وقد سمى حديث نبوى المرأة التى تخرج الى الناس ليشموا رائحتها : (زانية) .

ولنفس الحكمة البالغة التى أرادها الاسلامموراء ذلك الأدب أوصى الرجل اذا عاد من سفر الا يطرق أهله متخونا ، حتى يلقاها وهى عالمة به متهيئة له ، ممشوطة الشعر نظيفة الثغر .

وقريب من هذا الأدب الذى شرعه الاسلام للاسرة ليقوى رباطها ويبقى ودادها : أن الرجل اذا رأى من امرأة أخرى لا تحل له ما يعجبه ، ويكاد يفتنه بها .. عليه أن يفزع من فوره الى

---

(١) سورة النور : ٥٨ .

اهله ليلتمس عندها ماتمناه من تلك . وانه لواجد نفس المبتغى ..
وصدق نبى الاسلام عليه السلام : (فان معها مثل الذى معها) ..
وبهذا الأدب الاسلامى تحتمى الأسر الاسلامية من الخيانات الزوجية التى تهدم البيوت وتلوث الأعراض وتشرد الأطفال ..

ـــ ومن آداب الأسرة المسلمة أن يقول الرجل لأمرأته اذا فعلت خيرا : أحسنت. كما كان نبى الاسلام عليه السلام يقول لزوجته : (**أحسنت يا عائشة**) .. وأن يتبادل الزوجان التعاون على البر والتقوى .. ففى الحديث النبوى : (**رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ أمرأته فان أبت نضح فى وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فان أبى نضحت فى وجهه الماء**) وليس (الضرب بالعصا) .
ـــ ولكى تتوثق الأواصر بين الأسر المتزاوجة أوصى الاسلام بصلة الأرحام .. بمعنى التزاور والتعاطف والبر يقوم به الزوج تجاه أهله وأهل زوجته ، وتقوم الزوجة به حيال اهلها واهل زوجها ، وما أوفر الثمرات التى تأتى بها صلة الرحم ، فانها كما جاء فى الحديث النبوى : (**محبة فى الأهل ، مثراة فى المال ، منساة فى الأثر**) ..
ومن آداب الأسرة المسلمة : الا تأذن المرأة لأحد فى بيت زوجها وهو كاره ، ولا تخرج وهو كاره ، والا تتحدث عند الناس ولا يتحدث الرجل كذلك ، عما يفضى كل منهما الى رفيقه من عورات .

وحسبنا ـــ ختاما لآداب الزوجين ـــ أن نذكر قول نبى الاسلام عليه السلام : (**خياركم خياركم لأهله وقوله : (من أفسد امرأة على زوجها فليس منا**) لنعلم مدى حرص الاسلام على حماية الأسرة مما يتهددها من أخطار ـــ داخلها وخارجها على سواء .

✶ ★ ✶

بقى أن نشير ، بايجاز ، ونحن نختتم الحديث عن آداب الأسرة فى الاسلام ، الى حقوق الآباء على أبنائهم وبالعكس ..

ففى الحديث النبوى : أن رجلا جاء يستأذن الرسـول عليه السلام فى الجهاد ، فسأله : أحى والداك ؟ قال : نعم . قـال : ففيهما جاهد . وفى رواية أخرى : ارجع الى والديك فاحسن صحبتهما . وقال عليه السلام لابن آخـر . أرجع اليهما فان أذناك فجاهد والا فبرهما . وقال لثالث : هـل لك أم ؟ قال : نعم . قال : فالزمها فان الجنة تحت رجلها . وقال لفتاة أخبرته بوفاة أمها وعليها صوم وحج : صومى عنها وحجى . وأوصى عليه السلام الأولاد بالاستغفار على الوالدين بعد موتهم ، وانفـاذ عهدهم وصلة رحمهم التى لا توصـل الا بهم ، وباكرام أصدقائهم .

وفى مقابل ذلك أمر عليه الصلاةوالسلام الو لدين باحسان أدب أولادهم ، والعطف عليهم ، وبخاصة البنات ، فقد وعد على تربيتهن وتعليمهن بالجنة ، وجعل الولد الصالح عملا متصلا وذكرى طيبة لوالديه وعزى القلوب الثكلى بموت صغارها فقال : (ان الطفل يجرى بوالديه الى الجنة) وقال أيضا : (من ابتلى من هذه البنات بشىء فاحسن تربيتهن كن له سترا من النار) .

تعدد الزوجات :

هناك من أعداء الاسلام ومن الجاهلين بحكمة التشريعات الاسلامية من المسلمين انفسهم .. من يعيب أباحـة الاسلام لتعدد الزوجات فى قوله تعالى :

(وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة)(١) .

أن تعدد الزوجات ليس تشريعا جديدا سنه الاسلام للناس ، وانما جاء الاسلام فوجد التعدد قائما بصورة غير انسانية ، فأبقى على جوازه ، وحدده بأربع زوجات بعد أن كان أكثر من ذلك ، ودون حدود أو قيود ، كما فرض الاسلام العدل بين الزوجات ، وحذر من عاقبة الميل الى احدى الزوجتين دون الأخرى .

---

(١) سورة النساء : ٣ .

لقد سبقت اليهودية والمسيحية الاسلام ، فلم تحرما التعدد الذى ظل قائما يمارسه اليهود والنصارى عبر العصور تحتسمع رجال الكنيسة وبصرها . ويؤكد (هالن) أحد مؤرخى القرون الوسطى فى كتابة (أوروبا خلال العصور الوسطى) أن تعدد الزوجات كان مباحا عند المسيحيين ، وحتى مارتن لوثر زعيم حركة الاصلاح المسيحى لم يكن يرى فى التعدد ما يدعو الى تحريمه .

كما عرف التعدد الفرس وقدماء المصريين والعرب وغيرهم قبل الاسلام ، وما رسوه على نطاق واسع . دون تحديد للعدد ، ولا اشتراط للعدل . فهو اذن قائم وموجود منذ العصور القديمة ، لأنه ضرورة او هو رخصة لضرورة كعقم الزوجة الأولى ، أو مرضها مرضا يمنع أداءها حق زوجها الفطرى، أو قلة الرجال وكثرة النساء بسبب الحروب ، أوحاجة بعض رجال القبائل الى العدد الكثير من الأولاد ليكونوا عونا لآبائهم فى الأعمال الزراعية أو فى حماية مصالح القبيلة او تكون للرجل أعمال تجارية فى بلدين أو أكثر فيضطرللانتقال والاقامة هنا وهناك فترات طويلة ، فيتخذ هنا زوجة وهناك أخرى.

وقول (دينيه) فى كتابه (أشعة خاصة بنور الاسلام) : «ان الاسلام لما كان دينا طبيعيا ، فانه لم يتمرد على أحكام الطبيعة فهو لم يرض بالرهبنة بل حرمها ، ولم يشجع على تحريم الزواج ، وقد أسفر تحريم رجال الكنيسة للتعدد عن نتائج أخلاقية خطيرة من الدعارة وظهور نساء عوانس وأبناء غير شرعيين . وهى أمراض اجتماعية لم تظهر فى البلاد التى طبقت فيها الشريعة الاسلامية تمام التطبيق » .

ويضيف دينيه الذى أسلم وسمى نفسه ناصر الدين : أنه على الرغم من محاولة الكنيسة لتحريم تعدد الزوجات فقد ظل ملوك فرنسا يتخذون لأنفسهم أكثر من زوجة وكانوا محل احترام رجال الكنيسة وأجلالهم » .

ويقول الكاتب الانجليزى برنارد شو : انه لحكمة عليا كان

الرجل اكثر تعرضا للمخاطر من النساء ، فلو أصيب العـــالم بجائحة أفقدته ثلاثة ارباع الرجال ـ كان لابد من العمل بشريعـة محمد فى زواج أربع نسـاء لرجل واحد ليستعيض ما فقده بذلك بعد فترة وجيزة » .

وقد طالبت نساء المانيا ـ بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م ـ بتعدد الزوجات ، لذهاب كثير من رجالها وشبابها وقودا لهـــذه الحرب الضروس ، ورغبة فى حماية المرأة الألمانية من احتراف البغاء، وما يتأدى عنه من أولاد غير شرعيين يقذفـــون الى الشـــوارع والطرقـــات .

ونقل الأستاذ أحمد بهاء الدين ـ فى جريدة الأخبار المصرية ع/٧٢٣ قول أســـتاذة ألمانية فى الجامعـــة : « ان حل مشـــكلة المرأة الألمانية هو أباحة تعدد الزوجات .. اننى أفضل أن أكون زوجة مع عشر نساء لرجل ناجح عـلى أن أكون الزوجة الوحيـدة لرجل فاشل تافه .. أن هذا ليس رايى وحدى بل هو رأى نساء كل المانيا) وفى عام ١٩٤٨ أوصى مؤتمر الشباب العالمى فى ميونخ ـ بألمانيا بأباحة تعدد الزوجات ، حلا لمشكلة تكاثر النساء وقلـة الرجال بعد الحـــرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) .

ومن رأى الأستاذ عباس محمود العقاد ـ وهو رأى صائب ـ انه خير للمرأة أن تشارك أخرى فى زوجها ، فتجد ريا لعاطفتهـا وتحقيقا لأنوثتها ، وصونا لكرامتها ـ من أن لا تجد رجلا قط ، أو تطلق من زوجها فتحيا محرومة من شرف الزوجية ، ونعمـــة الأمومـــة .

* ★ *

وبختصار جاء الاسلام فوجد التعدد قائما .. فنظمه وحدده بأربع ، ووضع له آدابا وأحكاما تحفظ للمرأة كرامتها . ومـــع ذلك لم يفرض الاسلام التعدد ولم يحبذه بل حذر من الظلم فى ممارسته،

وانما اباحه مراعاة لظروف الضرورات التى تضطر الرجل الى التعدد أو تضطر النساء الى قبوله كما أسلفنا .

واشترط لاباحته عدم الخوف من الظلم فيه — والعدل المطلوب هو العدل فى الانفاق والاسكان والمبيت والكسوة والقيام بواجب الزوجية كاملا : (**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع — فان خفتم الا تعدلوا فواحدة**) (١) . فالآية صريحة فى منع التعدد اذا خاف الرجل الا يعدل بين زوجاته — وكما أن من حق المرأة أن تشترط فى عقد زواجها : الا يتزوج عليها زوجها بثانية .. فان من الحق الثانية الا ترضى بالزواج من رجل له زوجة أخرى .

* ★ *

والتعدد فى مصلحة المرأة قبل مصلحة الرجل . وهذا ما لاحظه الاسلام — فيما نرى — حين أبقى على أباحة التعدد، وذلك ليضمن لها تحقيق وظيفتها ، وموافقة طبيعتها .

فالرجل — كما ثبت علميا وتجريبيا — يستمر فى أنجاب الذرية الى السبعين من عمره بل الى مافوقها احيانا ، بينما تنقطع المرأة عن الانجاب فى الخامسة والأربعين أو الخمسين . وبذلك يحتاج الرجل الى زوجة أخرى .. يتعاون معها على الانجاب لعمارة الكون واستمرار نظام الحياة ، ولاجدال فى أنه خير للزوجة الأولى : أن تبقى فى حمى الزوجية الحصين وظلها البارد الكريم موفورة الكرامة، ومعها رفيق حياتها وأولادها منه من أن يطلقها فتعيش وحيدة والى جانبها أولادها محرومين عطف أبيهم ورعايته ورقابته وقيامه نحوهم بواجب التربية والتعليم والتوجيه والترشيد .

واذا كان الاسلام — كما قلنا آنفا — لم يبتدع التعدد ، بل وجده قائما فى المجتمعات السابقة بصورة ظالمة للنساء .. فحدده

---

(١) سورة النساء : ٣ .

ونظمه ووضع له شروطا تحمى المرأة من حيف الرجل ، كما أن الاسلام لم يفرضه ولم يجعله واجبا وانما هو (رخصة) فى أحوال الضرورة التى ذكرناها من قبل (١) .

فلماذا اذن يتهم الجهلاء أو الأعداء : (الاسلام) بما هو منه براء ، ويرمونه بأنه شرع ظلم المرأة وهوانها ؟

* * *

أما اتهام بعض المستشرقين لنبى الاسلام عليه الصلاةوالسلام بأنه رجل مزواج ، وأن تعدد زوجاته دليل على طغيان ميولـه الجنسية ، وقولهم : أنه لو كان نبيا حقا لشغله أمر النبـوة والرسالة عن النساء ... الخ .

فالرد على ذلك حاضر ولا نطيل فيه ــ والتهمة قديمة منذ عهد الرسول نفسه صلى اللـه عليه وسلم فقد سبق اليها بعض اليهود فى المدينة .. ونزل القرآن الكريم بالرد عليهم فى قولـه عز وجل : **(ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجـا وذرية)**(٢) .

● واذن فمحمد عليه الصلاة والسلام كغيره من اخوانـه الأنبياء والرسل السابقين الذين تعددت أزواجهم وكانت لهم ذرية أيضا . ومعنى ذلك أن تعدد زوجات الأنبياء أمر لا يخالف أو لا يتعارض مع واجبات النبوة وأهدافها ، بل قد يعين على تحقيقها .

● ومن ناحية أخرى .. لم تكن زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام .. من الابكار الحسان ما عدا واحدة منهن هى (عائشة) رضى الله عنها وقد تزوج بالأخريات وهن أرامل ، وبعضهن ذوات

---

(١) نضيف الى ما سبق ما قرره الطب الحديث من « ان قابلية الرجـل الجنسية تستمر طوال العام بينما لا تزيد قابلية المرأة واستعدادها الجنسى عن (١٠٠) يوم بعد طرح أيام الحيض والنفاس والمرض » .

(٢) سورة الرعد : ٣٨ .

اولاد من ازواجهن السابقين — اكراما لهن ولازواجهن الذين سبقوا الى الايمان به ، وهاجروا الى الحبشة أولا ثم الى المدينة ثانيا .. وكان زواجه من (عائشة) و (حفصه) توثيقا وتقديرا للصداقة والمودة بينه عليه الصلاة والسلام وبين أبى بكر وعمر صاحبيه الأثيرين .. اللذين حفظا الاسلام من بعده ونشراه فى العالمين . كما كان زواجه من (زينب) بنت جحش ابنة عمته صلى الله عليه وسلم بأمر الله ليبطل بذلك عادة التبنى التى كانت سارية وجارية فى العرب ، فتزوجها أولا زيد بن حارثة وكان ابنا للرسول بالتبنى ثم طلقها ، فأمر الرسول بالزواج منها لاقرار هذا التشريع الاسلامى. وهو أن الابن الحقيقى للانسان هو ابنه من صلبه ، وهو حامل نسبه ووارث نشبه .

ثم كانت هناك حكمة اخرى لتعدد زوجات الرسول .. وهى ان امهات المؤمنين روين عنه عليه الصلاة والسلام العديد من الأحكام والآداب المتعلقة بالأسرة وخاصة بأحوال النساء المعروفة، لأنهن متصلات به وقريبات منه ، وكان النساء المسلمات يأتين اليهن ليكن واسطات الى الرسول فى طرح السؤال وتلقى الجواب وشرحه للسائلات عمليا كما حدث للسائلة عن كيفية التطهر فى أعقاب العادة الشهرية وحالة الولادة .

هذا حديث وجيز عن حقيقة (التعدد) كرخصة مقدرةبقدرها، ومشروطة بشروطها التى تحفظ للنساء حقوقهن وكرامتهن ، وهذه أسرار تعدد زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام وأسبابه وأهدافه، وكلها انسانية وتربوية وتعليمية .

الشقاق والنشوز :

لما كانت الأسرة ، شأن كل علاقة أو ارتباط اجتماعى فى الحياة ، عرضة لتقلبات الزمان والانسان — فقد شرع الاسلام لها أحكاما وآدابا تجاه هذه التعليمات الزمانية والانسانية ، ويخف معها العبء ، وتهون المصيبة ، وتدوم صلة الأرحام .

ومن هذه التقلبات : النشوز والشقاق بين الزوجين ، والطلاق الرجعى والبائن ، والموت وما يترتب عليه من ارث ووصية .

ولا غرابة – كما أسلفنا – أن يقع بين الزوجين نفور وخصام، فهذا شأن كل علاقة أو ارتباط اجتماعى بين اثنين أو أكثر .

وهما أكثر وقوعا ، وأخطر عاقبة بالنسبة للمرأة ، لأنها فى نظر الاسلام الذى هو دين الطبيعة والشريعة : مثار الفتنة والرغبة أو الاشتهاء ، وهى تبعا لذلك عرضة للاشتهاء أو الاستغواء ومن هنا جعل الاسلام تأديبها شديدا ، وفى الوقت نفسه لم يحرمها من حقها الانسانى فى طلب الفراق أو الافتراق ان أصرت عليه ، واستعدت لتحمل مسؤوليته ..

أن النشوز (١) معناه الاصطلاحى الشرعى : معصية الزوجة لزوجها فيما يجب عليها من طاعة وخدمة شرعا فى مقابل ما يجب عليه لها من انفاق ورعاية وصيان .

وقد شرع الاسلام لتأديب الزوجة الناشزة ثلاثة آداب متدرجة من الأخف الى الخفيف ، وهى فى جملتها ليست ذات بال كبير :

الأول : أن يعظ الرجل زوجته ويذكرها بخطئها ، ويطالبها بالتوبة والاستقامة على طاعته .

الثانى : فى حالة عدم تأثر الزوجة بالموعظة يهجرها الزوج فى المضجع لا فى الكلام والمجلس والمؤاكلة .

الثالث : ان لم يؤثر الهجر فى المضجع وكانت الزوجة عنيدة بحيث لم ينفع فيها وعظ ولا هجر جاز له أن يضربها ضربا خفيفا ، يجتنب فيه الوجه والمواضع الحساسة

---

(١) النشوز لغة : الارتفاع .. فكأن الزوجة ترتفع وتتعالى على زوجها ، وتستكبر عن طاعته وخدمته .

والمؤذية من جسدها ، وبحيث لا يشوه وجها ، ولا يكسر عظمـــا .

يقول الله عز وجل فى بيان هذا التأديب الزوجى : **(واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن ، واهجروهن فى المضاجع واضربوهن، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا)**(١) .

والمعترضون على عقوبة ضرب الزوج لزوجته ضربا خفيفاغير موجع ولا مؤذ — بعيدون عن الحكمة والصواب فيما يعيبون بــــه التشريع الاسلامى . فان هذه العقوبة الجسدية الخفيفة لتى يراد بها اصلاح فساد الزوجة وتقويم أعوجاجها ، والابقاء على بيت الزوجية ، وصون الذرية من الضياع — خير الف مرة من ايقـــاع الطلاق عليها ، وترميلها وتعطيلها ، وتشريد أولادها .

ومن ناحية أخرى : لماذا يعيبون أن يؤدب الرجل امرأتـــه بالضرب الخفيف ، ولا يعيبون تأديب الأطفال من ذكور واناث فى المدارس بالضرب اذا لزم ، ولم تجد الوسائل التأديبية الأخرى ؟

بل لماذا لا يعيبون أنظمة الشرطة والقضاء التى تشرع عقوبة الضرب الشديد والخفيف للمذنبين من الرجال والنساء ؟

على أنه ثبت بالتجربة المكررة : أن بعض النساء يستجبن لعقوبة الضرب فيعدن الى حالهن الأولى من الاستقامة والطاعة تماما كما هو شأن الرجال المنحرفين الذين لا يرجعون عن انحرافهم الا بعقوبة الضرب ذاتها .

ومع ذلك فتوجيهات الرسول الكريم تنصح بالرفق بالنساء ، وتوصى الرجال بعدم الضرب لأتفه الأسباب ، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : **(لا تضربوا أماء الله)** وقال: **(ان يضرب خياركم)** وقالت عائشة : **(ما ضرب رسول الله امرأة قط ولا ضرب خادما قط)** .

---

(١) النساء : ٣٤ .

أما اذا كان الرجل هو الناشز ، أى النافر من زوجته ، فللزوجة ، أو لأهلها ، أن يطالبوه بالعودة الى العشرة الطيبة معها وأن يبحثا معه الأسباب والعوامل التى أحدثت الشقاق بينهما، ليعملوا على التوفيق والاصلاح بين الرجل وامرأته :

● **(وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا ، فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا . والصلح خير)(١) .**

وقد يقع بين الزوجين اختلاف على تربية الأولاد أو تدبير البيت أو خدمة الزوج ، دون أن يكره أحدهما عشرة الآخر ، وهو أمر شبيه بالنشوز فى نتيجته ، وما يجب عمله لمعالجته.. والعلاج الذى يصفه الاسلام لهذا الشقاق أن يبعث كل من أهل الزوج وأهل الزوجة حكما لبحث الأمر ، وحل المشكل والتوفيق بين الزوجين :

● **(وأن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ، أن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) (٢) .**

ولا يفوتنا أن نشير هنا بايجاز ، الى أن بعض قضاة بريطانيا فى أوائل القرن العشرين ، قد طالبوا حكومتهم بمثل هذا التشريع الاسلامى لاصلاح ذات البين فى الأسر المتنازعة ، قبل وصول المتنازعين الى المحاكم التى لا تملك الا الفصل فى القضايا العائلية بالطلاق ، والتى لا تتيح اجراءاتها وافتضاح أسرار الزوجين فيها فرصا للتفاهم والتسامح والتوفيق .

---

(١) سورة النساء : ١٢٨ .

(٢) سورة النساء : ٣٥ .

الطلاق مصلحة مشتركة :

ما اثقل هذه الكلمة على السمع ! وما أفزعهـــا للقلوب ! ولكنها كالموت ، امر طبيعى .. وكما يحدث الطـلاق طبيعيا بين المرء وزوجه ، يحدث كذلـك بين الآخرين .. أليس هنـــالك آباء مختلفون مع ابنائهم مفترقون عنهم ؟ وأمهات مختلفـات مـع بناتهن ومفترقات عنهن ؟ واخوان متنازعون مع اخوتهم ولا يلتقون بهم حتى الموت ؟

ومع ذلك فالاسلام ينظر الى طلاق الرجل لامراته على أنـه (**أبغض الحلال الى الله**) ، ويقول نبى الاسلام عليـه الصـلاة والسلام : (**لا يفرك مؤمن مؤمنة .. ان كره منها خلقا رضى آخر**)، ويقول ايضا : (**ان المرأة خلقت من ضلع أعوج ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيرا**) . وقال الخليفة الراشد الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه للرجل الذى جاء يخبره بعزمه على طلاق زوجته لأنه لا يحبها : (أو كل البيوت يبنى على الحب ؟ فأين الوفاء والتذمم ؟)

ان الاسلام بهذه الوصايا النبوية ، فى موضوع الطلاق ، يفتح عين الرجل وقلبه معا على حقيقة الزواج . فليس الزواج حبـا وغراما وغزلا مستمرا من ليلة الزفاف الى آخر العمر ، وما من امراة الا وفيها خلق يرضى وخلق يعاب ، واذن فلا بد ، فى الشركة الزوجية . من الصبر والتسامح والتضحية بأهواء القلب وشهوات السمع والبصر ، من أجل فلذات الأكباد (الأولاد) ووفاء للعشرة الماضية ، ورعاية للذمة المعقودة بين الزوجين .

اما لماذا جعل الاسلام الطلاق من حق الرجـل ، فلأنـه ــ بطبيعته وواقعه ــ احرص على بقاء الزوجية التى انفق فى سبيلها المال الكثير ، وهو بالتالى أجدر واقدر على تحمل تبعات الطلاق ، واوعى لأسبابه ونتائجه .. من المراة التى تمتاز بطبعها وواقعها ايضا ، بأنها أكثر عاطفية واسرع انفعالا ، واسهل تأثرا بالتوافـه

من المغاضبات والمنازعات الزوجية . وما أصدق ما وصف بـه الخليفة الراشد الرابـــع على بن أبى طالب رضى الله عنه طبيعة النساء فى قوله : (يتظلمن وهن الظالمات) . ومن الملاحظ أن تجارب الأمم غير الاسلامية التى تعطى الرجل والمراه حق الطلاق على سواء ، قد أسفرت عن تزايد نسبة الطلاق فيها ، بسبب تسرع نسائها فى التردد على المحاكم بطلب الطلاق من أزواجهن ، لسبب تافه جدا ، كمجرد الغيرة ، أو لأن زوجها لا يقبلها عند عودتـــه من سفره ، أو لا يصحبها الى السينما ، أو لانـــه يعطيها ظهره أثناء نومه ، أو لأنه لا يحب كلبها ولا يهتم به .

* * *

وقد أثيرت شبهات ، وقيلت مفتريات حول كون (الطلاق) جريمة فى حق المرأة لأنه جعل فى يد الرجل .. وطالب الجاهلون بحكمته ومصلحته بتحريمه أو تقييده ... الخ . فنقول : أن الاسلام أعطى المرأة الحق فى اختيار زوجها وأعطاها ـــ كذلك ـــ الخيار فى البقاء معه أو فراقه عندما تسوء المعشرة بينهما ويعز التوفيق ، وتتعسر المصالحة .. ولهذا شرع الطلاق لمصلحة المرأة ومصلحة الرجل على السواء ، فهو وأن جعل الطلاق فى يد الرجل لأنه ـــ كما أسلفنا ـــ أبعد عن العاطفة والانفعال ، وأقدر على التحكم فى نفسه أثناء الغضب والخصام (١) الا أن المرأة تملك أن تطالبه بالطلاق أو المخالعة كما تملك عند العقد أن تشترط عليه لنفسها ماشاءت : من السكن فى بلدها أو عدم التزوج عليها بثانية ، أو أن تكـــون عصمتها بيدها أى تطلق نفسها منه حين تشاء ـــ على ألا يكـــون الاشتراط مانعا لحق من حقوق الزوج المشروعة .

---

(١) فى صحيح الامام البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم وعظ النساء يوما ، فوصفهن بأنهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير ـ أى الزوج ـ حيث لايعترفن بفضله ، ولا يذكرن معروفه مهما كان محسنا .

وقبل ايقاع الطلاق بين الزوجين شرع الاسلام التحكيم : باختيار حكم من اهلها وحكم من اهله لكى يحاولا الاصلاح بينهما ، وذلك حرصا على بقاء الرابطة الزوجية ، وحماية الأولاد من التشرد حتى اذا تعذر الصلح ، وتعسر الوفاق ، ورئى أن الفراق اصلح — قرر الحكمان أو (القاضى) التفريق بينهما : « **وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما** »(1) .

ان الاسلام الذى امر الزوج باحسان معاشرة زوجته فى مثل قوله عز وجل : (**وعاشروهن بالمعروف**) وقوله ايضا : (**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة**) وفى قول الرسول صلى الله عليه وسلم (**استوصوا بالنساء خيرا**) هو الاسلام نفسه الذى أمر بأن لا يضار الرجل امراته ، فيمسكها ايذاء لها وتعذيبا لانسانيتها وأهدارا لكرامتها .. فقال تبارك وتعالى : (**الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان**)(2) وقال أيضا : (**فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا**)(3) — وأوصى الرجل حتى فى حالة كراهيته لزوجته بالصبر ووعده بالخير فى قوله تبارك وتعالى : (**فان كرهتموهن، فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**))(4) .

فالزواج والطلاق — فى الاسلام — أنصاف للمرأة ولمصلحتها الشخصية ، وتحقيق لانسانيتها وفطرتها ، وتقرير لكرامتها .. على مستوى واحد مع الرجل ، اذ هما مخلوقان من نفس واحدة تطلب الخير ، وتكره الشر ، وتلتمس السعادة والهناء فى الزواج أو فى الطلاق على سواء .

ونذكر هنا بعض الأسباب والأحوال التى تجعل الطلاق فى مصلحة الزوجين ، وان كان اصلا ابغض الحلال الى الله — كما يقول نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم(5) .

---

(1) سورة النساء : ١٣٠ .
(2) سورة البقرة : ٢٢٩ .
(3) سورة الأحزاب : ٤٩ .
(4) سورة النساء : ١٩ .
(5) الحديث رواه أبو دود وابن ماجه والحاكم وصححه .

● فقد يكون أحد الزوجين عقيما ، فيتأذى الآخر من حرمانه من الذرية التى هى كما يقول الله عز وجل — وكما هو الواقع الملموس — احدى زينات الحياة ومباهجها : (**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**)(١) .

● وقد يكون أحدهما مريضا بعلة تحول دون الالتقاء الفطرى بين الزوجين ، أو يكون المرض معديا يخشى انتقاله الى الآخر .

● وقد يغيب الزوج فى سفر طويل أو يحكم عليه بالسجن لعدة سنوات ، أو يمتنع — موسرا او معسرا — عن الانفاق لمدة طويلة . فمن حق الزوجة — هنا — أن تطلب الطلاق عن طريق القضاء ، لئلا تتضرر معيشيا ، و تتأذى نفسيا بسبب هذه الظروف .

● وقد يجد أحد الزوجين فى الآخر — بعد الزفاف — عيبا لا يمكن الصبر عليه ، أو يراه غير كفء له . أو لا يعدل الزوج بين هذه الزوجة وزوجاته الأخريات .

● هذا بالاضافة الى اهم هذه الحالات والظروف التى تجعل الطلاق امرا مرغوبا فيه — وهى حالة الشقاق والنزاع بينهما ، الناتجة عن اختلاف طبائعها وتباين أخلاقهما ، واصرار كل منهما على رأيه وسلوكه مع الآخر .

★ ★ ★

ويلاحظ هنا : أن هذه الحالات والأسباب التى تجعل الطلاق، الذى هو أبغض الحلال الى الله . حلا مرغوبا وعلاجا مطلوبا — امر واقع تتعرض له الحياة الزوجية فى كل جيل ، وفى كل بلد

ولذلك كان ولا يزال تحريم الطلاق — عند طائفة الكاثوليك

---

(١) سورة الكهف : ٤٦ .

المسيحية أمرا شاقا ومصادما لطبائع الأشياء ومكلفا للناس ما هو فوق طاقتهم فالكاثوليك يمنعون الطلاق مهما طرأ على حياة الزوجين من مصاعب ومتاعب ، حتى ولو زنت الزوجة فى بيت الزوجية والحل الذى يلجئون اليه فى هذه الحالة .. هو أن يفترق الزوجان جسديا ويعيش كل منهما منفردا عن الآخر ويحرم على كل منهما أن يتزوج بغيره . ولكن تبقى سبيل المصادقة والمعاشقة مفتوحة أمـــــام كل منهما ، وهى سبيل الشيطان الرجيم .

أما طائفة البروتستانت فتتيح الطلاق بسبب الزنا أو تغيير الدين دون بقية الأسباب الطبيعية والمشروعة الأخرى ، التى حسب الاسلام حسابها ، وأحل من اجلها الطلاق تحقيقا لحرية الزوجين وسعادتهما وكرامتهما جميعا(١) .

ولا ادل على عدالة موقف الاسلام تجاه مشروعية الطلاق ، وحكمة تشريعه له مراعاة لأسبابه وظروفه وضروراته — من أن مجلس الشيوخ الايطالى — على الرغم من معارضة الفاتيكان وهو السلطة الدينية المسيحية العليا — قد أقر مشروعا لاباحـــة الطلاق سنة ١٩٧٠ نظرا لما لمس من أثار سيئة لتحريمه . تتمثل فى ترمل الزوجات وتعطلهن . وتحللهن من ضوابط الشرف والخلق ، كما تتمثل فى قيام أسر وبيوت بلا دعائم من وفاق الزوجين ، ومسئولية الوالدين ، واستقرار الذرية .

وفى بريطانيا وافق مجلس العموم البريطانى سنة ١٩٦٩ على قانون يبيح للزوجين الطلاق بعد أن ينفصلا احداهما عن الآخر لمدة عامين اذا وافق الزوجان على الطلاق ، ولمدة خمسة أعوام اذا وافق احدهما دون الآخر .

---

(١) نتيجة لاشتراط الزنا فى اباحة الطلاق عند المسيحيين نشأت عصابات من المحامين والأطباء ورجال القانون .. مهمتها تيسير عمليـــات الزنا لأغراض قانونية ، حيث توقع هذه العصابات — بطلب أحد الزوجين المتباغضين — الزوج الآخر فى جريمة الزنا ، فيضبط متلبسا بالجريمة ، ويسهل عندئذ طلب الطلاق .

ويبيح القانون الروسى الطلاق لهما دون قيد أو شرط ، كما يذكر الأستاذ عبد القادر عودة فى كتاب (التشريع الجنائى الاسلامى) وكذلك الشأن فى بعض الولايات المتحدة الأمريكية . وهى ظاهرة تدل دلالة واضحة على أنهم ضاقوا ذرعـــا بـــل صدرا بتشريعاتهم الوضعية فلجأوا الى سماحة الشريعة الاسلامية .. وعدالتهـــا وواقعيتها .

* * *

ومما ينبغى ملاحظته هنا فى حديثنا الموجز عن الطـــلاق أن الشريعة الاسلامية انفردت بنظام المراجعة فى الطلاق دون الشرائع الأخرى (١) حرصا على اعادة الرباط الزوجى بين الزوجين وحفاظا على الذرية من الضياع والتشرد واستصلاحا لما فسد بين الزوجين من مودة وسكن . ويعتبر الطلاق الرجعى فى الاسلام — وهو المرة الأولى والثانية — فترة اختبار للزوجين وفرصة تأمل ومراجعـــة للاخطاء والزلات ، والندم والتوبة ، ثم العودة الى بيت الزوجية وما يظلله من مودة ورحمة وسكن وذرية .

كما ينبغى أن نلاحظ أيضا : أن الاسلام جاء ليصحح وضعـــا خاطئا ، ويحفظ للمرأة كرامة كانت مضيعة على عهد الجاهليةالأولى اذ كان العرب يطلقون دون حصر أو عدد فكان الرجل يطلق ما شاء ثم يراجع امرأته قبل أن تنقضى عدتها ضررا لها ، حيث تظل معلقة بين طلاق ورجعة فى نهاية العدة ثم طلاق فى بداية الرجعة وهكذا ، فنزل القرآن الكريم يضع لهذه الفوضى حدا ، ولهذا الظلم النازل بالنساء قيدا : **(الطلاق مرتان ، فامساك بمعـــــروف أو تسريح باحسان)** (٢) . وهو تأديب للرجال لتكريم المرأة . يشبه التأديب القرآنى للرجال أيضا عندما منعهم من امساك النساء على كـــره

---

(١) ص ١٠٢ من كتاب (نظام الأسرة) للدكتور الصابونى .

(٢) سورة البقرة : ٢٢٩ .

وبغضاء وهوان وذلك فى قوله عز وجل : **(ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا)**(١) .

ولذلك أجاز الاسلام أن تخالع المرأة الكارهة لزوجها ، المتضررة بالحياة معه المتأذية من معاشرته — أجاز أن تخالعه بشىء من المال يتراضيان عليه ، كما فعلت امرأة ثابت بن قيس عندما ردت عليه حديقته التى قدمها اليها مهرا حين تزوجها ، واقر الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك(٢) .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال :(اذا أرادت النساء الخلع فلا تكفروهن) أى أجيبوهن الى ما يطلبن ، ولا تمسكوهن ضرارا لهن ، وحيفا عليهن .. الأمر الذى يؤدى الى كفرهن !

وهكذا تتجلى عدالة نظام الطلاق فى الاسلام وحكمته البالغة حيث جعل الطلاق بيد الرجل لتمام عقله ، وامتلاكه لنفسه وتحكمه فى عواطفه أكثر مما تفعل المرأة — كما جعل فى نفس الوقت للمرأة حقا فى (المخالعة) اذا أحست ظلما أو هوانا فى بقائها معه ، أو كرهته لخلقه أو خلقه .

وليس الانضباط العقلى أو العاطفى وحده هو السبب فى جعل الطلاق بيد الرجل .. فهناك أيضا المسئولية المالية المترتبة عليه بدفع المهر المقدم ، وقضاء المهر المؤجل — ان وجد — بالاضافة الى نفقات العدة والحضانة اذا كان له أولاد من زوجته . ولذلك فهو يحسب ألف حساب قبل الاقدام على الطلاق .

وقد أوجد الاسلام لايقاع الطلاق اذا لم يكن منه بد .. سبلا عديدة : فهو يقع بارادة الرجل وحده ، ويقع بارادة الزوجين معا —

---

(١) سورة البقرة : ٢٣١ .

(٢) الزوجة هى أم حبيبة بنت سهل الانصارى ، والقصة فى صحيح الامام البخارى .

وهو ما يسمى «خلعا» ــ ويقع بارادة المرأة وخذها كطلاق التفويض الذى تشترطه المرأة فى العقد ابتداء ، أو بحكم القضاء بناء على طلبها بسبب غيبة الزوج ، أو لعدم قيامه بواجبات الزوجية من نفقـــة ومساكنة ومعاطفة ، أو بسبب عجزه عن ذلك مع حضوره .

ولا يفوتنا ، هنا ، ان نتأمل ما يعنيه الاسلام بالأسرة ... من معنى عملى ، معنى الاشتراك الفعلى بين الرجــــل والمرأة فى مسؤوليات الزوجية والتزاماتها المادية والأدبية معا ، حتى اذا تعذر تحقيق هذا المعنى للاسرة كان الطـــلاق خيرا واحسن تأويـــلا .

وهنالك نوعان من الطلاق : الايلاء ، والظهار .. وهمـــا يعنيان ــ فى جملتهما ــ تحريم الرجـــل على نفسه قربان امرأته ، وقد كانتا عادتين جاهليتين . أنكرهما الاسلام انكارا شـــديـــدا ولكنه ــ توقعا لحدوثهما ــ وضـــع لهما علاجا حاسما رحمة بالمرأة ، وحفظا لكرامتها ، وتأكيدا لحقها فى أن تعيش حـــرة سعيـــدة بزواجها ، أن تفـــارق زوجها الذى ظلمها بالايلاء أو الظهـار الى زوج آخر ، يحبها ويرعاها .. فقد أعطى الاسلام الرجـــل ــ فى الايلاء ــ مهلة أربعة أشهر ليكفر عن يمينه ويعود الـــى مساكنة امرأته ومعاشرتها بالحسنى ، أو يوقع الطلاق عليها لئلا يستمـــر حرمانها من حقوقها الزوجية معه ، وكذلك الشأن فى الظهـــار .. على الرجل أن يكفر عن يمينه قبل ان يعود الى معاشرة زوجتـــه ومباشرتها .

✶ ★ ✶

على أن الاسلام ــ فى سبيل الابقاء على نعمة الزوجيـــة بين الرجل والمرأة ــ أحاط الأسرة بحوائل وعوامل تحول دون هدمها وتخريبها ، وتعمل على تجديد رباطها كلما بلى ، وتنشيط ودادهـــا كلما فتر ، وتوثيق كيانها كلما تحلل ..

فالطلاق فى الاسلام ــ كما أسلفنا ــ على ثلاث مراحل .. الطلقة الأولى والثانية تتيحان للرجل أن يعيد امرأته الى بيته ، أثناء

عدتها ، أو بعد انقضاء العدة بعقد ومهر جديدين .. أما الطلقة الثالثة فلا رجعة فيها الا بعد أن تنكح المرأة رجلا آخر يطلقها بمحض رغبته . وهى مع ما فيها من غضاضة تأديبية على الرجل لاقتحام رجل آخر لحماه فرصة ثالثة لكى يعيد الزوجان معا بناء بيتهما المنهار ، وأن يحتضنا مرة أخرى فلذات أكبادهما بعد تشتيت وتشريد ..

وقد منع الاسلام ان يطلق الرجل زوجته وهى حائض أو حامل أو نفساء ، واعتبره معصية ، وألزم الرجل بأن يردها الى عصمته قبل انقضاء عدتها .. وقد هدف التشريع الاسلامى بذلك أن يفسح المجال — بعد تطهر المرأة من قذرها ووهنها بسبب الحيض أو الحمل أو النفاس — لتفكر الزوج وتراجعه عن عزمه الأول . استطابة لعشرتها مرة أخرى ، وبخاصة اذا جدد الوليد الجديد رباطهما القديم .

والاسلام ، فى محاولاته العديدة السديدة لتدعيم بنيان الأسرة، ينهى اذا تنافر الزوجان ووقع بينهما طلاق رجعى ثم أحبا أن يتراجعا ، أن يقف أهل الزوجة أو أهل الزوج حجر عثرة فى سبيل اعادة الرابطة المقدسة بينهما : **(يايها الذين آمنوا اذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف)** (١) .

ولا ريب أن الله سبحانه الذى ربط بين الرجل والمرأة رباطا طبيعيا وشوق كلا منهما الى الآخر شوقا نفسيا ، ثم نظم انضمامهما بعضهما الى بعض تنظيما شرعيا — هو سبحانه أدرى بما يصلحهما من وفاق دائم أو طلاق حاسم : **(وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما)** (٢) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٣٢ .

(٢) سورة النساء : ١٣٠ .

واذا لم يكن من الطلاق بد — وهو أبغض الحلال فى نظر الاسلام — فالزوج المسلم مأمور أن يكرم طليقته ، وأن يمتعها بهدية أو عطية تليق بمقدرته المالية ومقامه الاجتماعى ، وذلك لكى ستيقن الزوجان معا ، وبخاصة المراة ، انهما وان انفصلا فلا عداوة بينهما ولا شحناء ، بل يظلان صديقين على البعد ، يذكر أحدهما رفيقه السابق بالخير ويشكره على الفضل : **(ولا تنسوا الفضل بينكم)**[1] **(وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين)**[2]٠ وزيادة فى تطييب خاطر المراة أمر الاسلام الرجل الا يسترد من طليقته شيئا من مهرها أو هداياه اليها : **«وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا »**[3] ٠

وهكذا نجد الاسلام .. أولا : يحيط عقد الزواج بهالة مشرقة من القداسة والاحترام ، وبسياج حديدى من الالتزامات والتوصيات ، بالنسبة للطرفين معا .. ونجده ثانيا : يفتح أبوابا عديدة لفسخ هذا العقد المقدس ، حين يتعذر تعايش الزوجين فى سلام وأمان ، ويتعسر تعاونهما على اقامة أسرة سعيدة رشيدة ، ثم هو بين حالتى الارتباط والانفكاك يتيح لهما فرصا كثيرة للصلح والوفاق ٠

الارث والوصية :

ان المتأمل فى نظام الارث والوصية ، فى الشرع الاسلامى يهتدى سريعا الى أن الاسلام حين شرع الميراث والوصية فى الأسرة المسلمة .. انما رمى الى تغذية العواطف الطيبة ، وتربية العزائم والهمم فى أفراد الأسرة أزواجا وآباء وأبناء ، وبالتالى الى ربط قلوبهم بعضها الى بعض .. مودة ورحمة وعونا .. فالارث كما يشرعه الاسلام ، يرضى عواطف الأبوة والأمومة والبنوة ، والأخوة والقرابة عامة ، فى الاسرة الواحدة . وهو أيضا يغرى

---

(١) سورة البقرة : ٢٣٧ ٠ (٢) سورة البقرة : ٢٤١ ٠

(٣) سورة النساء : ٢٠ ٠

لأبنائهم واقربائهم .. الذين سيغريهم — بالتالى — هذا الميراث بعمل وانتاج مماثلين ليخلفوا لأبنائهم واقربائهم أيضا مثل ما خلف لهم آباؤهم من قبـــل .

ولا وجه للمؤاخذة المفتعلة التى يتهم بها الاسلام زورا لأنــــه جعل الارث (للذكر مثل حظ الانثيين) . فالرجل — كما أسلفنا — هو المطالب بالانفاق على زوجته ، وهو الذى يقـــــدم المهر ، ويعد البيت ، ويقتنى من أجلها .. ولو دققنا النظر وانعمنا الفكر ، وحققنا الأمر الواقع .. لوجدنا أن الأنثى تستحوذ فعلا على نصيب الذكر من الميراث عن طريق الزواج .. بينما تحتفظ هى بنصيبها من الميراث لا سلطان لأحد عليه ، وليست ملزمة بالانفاق منه مهما كانت غنيــة وزوجها فقيرا ..

ومن مظاهر العدالة فى الارث ، كما شرعه الاسلام: انه — مع كونه الزاميا ، لا بارادة المورث — لا يلزم الوارث سداد ديـــون مورثه ، كما هو الحال فى بعض القوانين الأوروبية الحديثة ، وانه لا يمنح الولد الأكبر امتيازا فى الميراث على أخوته الصغار ، كمـا هو شأن تلك الشرائع أيضا ..

ومن تلك المظاهر ، كذلك ، انه منع الوصية لمن يرث وحض عليها بالنسبة لمن لا يرث من الأقرباء ، تطييبا لخواطرهم وحفظـا للمودة والرحمة بين أفراد الأسرة الواحدة .

الفصل الثانى

المرأة : دراسات ودروس

فى هذا الفصل :

- المرأة هناك •
- حول الاختلاط •
- الأنثى هى الأنثى !
- حول المساواة بين الجنسين •
- امتيازات فوق المساواة •
- لماذا اشتغلت المرأة هناك •
- الشذوذ الجنسى •
- عواقف تشغيل النساء !
- الأطفال هم الضحايا !
- صيحات بالعودة الى البيت •
- تراجعات السابقين !

ان معظم شبابنا اليوم منصرفون عن الدراسات أو المطالعات في التاريخ الاسلامي في كل مجالاته تشريعا وتعليما واجتماعاوسلوكا. وهم يموتون حبا في قراءة الجديد عن الحضارة الغربية المزعومة والثقافة المسمومة . أما الاسلام فعليه — في نظرهم — الف سلام ..

ومن أجل ذلك أجدني حيران مرة ويائسا مرة أخرى .. اذا قيل لي : تحدث عن أمجاد الاسلام ، وأراني أرد على القائل : أتريدني أن أقرأ الزبور على أهل القبور ؟ أم تريدني أن اصرخ في واد ، او أنفخ في رماد ؟ دعني — ياصاح — فان القوم ، وبخاصة فيما يمس المرأة يصعقون من كلمة تقال عن الاسلام وماكرمها به من حقوق وفضائل ، وما خصها به من رسالة الأمومة ، وشرف الزوجية ..

أنهم يريدون المرأة متعة وسلعة ، ويدعونها الى السفور ليسهل بها الفجور وقد سهل .. ونيل منها ما نيل بأسم التعليم وباسم أنها نصف المجتمع ، ولابد بزعمهم من أن تعمل كما يعمل الرجل ، ولابد في رأيهم لكي تتعلم وتعمل من أن تتكشف بأكثر مما يتكشف الرجل .. وقد تكشفت المرأة فعلا ، وهتكت عن نفسها وجسدها ستر الحياء والمروءة ، وخادنت الرجال وأستقبلتهم في دار زوجها في غيبته ، واستقبلوها في دورهم في غيبة زوجاتهم باسم الزمالة والصداقة وكان ما كان .. كما يحدث في الطبيعة بين سالب وموجب ، ولا مفر من عمل الطبيعة الغالب ، وكذبوا ويكذبون حين يزعمون الصداقة والزمالة ويدعون الحرية والمساواة .

وتحضرني كلمة قالها (بلزام) : **(ان الذي يمنح المرأة الصداقة البريئة كمن يمنح شخصا يموت من الظما رغيفا من الخبز)** ومعنى

كلمة (بلزاك) أن الصداقة البريئة بين الرجل والمرأة مستحيلة وأن الطبيعة غلابة قاهرة .

بهذه المقدمة .. أريد أن أقول أن المسلمين — بتأثير دعاية الغرب واستعماره الفكرى والثقافى للعقلية العربية والاسلامية خرجوا بالمرة عن ما يفرضه العقل البصير ، وعن ما تفرضه العظات الماثلة من تجارب من سبقهم فى اخراج نسائهم عن طبيعتهن ، والزج بهن فى أسوأ المسالك وأوبأ المهالك ..

ولما كان الاسلام هو دين الطبيعة .. يمضى بأحكامه وآدابه وفقا لامداداتها واستعداداتها ، وضبطا لانفجاراتها وانحرافاتها .. فقد خرجوا بالمرأة المسلمة عن الاسلام . .

ولو أبقوا لها طبيعتها لأبقوا لها اسلامها ، وأبقوا لها معه الصيانة والأمانة وجنبوها هذا الخلل والزلل الذى تعيش فيه .

هذه هى صورة المرأة المسلمة اليوم فى المجتمعات العربية على الأخص — متعة وسلعة ، بعد أن كانت بالأمس شخصية مكرمة محترمة .. مصونة مقدسة .. يتورع أبوها أو زوجها أو ابنها عن ذكر اسمها فى مجتمعات الرجال — أدبا وحياء — وهى اليوم يكشف أبوها أو زوجها او أخوها عن جسمها التماسا للاعجاب المفسد ، وتعريضا بها للانتهاب المهين .

كانت بالأمس تربى على الفضيلة وعلى آداب دينها وتقاليد عروبتها — تقاليد الاباء والحياء — وتلبس الطويل الساتر من الثياب وهى اليوم تربى على الروايات والمسرحيات والأغانى التى تعلمها كيف تحب ، وكيف تقع فى شباك الرجل ، أو توقع الرجل فى شباكها ، وكيف تتجرأ على مغازلته بجسدها المهتوك ، وكيف تحفظ قصائد الغرام وعبارات الهيام لتلقاه بها وتغمره فيها .

الست ترى — ياصاح — كيف تحولت أغانى اليوم من غزل الرجال فى النساء الى غزل النساء فى الرجال : دعوات وهتافات

صريحة جريئة ترسلها أصوات المغنيات الى الرجل تناديه (أنا هنا .. أو تقول له : أنا اجرى وراك من الباب للشباك .. أو تصيح : أنا بنت ١٦ سنة هو الكلام فى الحب حرام ؟ .. أو تتنهد : الواد أبوعيون كحيلة كان فايت من هنا آه كان فايت من هنا) .. **الى آخر ما نسمعه رغما عنا فى بيوتنا أو بيوت جيراننا بل فى الشوارع وفى السيارات التى نركبها من أصوات نسائية داعرةفاخرةتثير الغرائز والشهوات، وتفتك بالمروءة ، وتهتك ســـتار الحياء وتدفع بالشـــباب الى تلبية الدعوات والاستجابة للاغراءات** ، وهـــو بعد ذلك غير ملوم . والا فمن يلوم الجائع أن يسرق طعاما شهيا مبذولا .. لا حارس عليه ؟ وما يمنع البترول أن يشتعل اذا اوقدت الى جواره عـــود الثقاب ؟

ومع ذلك تصرخ الصحف والاذاعات فسد الشباب ، وخلعت البنات الحجاب ، وهى التى أفسدت الشباب وأخرجت الفتيات عن حيائها وأبائها بمقالاتها الداعرة وأغنياتها الفاجرة .

واذا كانت المرأة الغربية هى (جريمة) القرن العشرين فان المرأة المسلمة وبخاصة العربية فى طريقها لأن تكون (جريمة) القرن الرابع عشر .. والذين يرتكبون هذه الجريمة الشنيعة هم الرجال الذين يخربون بيوتهم بأيديهم .

المرأة هناك :

يزعم بعض كتابنا .. وتنشر بعض صحفنا ومجلاتنا : **أن الجهل بشؤون الغريزة الجنسية هو المشكلة الأولى وراء حوادث الطلاق المتعددة** ، فليس عندنا تربية جنسية سليمة ، لماذا ؟ لاننا شرقيون محافظون بل لأننا لم نتطور بعد .. وربما لأننا نخاف ادخال التربية الجنسية فى برامج التعليم حتى لا تثور اللحى والعمائم !

لنقف هنا مليا ، نتأمل مدى ما بلغناه نحن الشرقيين من غفلة وبلادة ، بحيث لا نتعظ بمصير سادتنا وكبرائنا الغربيين !

أليس عجيبا ومؤسفا فى وقت واحد : أن يرجع الغربيون الذين اتخذناهم قدوة فى كثير من معارفهم ومتارفهم عن نظرياتهم الخاطئة بعد أن شربوا تجاربها المرة — ونظل نحن نقاسى التجربة بعـــد التجربة ، وندعو الى نفس النظرية ، ونتهم أنفسنا بأننا ما زلنـا شرقيين محافظين ، وأننا لم نتطور بعد ، وأننا نخاف ثورة العمائم واللحى !

لقد نشرت مجلة الجيل المصرية أن فتاة أمريكية تحدثت الى رئيس تحريرها أنها مصممة على اللحاق بزميلها العراقى الذى كان يطلب العلم فى أمريكا ثم سافر الى بلاده على موعد معها بالزواج منها ، ثم قالت الفتاة الامريكية له : أنتم أفضل ألف مرة من الشباب الامريكيين ، وحياتكم العائلية أكثر استقرارا من حياتنـــا ، فأنتم تقدرون مسؤولية علاقتكم بالمرأة . ولـــكن الشبـــاب الامريكيين ينظرون الى الفتاة نظرة عابثة لاهية فهم يمضون أيامهم بلا روح وبلا عاطفة حقيقية ، وقد يخافون المرأة عندما تصبح زوجة لاحدهم ولكنهم لا يحملون فى أعماقهم التقدير الذى تحملونه وتحسونه نحو زوجاتكم »(١) .

ولن نقف طويلا عند كلامها الصريح الا كلمة موجزة نريد أن نتدبرها .. ونتحدث حولها وهى قولها : **أن شبابنا ينظرون الى الفتاة نظرة عابثة لاهية ..**

فقد انتقلت الينا فى الشرق عدوى هذه النظرة العابثة اللاهية الى الفتاة ، فالفتاة لم تعد فى كثير من البلاد الشرقية كنصف يكمل نصفه الآخر ، ولم تعد كرفيق فى رحلة الحياة الشاقة ، أو شريك فى حمل متاعب العيش أو معين على انجاب الذرية الصالحة النافعة للوطن والأمة والدولة ..

وانما أصبحت المرأة فى أكثر بلاد الشرق — بحكم العـــدوى الوافدة من الغرب — تطلب للاستمتاع العاطفى ، واللهو الغرامى، ومن ثم ذهب أنصارها — وهم أعداؤها فى الواقع — كل مذهب ..

---

(١) ابريل ١٩٦٢ م .

يدبرون لها المهاوى والمزالق والمهالك باسم الحريـــة والمســاواة والكرامة ..

اصبحت المرأة فى بلاد الغرب ، وفى كثير من بــلاد الشرق بفعل العدوى الغربية متعة وسلعة .. **فهى متعة لمشاهدى الافلام السينمائية ، وقراء الصحف والمجلات وهواة الصور العارية ،** حيث تحتل المرأة وقصصها الغرامية ، وجسدها العارى ، وأنوثتها المبتذلة ، ومغامراتها الغرامية ، وزلاتها الخلقية ــ مكان الصدارة من هذه الافلام ، والمجلات ، والصور الاستغلالية التجارية ..

وهى متعة لمنظمى مسابقات الجمال التى تتكشف فيها الفتيات باديات الصدور والظهور ، ناهدات الثدى والارداف .. وهى سلعة لطلاب البغاء الرسمى والسرى ، ولاصحاب المتاجر ومعــارض الازياء ، حيث تشترى المرأة أو تستأجر لقضاء الغرض الجنسى ، أو للاعلان عن البضائع والسلع ، والترغيب فى الشراء والاقتناء .

وفى أمريكا تألفت لجنة للبحث فى جرائم الاحداث من الجنسين .. فتبين لها أن فتيات الجامعات الامريكية ، اتخذت من الصور العارية والافلام ، والكتب المخلة بالاداب تجارة رابحة كما أعترفت بعض الشاهدات انها كانت وزوجها يزاولان هذه التجارة ويبعثان الصور العارية بطريق البريد الى هواتها وان فتيــات جامعــات كاليفورنيا كن يتقدمن بالمئات لالتقاط صورهن وهن عاريات ..

وهذه هى (الكرامة) المزعومــة التى يدعى أنصـــار المراة المفترون أنها محرومة منها فى الشرق ، وانه يجب أن تتساوى مـــع أختها الغربية فى هذا الحق المكذوب .

ولعله مما يلفت النظر ، وينم عن الخـــطر : أن الجمعيـــة النسائية فى الهند طلبت من الغرفة التجارية ، وأصحاب المتاجــر والحوانيت ان يكفوا عن استغلال مظهر المراة وجسدها وصورها العارية فى مختلف الاوضاع على البضائع والمنتجات ، **لأن ذلــك يخدش** كرامتها ، ويذل مركزها الادبى والاجتماعى ..

وفى جنوب أفريقيا احتجت أحدى الجمعيات النسوية على عرض ملابس المرأة الداخلية فى فترينات المحال التجارية بطرق مثيرة ، لأن ذلك يخدش مشاعرها ، ويحط من كرامتها ، ويستوقف أنظار المارة فى الشوارع والطرقات ليتأملوا بخيالهم الفاجر مفاتن المراة ومواطن الشهوة منها .

اما (البغاء) الذى وفد مع الاستعمار الغربى الى الشرق فهو أول المعاول وأقواها فى هدم كرامة المرأة ، وكانت غاية الاستعمار الغربى من وراء أقراره رسميا فى البلاد التى أحتلها أن يفسح المجال أمام الرجال ليلهوا بالنساء ، وينغمسوا فى الالتذاذ بأجسادهن الحرام ، حتى يشغلوا عن مقاومته ومكافحته وأخراجه من أوطانهم .. وقد كان له ما أراد ..

ومن العجيب المؤسف أن يلغى البغاء الرسمى فى بعض البلاد العربية والاسلامية — فى عام ١٩٤٩ فيهب كاتب صحفى معروف ومعه أذنابه وأتباعه ، لينادى بأعلى صوته : أعيدوا البغاء !

ويزعم أن البغاء الرسمى المرخص به من قبل الدولة أسلم عاقبة من البغاء السرى ، فالأول يضمن الثقة فى سلامة البغايا من الأمراض السارية ، ولا كذلك الثانى الذى يباشر فى الزوايا والظلمات ..

وقد تناسى الكاتب الصحفى العربى(١) أن هناك شيئا أهم من الامراض السارية فى البغايا السريات : هو أعطاء القدوة العملية الجريئة للناس بأقرار البغاء العلنى تحت سمع الدولة وبصرها ، وبترخيص منها به ، وأشراف منها عليه .. وما يقترن بذلك من اذلال كرامة المراة وجعلها سلعة تباع وتشترى ، بل أقل من سلعة ، فالسلعة لا يقذف بها مقتنيها بعد دقائق معدودة ، كما يقذف الرجل

---

(١) الأستاذ محمد التابعى — الصحفى المصرى المعروف .

بالمرأة البغى بعد ان يقضى منها وطره الدنىء ، ويتداولها بعد ذلك ايد اثيمة واحدة بعد الأخرى ..

كما تجاهل الكاتب ما نزل به القرآن الكريم فى شأن هـــذه الجريمة الكبرى من قوله عز وجل : (**ولا تقربوا الزنا .. انه كان فاحشة وساء سبيلا**)(١) ولماذا كان الزنا فاحشة؟ وساء سبيلا ؟لأنه يذل كرامة المرأة ، ويشوه مروءة الرجل ، ويفسد الآداب ، ويخلط الانساب .

* * *

وهنا يحلو لى أن أعيد ما اسلفته من قول بأننا نحن الشرقيين مغفلون بلداء لا نتعظ بغيرنا حتى ولو كان هذا الغير أستاذنا الذى تعلمنا منه ، وقلدناه ، وسرنا على دربه ..

فقد قامت قيامة بعض الهيئـــات الاجتماعيـــة والاخـــلاقية والصحفية فى بعض البلاد الغربية على البغاء الرسمى وأنكرته ، ووصفته بأنه أعلى درجات الاهانة للمرأة وأول وسائل الفســـاد الاخلاقى للشباب . وتردد نبأ من مدريد أن مجلس الوزراء الاسبانى وافق على قانون بتحريم البغاء وسحب تراخيص البغايا ، وقفل بيوت الدعارة فى أسبانيا(٢) .

ان فى ذلـــك لعبرة لأمثال هـــذا الصحفى العـــربى الذين ما زالوا يمسكون بتقاليد الغرب ، التى بدأ الغرب يتحلل منهـــا لفسادها . وعبرة كذلك لبعض البلاد العربية التى ما زال البغاء العلنى والسرى .. يجرى فيها على قدم وساق .

حول الاختلاط !

اوجزنا ــ فى الفصل السابق ــ الكلام عن حجاب المرأة كما

---

(١) سورة الاسراء : ٣٢ .

(٢) كان ذلك فى عام ١٩٥٩ م .

شرعه الاسلام ، ونتحدث الآن عن مزيد من تجارب سفور المرأة واختلاطها بالرجال فى مجالات التعليم والتوظيف ــ تلك التجارب التى مرت ببعض البلاد الغربية التى يتخذها الشرقيون قدوة فى الحضارة، وبعض البلاد الشرقية نفسها التى وقعت فى خطأ هــذا الاقتداء الكفيف ، أو التقليد الاعمى .

حدثتنا منذ أعوام معدودة المربية المصرية اسماء فهمى التى كانت تعمل بوزارة المعارف بمصر على أثر رجوعها من رحلتها الى امريكا **(أنه توجد هناك ١٥٤ كلية خاصــة** بالبنات **وقــالت : ان الامريكيين يرون الآن أن الاختلاط يشغل الفتيات عن انجد والنشاط العلمى بالملابس والزينة وما الى ذلك ، مما لا يفكرن فيه عندمــا يفتقدن الفتيان) .**

هذا ما يحدث الآن فى أمريكا . احدى الدول الغربيــة التى يقدس الشرقيون حضارتها وثقافتها وينهجون مناهجها فى أباحــة الاختلاط ويخطون خطواتها فى تحرير المرأة دون قيد أو شرط .. ومعنا الآن أيضا **اعتراف طبيبة أمريكية تعمل فى بعض الدول العربية بخطأ المذهب القائل بتثقيف الفتيات والفتيان الثقافة الجنسية فى المدارس(١) .**

قالت الطبيبة الامريكية ما معناه : (أن الآلام التى تلازم المرأة عند الوضع هى الضريبة الأولى التى تدفعها الأم فى معركة حبهــا لولدها .. وهذا هو الفرق بيننا وبينكم نحن فى أمريكا ننظر الى عملية الوضع كأنها وليمة غداء أو عملية تنظيف معدة .. فنساؤنا لا يرين فى عملية الولادة غير حركة أوتوماتيكية لا بد منها عندمــا يصل الجنين الى شهره التاسع وذلك بفضل التخدير وحقن المورفين المخففة لاوجاع التوليد ..

---

(١) جريدة (الأخبار) المصرية ١٣٧٥/٧/٣ هـ .

ان عواطفكم فى هذا الأمر خير من عواطفنــا وحبكم لأولادكم أكثر من حبنا لاولادنا .. ولئن كانت نساؤكم فى الشرق لا يعرفن عن اسرار الحياة الجنسية بعض ما تعرفه فتيات أمريكــا ، فأنى اقول بضمير مرتاح انه خير لكم أن تئنوا تحت وطأة الجهل من أن تنعموا بهذه المعرفة ..

اننا نلقى على فتياتنــا الامريكيــات الــدروس لتعريفهن دقائق الحياة الجنسية فلا تلبث الواحدة منهن أن تخرج من قاعــة المحاضرات ، باحثة عن اول صديق ، واقرب زميل ، لتمارس معه النظريات الجنسية التى تعلمتها فى غير مبالاة كأنها تشترك معه فى رواية تمثيلية أو تتفرج على لعبة (فولى بول) وتكون النتيجــة الطبيعية لذلك مزيدا من العبث ، ومزيدا من الانحلال !) .

ثم قالت الطبيبة الامريكية : (يعجبنى فى المرأة الشرقية ثقتها بنفسها وثقتها بأن الجنين الذى فى جوفها هو ولدها الشرعى من والده الشرعى ..) .

فلنتأمل اعتراف الطبيبة الامريكية بخطأ التعــليم الجنسى ، وما يترتب عليه ــ بسبب الاختلاط بين الجنسين ــ من مبــادرة الفريقين الى اجراء التجارب العملية لتطبيق النظريات الجنسية فور خروجهما من قاعة المحاضرات .

ولنتدبر ايضا اعترافها بشرف المرأة الشرقية المحافظــة .. واغتباطها بما تشعر به هذه المرأة الشريفة حين وضعها لجنينهــا من ثقة بأنه ولدها الشرعى من والده الشرعى .

أفليس معنى هذا أن الاختلاط هناك وما يجرى خلاله مــن تجارب عاطفية ــ قبل الزواج ــ قد أوهى من عرى الثقة التى يجب أن يتبادلها الزوجان ، والتى بدونها لا يكون لحرم الزوجية قداسة ولا لعرشها احترام ..

تلكم هى المدنية الغربية التى ما يزال بعض الشرقيين يأكلون

على موائدها ويشربون من مناهلها ، ويتثقفون ثقافتها ويتقلدون تقاليدها قد أعلنت أفلاسها واعترفت بخطأ تجاربهـــا ، وصدقت بلسان مقالها على سلامة المنهاج الاجتماعى الذى شرعه الاسلام .

* ★ *

أما تجارب بعض بلاد الشرق فى أختـــلاط الجنسين ، فهى أدعى الى أخذ العظة منها ، والاعتبار بها ..

فقد ثبت بعد تحقيق أجرته مجلة (الاثنين) المصرية(١) أن الاختلاط فى الجامعة مشغلة للفتيان والفتيات عن الدراسة الفعالة ، والتحصيل العلمى .. **وروت المجلة عن طالبة بكلية الحقوق** : أن زميلها الفتى يقضى هذه المرحلة من التعليم مفكرا فى جد وأهتمام ، فى اقرب طريق لعقد صفقات تمارف مع الطالبات تبرأ منها الزمالة العلمية الحقة .. وقد طلب أحدهم مرة كراسة محاضراتها بدعوى حاجته لنقل ما فاته من الدروس ، ففوجئت به وهو يعيدها اليهـــا وقد دس بين أوراقها رسالة غرام عابث رخيص(٢) .

وقالت طالبة أخرى فى كلية الآداب : ان بعض زملائهـــا فى الكلية لم يأتوا لطلب العلم ، وأنما أتوا ليطلبوا القرب من الطالبات فهم يتأنقون الى حد مبتذل ويمضغون اللبان ويستعرضون زميلاتهم أستعراضا لغزو قلوبهن !

وشكت طالبة ثالثة من حرص زميلها على ركوب الاوتوبيس الذى تركبه كل صباح وأصراره على أن يجد لنفسه مكانا بجوارها وطلبه أن يحمل حقيبتها !

وأنحت طالبتان أخريان باللائمة على زميلاتهن اللاتى يلطخن وجوهن بمواد الزينة ، وهن فى طريقهن الى الجامعة ، ويرتدين من

---

(١) يناير ١٩٥٦ م

(٢) والآن فى سنة ١٩٧٦ تذكر مجلة (صوت الجامعة) أن الطلاب يحملون الخناجر ويتقاتلون بها فى سبيل الغرام بزميلاتهم الطالبات الكاسيات العاريات !!

الملابس الضيقة والخفيفة ما لا يتناسب وقدسية العلم ويحرصن على احاطة أنفسهن بأكبر مجموعة من الزملاء المعجبين المغرمين .

وقالت السادسة : أنه مما يؤسف له أن بيننا زملاء ما يزالون — رغم انهم فى الجامعة — أطفالا فهم يطاردون زميلاتهم الى بيوتهن ، وينشدونهن من قصائد الحب والغزل ما لا يرضاه الذوق والخلق ..

وحدثنى صديق يقيم فى بلد عربى ، وهو على صلة وثيقة بحكم وظيفته بطلاب بلده الذين يتلقون العلم هنساك : **أن الطالبات الجامعيات يسوق بعضهن بعضا الى مساكن الطلاب من أجل حب غير برىء !!**

وكان الدكتور مصطفى السباعى عميد كلية الشريعة السورية يزور بعض بلدان أوروبا .. وكان من حديث رحلته أنه زار الجامعة الكاثوليكية فى بلجيكا وسأل عميدها عن رايه فى الحالة الاخلاقية وأثر الاختلاط بين الاناث والذكور فى التعليم ؟ فكان جواب العميد الاوروبى (أن الحالة الاخلاقية خطيرة بحيث نعجز عن معالجتها ، وكل ما نستطيع أن نفعله هو أن نخفف من حدتها بالتربية الدينية التى لها أثر كبير فى السلوك الاخلاقى) !

ونشرت مجلة (الشهاب) السورية التى روت حديث رحلة الدكتور السباعى .. رسالة لمراسلها فى لندن يروى فيها عن مراسل جريدة (الديلى أكسبريس) فى نيويورك **(أن ثلاثة آلاف طالب من جامعة كاليفورنيا قاموا — وهم فى البستهم الداخلية — بهجوم وحشى على بعض طالبات الجامعة وهن فى غرف نومهن — وأضافت صحيفة الطلبة (الديلى كليفورنيان) أن — الطالبات قد ضربن واعتدى عليهن ، وحملن الى خارج غرفهن وهى فى مناماتهن ،وبعضهن عاريات ، وقلبت السرر ، ورميت الفرش من النوافذ) .**

* ★ *

وهناك المزيد من تجارب المجتمعات العربية ، ودراساتها ودروسها ، فقد نشرت جريدة عربية فىأحد أيام رمضان الذاهب كلمة ينتقد بها كاتبها وضع الطالبات فى جامعات بلاده قائلا :(**ترددت على أكثر من كلية جامعية هذا الأسبوع ، وكان أول شىء وآخر شىء لفت نظرى داخل الكليات ، وفى أفنية الجامعات هو خروج الطالبات على المألوف الى حد يبعث الخجل ويدفع للتفكير فى وضع حد لهذه التصرفات التى لم يفلح (رمضان) فى سترها**(١) .

● **ثم صور الكاتب منظرا متكررا رآه عشرات المرات لطالبة منفردة بطالب وراء شجرة** أو فى ركن من أركان الكلية ، أو خلف سيارة وهما منصرفان الى حديث طويل يدور همسا ولا يمكن أن يكون موضوعه العلم لأن حركات الوجوه والعيون تنم عنه وتفضحه!

● **ومنظرا آخر لطالبات يؤكد الطالب أن الواحدة منهن وقفت أمام المرآة ساعتين** قبل أن تجىء الى الكلية لكى تضع على وجهها كل هذه الاصباغ .

● ومنظرا ثالثا لطالبات يلبسن ثيابا تظهر الفتنة ، وتغرى **الشباب** ، ولا يليق الظهور بها حتى فى دور اللهو !

وأنا لست مع الكاتب فى القاء الملام على الطلبة والطالبات ، أفئدتهم وأجسادهم كلها شحنات وطاقات من شباب وعاطفة غريزة لا يمنع تفجيرها الا الدين — لو كان موجودا — والا فالعزل ين السالب والموجب هو الذى يخمد حريقها ويشمل بالامن طريقها . **وأنما الملوم : أولئك الذين يهيئون الأسباب ويفتحون** أبواب ويشعلون عود الثقاب ، ثم **ينتظرون — عبثا — من النار الا** حرق .. **ومن الذئاب الا تفترس !!**



---

(١) جريدة (الأخبار) المصرية ١٩٥٨ فى رمضان ١٣٧٦ هـ .

ليس هذا الكلام الذى أقوله من عندياتى وأنما هو كلام الذين أكتووا بتلك النار ، وجربوا أفتراس الذئاب .

نشرت مجلة (المصور) بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٥٦ استفتاء اجرته بين طلبة الجامعات المصرية وطالباتها .. جاءت نتيجته **أن ٦٥٪ منهم قرروا أن تفكيرهم فى الجنس الآخر أثناء الاختلاط يؤثر على دراستهم** ، اذ أن ثلاثة أرباع وقت فراغهم يضيع بحثا عن الحب واللهو ، لذلك يرون أنشاء جامعات خاصة بالبنات . وقال الدكتور امير بقطر عميد معهد التربية بالجامعة الامريكية فى مصر — فى خاتمة الاستفتاء — أن بعض بلاد أوروبا تفصل بين الجنسين فى المدارس الثانوية ، وكذلك اليابان .

التعليم غير التقويم ؟

وكما يخدعنا الاختلاطيون — بل أنفسهم يخدعون — فيزعمون أن الاختلاط من شأنه ترميد لهب الغريزة الجنسية ، يخدعوننا مرة أخرى حين يزعمون أن التعليم من شأنه أن يرفع بعقل المرأة عن مستوى عبث الغرائز ولهو العواطف ..

وقد رأينا — فيما سبق — كيف أن التعليم وقدسية المكان الذى يجرى فيه ، وهيبة الاشخاص الذين يقومون به — لم تمنع كل ذلك فتيات الجامعات من وضع الاصباغ على وجوههن ، وحمل المرايا فى حقائبهن للتطلع بين لحظة وأخرى الى منظرهن ، واصلاح ما اضطرب من نظام شعرهن وإعادة صبغ مانصل من أحمرهن .. ولم يمنعهن ذلك عن لبس الثياب الشفافة القصيرة ـ ولم يمنعهن بالتالى من تبادل لنظرات الهوى ، وهمسات الغزل ، فيما بينهن وبين الشباب .

● **ان التعليم شىء ، والتقويم شىء آخر** ، ولا يلزم ازدياد العلم فى شخص أن يزداد خلقا حسنا .. والمسألة عندنا مسألة حياء .. والجامعات ليس من واجبها ولا من طبيعة اختصاصها أن تربى

الحياء فى نفوس الطلاب .. ولكن الذى يربى الحياء فى النفوس القدوة الحسنة فى التدين الصحيح فى الاباء والامهات والمدرسين .

● **وتقول الملكة دينا** وهى التى كانت طالبة جامعية ثم مدرسة فى الجامعة المصرية : **أن تأثير العلم فى عقل المرأة طفيف .. بدليل** انى قابلت سيدات لم يتعلمن ومع ذلك فهن أكبر عقلية وفهما وثقافة بمعناها الواسع من كثير من طالبات الجامعات(١) .

الانثى هى الانثى !

اذ كنا مخالفين لتوجيهات ديننا جهلا أو تعاميا عن قول الله عز وجل : **(وما خلق الذكر والأنثى ان سعيكم لشتى)**(٢) وقول رسوله صلى الله عليه وسلم: « **ان حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل كل مايقوم به الرجل من أعمال**..فها نحن الآن نسمع أو نقرأ مايقوله فى القضية ذاتها غير المسلمين .. **لقد قرأت فى مجلة المختار نقلا عن مجلة (تايم) الامريكية مقالا حول اختلاف الميول السياسية بين الازواج والزوجات** ، قالت المجلة (أن زوجة شابة تنتسب الى الحزب الديمقراطى الامريكى سئلت : كيف حلت مشكلة الخلاف السياسى بينها وبين زوجها الذى ينتمى الى الحزب الجمهورى . فاجابت ببساطة : **(أوه .. ليست هنالك مشكلة، لقد كنت مشغولة بأنشاء حزب جديد ، هو طفلى الأول) !**

أذن فالمرأة هى المراة .. كما خلقت أنثى ، فهى تعيش أنثى ، ولا مطلب لها فى الحياة الا الرجل والبيت والأطفال .

أنها تطلب العلم ولا تتمه اذا ما عرض لها خطيب فى أول الطريق أو وسطه ، وسحبها من يدها الى بيت الزوجية المنشود .. وهى تتحدث فى السياسة وتقيم على مبدأ من مبادئها وتختلف مع

---

(١) مجلة (آخر ساعة) فبراير ١٩٥٧ م .

(٢) سورة الليل : ٣ ، ٤ .

خصومها . وتحلم بدخول البرلمان أو أى منصب حكومى آخر .. ريثما يلوح فى أفقها فارس الاحلام ، الذى يريحها من هذه المتاعب التى لا تطيقها ، لانها لم تخلق لها ، والذى يعينها — فعلا — على انشاء الحزب الطبيعى وأقامة البرلمان الشرعى : (الاسرة السعيدة) وهى الفردوس المنشود لكل انثى فى حياتها الدنيا .

ان (سلامه موسى) فى كتابه : (المرأة ليست لعبة الرجل) يتحدث بغير أحساس المرأة ويتكلم بغير لسانها ويريدها ان تكون رجلا على الرغم منها — ولكن واحدة منهن ترد عليه بأبلغ رد ..

انها (سيمون دى بوفار) التى تقول فى كتابها **(الجنس الآخر)**: ان أدق أوصاف الحب عند المرأة ما قالته (سيسيل دى سوفاج) :
أن المرأة اذا أحبت فقدت شخصيتها ، وأنها تحس بالعدم اذا لم يكن لها سيد ، وهى كالباقة المنثورة والرجل هو الذى يجمعها !

وتأكيدا لمبدأ (الانثى هى الانثى) تقول هذه الكاتبة الفرنسية : ان المرأة مغرمة بأن تكون محبوبة مطلوبة منظورا اليها من الرجل !

ان الذين يدعون أن اختلاط الجنسين فى تلمذة أو عمل أو أى نشاط اجتماعى أو سياسى ، أو حتى عسكرى يبطل ما تفيض بــه طبيعة كل منهما من عواطف وهواتف نحو الآخر — يكابرون فى حقيقة ملموسة وينكرون واقعا منظورا ..

نشرت جريدة عربية .. (أن قيادة جيش التحرير أصدرت قرارا بوقف التدريب العسكرى النسوى — وهو قرار سار لأنــه اوقف مهزلة كانت بطلاتها بعض المتطوعات التى قلبن الجد الى هزل ولم يقدرن المسؤولية كمواطنات مجندات فى هذه الظروف العصيبة !

● **لا .. أنهن** — فى رأيى — مظلومات لم يقلبن الجد هزلا ، ولم يفتهن تقدير المسؤولية الوطنية كمجندات يتدربن على الحرب .

● **ولكن من يقول للجائع ظل فى المطبخ العامر بالاطايب بدون ان تاكل ؟**

● **ومن يقول للظمآن أقم على شاطىء المنهل العذب دون أن تشرب ؟**

● **ومن يقول للعارى انظر الى معارض الالبسة والاغطية دون أن تكتسى ؟**

● **ومــن يستطيــع أن يكتم فم المتثــائب ويختم على أنف العاطس ؟**

تلك – بلا ريب – مستحيلات فوق طاقة البشر .. وكذلك شأن الانثى مع الذكر – هى أنثى مهما استرجلت وهو جمل مهما استنوق ، والعواطف والهواتف فى أجسادهما تشدهما شطرا الى شطر .. مهما كان الجو الذى يسودهما مفعما بجد أو هزل ، وبفرح أو ترح وانما يخفف من ذلك الشد أو يستره الحياء والدين وقليل من الناس فى زماننا الحيى المتدين .

وحسبنا قول الله عز وجل الذى خلق الجنسين – وهو العليم الحكيم – (**علم الله أنكم ستذكرونهن .. ولكن لا تواعدوهن سرا الا أن تقولوا قولا معروفا**)[1] أى تشتــــاقون اليهن وهن يشتقن اليكم فطرة الله التى فطر الجنسين عليها . ولا تبديل لخلق الله .

أو لم نسمع أو نقرأ : أن فتى أعجب بجارته وأحبها لأنها كانت حزينة دامعة ولأن ثيابها السوداء جعلتها كالقمر فى كبد السماء ؟

وفى الجانب الآخر سمعنا أو قرأنا أن فتاة أعجبت بزميلهـــا وأحبته لأنه كان فى لباسه العسكرى أو زيه الرياضى بادى القوة والفتوة ؟

وسمعنا – كذلك – وقرأنا ان فتياننا وقفت بين أيديهم فتيات بائسات محتاجات . وبدلا من أن يقفوا معهن موقف الحياء والمروءة طمعوا فى أعراضهن التى أفقدتها الحاجة حماها المنيع ..

وبالعكس .. اغتصبت فتيــات من بيوت عــامرة بالاسر

---

(١) الآية من سورة البقرة : ٢٣٥ .

السعيدة رجالها للزواج أو الصداقة ! ولم يعبأن بما أقترفن من تخريب وتفريق .. لنساء تلك الاسر وأطفالها .

ان العواطف والهواتف الجنسية فى كل من الرجل والمراة لا تعرف جدا ولا هزلا ولا فرحا أو ترحا .. حين تطلب ما سخر لها من غذاء ورواء وشفاء ، وحين تجده قريبا منها ميسورا لها .

ولدينا مظهر آخر من صدق العواطف والهواتف الجنسية .. فيما ابتدعه المتحضرون من اباحة (المراسلة) بين الفتيان والفتيات .. أنهم يزعمون أن أدب المراسلة هذا هدفه تبادل المعلومات والمعارف الاجتماعية والسياسية والعلمية بين المتراسلين والمتراسلات حتى أن احد الذين يتولون منصب الفتيا بأحدى البلاد العربية قال : انه لا اعتراض له على ان تراسل ابنته شابا أجنبيا عنها اذا كانت هذه المراسلة لا تتعدى الحدود العلمية ، وقال عميد احدى الكليات فى تلك البلاد .. أنه يرحب بمراسلة ابنته الفتى الأجنبى ، لأن ثقافتها ستزداد ، ولأنها ستجد دليلا مرشدا فى بلد صديقها اذا سافرت اليه ، أما هو فسينزل ضيفا عليها فى بيتها اذا قدم الى بلدها !

ودعونا هنا — كما تعودنا فى دراستنا هذه — نأخذ الحكمة فى أمورهن من أفواههن .. فقد كان رأى الدكتورة بنت الشاطىء ، وهى مدرسة جامعية ، ومؤلفة وناقدة اجتماعية ، وباحثة فى الادب والتاريخ — فى بدعة المراسلة : **أنها لا تسمح لابنتها بأن تراسل فتى أجنبيا لأن بيئتها وظروفها لا تجعل هذا التراسل ضروريا أو مأمونا** ..وأنها تفعل ذلك عنتجربةرشيدة ،وأمومة ناصحة مخلصة.

فمن أصدق قيلا واحكم نصحا واسلم تجربة ؟ هذه المراة الرشيدة التى هى أدرى بالعواطف والهواتف فى طبيعة الفتاة ، ام أولئك الرجال المخدوعون بأساليب الحياة الغربية الحديثة ، الذين لا يبالون شيئا من هدم دين ، أو انحلال خلق ، أو انهيار اسرة — وانما يبالون فقط أن يتهموا بالرجعية والجمود ، لذلك فهم مسارعون

مدفوعون الى التقليد فى التمدن الزائف – ليقال : أنهم عصريون وكفى !

* * *

وهذه كلمة أخيرة فى بدعة (المراسلة) نشرتها صحيفة عربية لأحد قرائها جاء فيها : ان معظم الرسائل التى يتبادلها شبابنا مع شباب البلاد الأخرى لا تخرج عن مراسلات خاصة بين فتيان وفتيات – عن العواطف ، والخواطر ، والامانى ، والاحاديث الشخصية ولا شيء فيها من تبادل المعلومات والمعارف والاخبار العامة !

ولعلنا لا يفوتنا السر فيما نلاحظه من رسائل الشبان فى أبواب التعارف التى تفتحها بعض المجلات والصحف العربية – من حرصهم على التعارف بالجنس الآخر ، حتى اذا تم ذلك تبادلوا الصور والقصائد الغزلية معهن !!

ولو كان هؤلاء صادقين فى طلبهم معلومات ومعارف وأخبارا عامة ممن يراسلونهن فى البلاد الأخرى .. **لكفاهم أن يراسلوا شبانا مثلهم** .. ولكنهم انما يطلبون اعجابا وغزلا ، ولعلهن يطلبن كذلك !

ولا عليهم ، ولا عليهن من هذا فالانثى هى الانثى والرجل هو الرجل ، وانما على الذين يزعمون أنفسهم قادة وسادة ومسؤولين عن ترشيد المجتمعات أن يصونوا رجال الغد ، وأمهات المستقبل من هذا العبث واللهو والمجون – ولينتصح فتياتنا بموعظة القرآن الكريم :

● فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض .. وقلن قولا معروفا(١) .

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٢ .

حول المساواة ؟

لقد كان من ثمرات دعوى المساواة بين الجنسين جراة المرأة في اقدامها على غشيان مجتمعات الرجل ، والاتصال به ومحادثته ، بل ومغازلته في غير تحفظ ولا حياء ..

وكان من حقها — كما زين لها حملة دعوى المساواة — أن تتخذ من الرجال أخدانا ، ترافقهم وتزاورهم ، في مجال التعليم والعمل ، وفي الملاهي والاسمار والرحلات البعيدة .

وأنكر هنا استصراخ أحد الطلاب في الجامعة المصرية[1] اذ قال : (ان الاختلاط شر وبلاء مستطير يعود على الامـه بالضرر الكبير . ولست الوم شبابنا وانما الوم الذين أباحوا الاختلاط . وجهلوا أو تجاهلوا النذير النبوى : (أنه ما اجتمع رجل وامرأة الا كان الشيطان ثالثهما) كما نسوا أو تناسوا المثل القائل . كيف يجاور السمن النار ولا يسيح ثم نادى المسكين : رحمة باعصابنا فاننا بشر !) . وماذا بعد أن جاور السمن النار ؛ كما عبر الطالب المصرى آنفا ؟

● الجواب في أنباء الصحف عن حوادث انتهاك الاعراض والجواب أيضا فيما تصوره لنا الافلام السينمائية الغربية والعربية تحت أسم (أمهات غير متزوجات) وأسم (ابن حرام) محاولة بذلك معالجة مشاكل الاختلاط بين الجنسين في غير نطاق الزوجية المشروع .

● والجواب كذلك فيما كتبه الكاتب الانكليزى درجلاس في المجلة العلمية لجامعة كمبردج تحت عنوان (الرجعية النسائية في أمريكا) .. قال : ان المرأة الامريكية بحكم مساواتها بالرجل واختلاطها به تدير عصابات المجرمين والسفاكين ولا ترهب القانون،

---

(١) عن مجلة (آخر ساعة) يناير ١٩٥٤ م .

وتعمل وتسهر على كيفها وتندفع وراء الشهوات والموبقات ، وتغرى الشبان اغراء مباشرا على أرتكاب الجرائم فى سبيل حبها ، وتنشر الرذائل والفساد فى كل الاوساط ، ثم تساءل : أليست هذه رجعية تعود بالمدنية الى الوراء ؟ بل اليست هى فوضى اخلاقية تستغلها المرأة باسم الحرية ؟

كما كان من ثمار دعوى المساواة المزعومة بين الجنسين ان تجرأت المرأة فاقدمت على تاليف الاحزاب النسائية ، واصدار الصحف والمجلات ، واعلان المظاهرات .. لا فى سبيل اصلاح ما فسد من شؤونهن ، وتقويم ما أعوج من سلوكهن ، وأيواء الارامل واليتامى منهن ، وغوث المحتاجات الفقيرات وانما كل هذه الاحزاب والصحف والمجلات والمظاهرات النسائية فى سبيل المطالبة بحق المرأة فى المساواة مع الرجل .. تخرج كما يخرج ، وتلبس كما يلبس ، بل افضح مما يلبس ، وتصادق من تشاء وتعمل ما تريد ، وتغشى الاندية العامة كما يغشاها الرجل . وأحيانا تنادى هذه الاحزاب والمجلات والمظاهرات النسوية بالاستنكار من أجل قضية سياسية ليس من شانهن ان يتصدين لها ، وليس فى قدرتهن الفكرية والعملية أن يفلحن فى حلها ومعالجتها . وانما النية الخفية وراء ذلك هو أن يتكشفن ويبدين زينتهن للرجال ، ولتذكرهن الصحف وتردد الاذاعات أسماء الزعيمات منهن — فحسب !

أنهن فارغات الاذهان ، ولا أحب أن أقول أنهن ناقصات العقول ، وأنا صادق فيما أقول أذ لو أكتمل تفكيرهن لاستقام تدبيرهن لبيوتهن وأطفالهن وبعولتهن ، ولوجدن فى اختصاصاتهن مشغلة عن التوافه والرذائل من الأمور الحزبية والصحفية و لسياسية ، ولا كتفين شعورا واهتماما بما يؤدين من خدمة جليلة حين يجدن تربية الاولاد ، الذين هم للامة والدولة اليوم اساس وعماد ، وغدا قادة وحكام .

* * *

أجل أنهن فارغات حقا .. فارغات من تفكير ، وفارغات من توجيه وارشاد ، والملوم فى ذلك الرجل قبل المرأة ، فهو القــوام عليها زوجة ، وأختا وبنتا ــ كرهت أم رضيت ، وعلمت أم جهلت .
وصدق الخالق العليم الحكيم : **(الرجال قوامون على النساء .. بما فضل الله بعضهم على بعض ــ وبما أنفقوا من أموالهم) وليس هذا الذى أقوله عن قوامة الرجل على المرأة من توجيــه القرآن وحده ، بل هو ما يؤكده علم النفس الحديث** ، وتؤيده تجارب الواقع الملموس .. فقد روت جريدة (اخبار اليوم) (فبراير ١٩٥٦) وهى الجريدة التى تعتبر رسالتها الأولى هى تحقيق المساواة بين الجنسين ــ روت كلاما لعالم انكليزى مختص ببحوث علم النفس يقول فيه : أن المرأة (جارية) بغريزتها تحب الرجــل الذى يسيطر عليهــا ويسودها ، وتقبل عليه باسمة مهما عنف فى معاملتها !

ويضيف عالم النفس الانكليزى الى ذلك : أن نصف الامراض العصبية التى تشكو منها المرأة العصرية مرجعه كبت هذه الغريزة ، فى ظل ما منحته اياها المدنية الحديثة من حق المساواة بين الجنسين ــ وكثيرا ما تلجأ النساء العصريات الى التنفيس عن هذه الغريزة المكبوتة بالاهتمام بالازياء وتقليد الجارات والصواحب فيما يلبسن !

ويقول الدكتور أحمد زكى مدير جامعة القاهرة سابقــا أن النساء اللاتى نبهن فى المجتمع ما تقدمن الا بمعونة رجال ، وكــل ما يقال عن رغبة المرأة وقدرتها على التحرر والاستقلال لا يتحقق الا اذا وضعت يدها فى يد رجل يهديها السبيل[1] .

ثم يقول : والرجل الذى يأخذ بيد المرأة لتتقدم يدرك ادراكا تاما بأنها مهما تقدمت لن تتقدمه هو فهو لذلك لا يخشاها ، ولكن المرأة .. تخشى المرأة .. تخشى منافستها على الرزق ، وعلى المجد

---

(١) شغل بعد ذلك منصب رئيس تحرير مجلة (العربى) التى تصــدرها حكومة الكويت الى أن توفى سنة ١٩٧٣ م .

فلا تعمل أحداهن على تقديم الأخرى،ولا نجد بينهن قائدة ولا رائدة، فالقيادة أمر عسير . وهى عسيرة على الرجال فما بالها على النساء وقد كن فى شتى العصور مقودات مستسلمات ، ثم ان الزعامة لا تتفق واعز شىء تريد المرأة أن تحتفظ به ، وهو ان تبدو ابدا انيقة رشيقة .

● وقد أثبتت التجارب والوقائع رأى الدكتور أحمد زكى فى بعض النساء اللاتى حكمن بعض الدول غير الاسلامية(١) وصدق نبى الاسلام عليه أفضل الصلاة والسلام فى قوله : **(لا أفلح قوم ولوا عليهم امرأة)**(٢) .

* * *

وكان كذلك : من آثار دعوى المساواة بين الرجل والمرأة ان طلبت بعض الخوارج من النساء : بأن تتساوى المرأة مع الرجل فى الميراث ، وان يمنع تعدد الزوجات ، ويقيد الطلاق .. فلا يطلق الرجل الا عند القاضى . وهكذا نراهن تجاوزن الحدود ، واعترضن على الشريعة التى شرعها ربهن العليم الحكيم .. الذى خلقهن اناثا رقيقات ضعيفات ، ونشأهن فى الحلية ، وحملهن رسالة النسل الجليلة . وجنبهن بحكم تكوينهن الضعيف للطيف ويلات ما حمله للرجال من متاعب العيش ، وتدبير النفقة ، وحماية عروشهن الرفيعة من عواصف الأهواء ، وقواصف الأخطاء ..

● **« الا يعلم من خلق .. وهو اللطيف الخبير »**(٣) ؟
● **« الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى »**(٤) ؟
● **« أو من ينشأ فى الحلية ؟ وهو فى الخصام غير مبين »**(٥) ؟

---

(١) أمثال بندرنايكة رئيس وزراء سيلان ـ وأنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند ـ ومدام بيرون رئيسة الأرجنتين .

(٢) أخرجه الامام البخارى .

(٣) سورة الملك : ١٤ .

(٤) سورة الأعلى : ٢ ، ٣ .

(٥) سورة الزخرف : ٨ .

وليتهن يعتبرن بتجارب المدنية الغربية فيما يعترضن عليه .
بل ليت الذين يغررونهن من سفهاء الرجال يعتبرون .

ففى الحضارة الغربية يمتنع تعدد الزوجات .. ولكن الرجل لا يمتنع عليه أن يتخذ من الخدينـــات ما يشاء ، ليعرض بالحرام ما فقده فى زوجته الشرعية من جمال أو صحة أو خلق طيب أو مودة واخلاص ..

وفى هذه الحضارة يمتنع الطلاق الا بخيانة يثبتها الزوج على زوجته ، **وهو أمر عسير جدا .. بل يكاد يكون مستحيلا .**

حدثنى كهل مسيحى فى لبنان فى صيف عام ١٩٥٤ عن سبب اضرابه عن الزواج فقال : ان الزواج عندنا نحن المسيحين غل ثقيل، فالمرأة تتلاين وتتطايب حتى تكسب زوجا ، حتى اذا وضع الزوج الاكليل على رأسها فى الكنيسة خرجت هىلتضع فى عنقهالغل الباهظ فى البيت، فهى الحاكمة وهو المحكوم وهى الآمرة وهو المأمور ، تريد أن تخرج كما يخرج وتفعل كما يفعل وتريد الاختلاف الى الملاهى والأسمار ، وان شدد عليها خانته واذا خانته لم يستطع الفكاك منها الا بأثبات والاثبات حين يكون مستطاعا وقليلا ما يكون ، يصبح فضيحة وخزيا ..

وهنا نعود فنذكر بما أسلفنا ، فى الفصل الأول عن حكمة التشريع الاسلامى فى تنظيمه للطلاق وتعدد الزوجات .. بعـــد ما رأينا من تجارب تحريمها فى الاديان الأخرى ، وبعد ما سمعنـــا من دعوات التقليد فى مجتمعاتنا الاسلاميـــة الى تقييد الطـــلاق والتعدد ..

أن منمصلحة المرأة والرجلأن يفترقا اذا رأيا أنالفراقلابدمنه، ليختار كل منهما شريكا جديدا يتفق معه .

وقد اعلن برلمان الهند فى ١٤ أكتوبر ١٩٥٤ موافقته عـــلى

قانون بإباحة الطلاق اذا رضى الزوجان وكان الطلاق ممنوعا عند بعض الطوائف الهندية وقال الバنديت نهرو رئيس وزراء الهند سابقا تعليقا على القانون أن الفراق خير من بقاء زوجين على الرغم منهما بحيث يضمر كل واحد منهما للآخر الكراهية والبغضاء .

كما أن مصلحة المرأة والرجل أن يباح تعدد الزوجات فخير لامرأة دميمة أو مريضة أو عقيمة أن تشارك امرأة اخرى فى زوجها يرعاهما بالنفقة والحماية بميزان سواء ، من أن تطلق أو تعيش عانسا فى بؤس وحرمان .

وقد حاولت تركيا فى عام ١٩٢٦ أن تحذو حذو الغرب فى تحريم تعدد الزوجات ، فحدثت النتيجة بعد صدور القانون ببضع سنوات أن تفشت فى تركيا الولادات والزيجات السرية والوفيات المكتومة بصورة مفزعة .

* * *

امتيازات فوق المساواة :

أصدرت هيئة الأمم المتحدة قرارا : بأن عام ١٩٧٥ هو العام الدولى للمرأة — وفى بعض بلادنا العربية يعتبر شهر مايو : شهر المرأة !

ولا نريد أن نكرر ما قلناه مرارا : من أن وراء الحديث عن المرأة ، وجعل الحبة قبة فى الحديث عن حقوقها المهضومة والمزعومة، واثارة بعض المشكلات المفتعلة حول تعليمها وتوظيفها ، والمطالبة بمساواتها مع الرجل فى كل شىء — ان وراء كل ذلك سياسة مرسومة، ومخططا مدروسا لشغل المسلمين عن أهم قضاياهم ، وأخطر مشكلاتهم ، ولاخراج النساء العربيات والمسلمات من حماهن المنيع الرفيع ، وزجهن فى حماة السفور والاختلاط وتشتيت شمل الأسر العربية والمسلمة ، وتضييع الأولاد اناثا وذكورا .. كما حدث فعلا ، وكما هو قائم أمام أعيننا وأسماعنا فى أوروبا وأمريكا والبلاد العربية والاسلامية التى سرت اليها العدوى .. باسم

التقدم العلمى ، والتطور التكنولوجى وضرورة اشتراك المرأة مع الرجل فى كل عمل ووظيفة وميدان !

ونكتفى هنا بتلخيص كتاب جديد للطبيبة النفسانية الالمانية (استير فيلار) بعد كتابيها «**الرجل المروض**» و (**الجنس المتعدد للأزواج**) اللذين انتصرت فيهما للرجل المضطهد والمستغل من قبل المرأة ، كما طالبت فيهما بأن يكون للرجل اكثر من امرأة واحدة .. اى انها أيدت المبدأ الاسلامى (اباحة تعدد الزوجات) ..

● فى كتابها الجديد و الثالث تحتج على قرار الامم المتحدة بجعلها عام ١٩٧٥ عاما للمرأة .. وتقول : ان وضع النساء فى الدول الصناعية الغربية لا يختلف عن وضع الرجال اطلاقا ، ان لم يكن أفضل منه ، بل هو فعلا أفضل منه ، لأن الجنس الخشن ــ اى الرجال ــ وليس الجنس اللطيف : هو الذى هضمت حقوقه !!

● وتقول استير فيلار : اذا كان هناك من يستحق أن تقام له ذكرى سنوية ، أو عام دولى فهو الرجل لا المرأة ، ذلك ان المرأة لاختصاصها بانجاب الأطفال خلق ذلك لها أوضاعاو امتيازات ليست للرجل ..

● فالأبناء والبنات منذ الطفولة يتلقون التربية والتوجيه من النساء ، سواء أكن أمهاتهم ام مربياتهم فى المدارس الخاصة . وبذلك تكون المرأة هى المحددة لمقاييس المجتمع مستقبلا ودائما ..

● والرجال هم الذين يقومون بالانفاق على زوجاتهم وأولادهم، ويحملون هم العمل والكسب . ونسبة النساء فى هذا المجال قليلة وضئيلة جدا .

● والرجال أيضا لانهم هم المكافحون المرهقون من أجل المعيشة وضمان مستقبل الأسرة والأولاد اعمارهم أقصر مننسائهم بمقدار ست سنوات . كما أن نسبة الانتحار بين النساء على نصف ما هى عليه عند الرجال .

● ان المرأة هى التى تحدد وجهة الاقتصاد فى مجتمعها ، لأنها هى التى تقرر معظم مشتريات الأسرة والبيت من طعا م ولباس وأثاث ، ولا يشترك معها الرجل فى ذلك الا نادرا وعندما تحتاج الى شىء من خبرته ومعرفته ..

● والسبب نفسه ، أى لأنها المستهلكة الكبيرة ، ولأن برامج الاذاعة والتلفاز تمول من الدعاية للسلع الاستهلاكيـــة ــ فان المرأة فى حمى منيع من انتقاد وسائل الاعلام والدعاية .

● ورغم تساوى الفرص التعليمية والثقافية أمام الرجـــال والنساء ، ورغم أن ٨٠٪ من الاطفال لا ترضـــعهم ولا تحضنهم أمهـــاتهم ، فان النســـاء لا يقمن بالعمـــل من أجل مســـاعدة الرجل على اعاشة أولادهما ، وانما تشتغل المرأة المتزوجـــــة لكى تكسب لنفسها بعض المال أو دفعا للضجر ، ورغبة فى الاجتماع بالرجال ..

● ثم ان عملها محدود دائما بوقت معين ، واجازاتها أطول وأكثر بسبب الحمل والوضع من أجازات الرجل رغم انهن يعشن أطول عمرا منه بمعدل ست سنوات ، فالنساء يتقاعدن قبل الرجال بخمس سنين (١) .

● مزية أخرى للمرأة .. هى أنها غير ملزمة بالخدمــــة العسكرية ، ولا ترسل الى ميادين القتال جبرا .

ثم تختتم (استير فيلار) كتابها بنداء توجهه الى بنات جنسها من النساء .. تدعوهن فيه الى الكف عن المظاهرات والمسيرات وحمل المشعل باسم تحرير المرأة ، وعن حفلات الفن النسائى ، والفضائح الكنسية ، واحراق حمالات الصدور .. لئلا يجعلن المرأة موضع السخرية ومثار الاستهزاء . فهن بما يفعلن يضعن أنفسهن فى مصاف المرضى والعجزة والأطفال ..

---

(١) صدر فى اليابان مؤخرا قانون بمساواة سن التقاعد للرجال والنساء معا .

هذه خلاصة لآراء (استير فيلار) عن المراة الحديثة فى الحضارة الغربية . وانها أسعد حظا من الرجل ، ومع ذلك ترتفع الأصوات هناك بطلب المزيد لها من الحرية والمساواة ..

وهذا الوضع الشاذ للمراة الغربية .. لا يهمنا نحن المسلمين الا بقدر ما يؤثر فى بلادنا وأوضاعنا الاجتماعية ، وفى أفكار المثقفين منا والمثقفات بحيث انساقوا فعلا وانقادوا حقيقة الى الدعوة نفسها والمطالبة ذاتها : بأن تكون المراة المسلمة كالمراة الغربية ، وان تسلك مسلكها شبرا بشبر ، وذراعا بذراع .. دون أن نتعظ بمساوىء خروج المراة الغربية — وبعض نساء العرب والمسلمين من البيت الى الشارع ، ومزاحمة الرجل على الوظائف والاعمال ، وما يصحب ذلك من مفاسد دينية واخلاقية وأسرية ..



لماذا اشتغلت المرأة ؟

تقول مجلة (**اللواء**) الأردنية — فى دراسة خاصة بتوظيف النساء — ان المراة الأوروبية اضطرت الى العمل بسبب ما افتقدته أوروبا فى الحربين العالميتين الأولى والثانية فيما بين عامى ١٩١٤ و ١٩٤٥ م من رجال يعدون بالملايين ، مدنيين وعسكريين ..

فكان عمل المراة اضطرارا لضمان معيشتها من جهة ، وللمساهمة فى تعمير بلادها اقتصاديا واداريا من جهة أخرى . ومع ملاحظة أن الرجال — فى الشرق العربى والاسلامى — مازلوا أكثر عددا من النساء،فان الاقبال على توظيفهن يزداد يوما بعد يوم فى كافة مجالات العمل — فهل هو مجرد تقليد للمسلك الأوروبى ؟ أم هناك ضروريات اقتصادية واجتماعية تضطر النساء الى العمل كالاشتراك فى تأسيس بيت الزوجية ، أو اعاشة الوالدين العاجزين ، أم انه مجرد خروج وسفور للمراة لمفارقة البيت والأسرة والأولاد ، للاختلاط بالرجال ، ومصادقة الفتيان فى المكاتب والأندية ؟

وجاء الجواب فى مقالة اخرى — فى المجلة نفسها — تحت عنوان : ((**مع احترامنا للمرأة**)) : ان المرأة تريد المساواة مع الرجل. مع أنها اذا عملت فى دائرة أهملت واجبها بالحديث مع صديقتها أو بالتطريز ، أو بحل المربعات أو بالمكياج تصلح به وجهها وعيونها وشعرها ، واذا قبضت راتبها ذهب معظمه الى النوفوتيه والمكياج وكل المستحضرات التجميلية .. فهى تهمل بيتها وأولادها وزوجها ، وتربك زملاءها فى العمل بخطراتها ونظراتها .. ان مكان المرأة الطبيعى : هو البيت حيث تؤدى من العمل الواجب كما يؤدى الرجل مع اختلاف فى النوع فقط .. أما الأهمية وعظم المسؤولية فهما فى ذلك سواء .

على أن المهم هو وجود أعداد كبيرة من الرجال العاطلين عن العمل ، وهم أحق به من المرأة التى قد تكون مكفية بزوجها أو أبيها أو أخيها .. أفلا نتخذ هذه الظاهرة سببا لتشغيل الرجال، واتاحة الفرصة لهم للمساهمة فى الانتاج ، وتقليص دور النساء فى مجال الوظيفة والعمل ، وإعادتهن الى محيط الأسرة والبيت والزوج والولد ؟(١) .



وفى مقالة ثالثة : ان المرأة تطالب « بالمساواة » مع الرجل .. ولكنها لا تطبق هذه المساواة الا فى المغانم .. أما المغارم فتتهرب منها ، وتعتذر عنها .. فالمرض موظف ، والمرضة موظفة ، وكذلك الأمر بالنسبة للطبيب والمدرس والمدرسة ، ولكن ماذا يحدث عندما يصدر قرار المدير العام فى هذه المؤسسات الصحية أوالتعليمية

---

(١) فى صيف سنة ١٣٩٦ هـ نادى الشيخ عبد الحميد كشك فى مصر « بعودة النساء الموظفات الى بيوتهن ، واعطاء أزواجهن علاوة زواج ، وتشغيل العاطلين من الرجال فى وظائفهن .. وبذلك تتحقق ثلاث مصالح : البعد عن مفاسد الاختلاط ، وتخفيف أزمة المواصلات ، وتشغيل العاطلين من الرجال » .

بنقل ممرضة او مدرسة أو طبيبة الى قرية قريبة او مدينة بعيدة عن مقر عملها ؟

أنها من فورها تصرخ وتطلب الاعفاء من النقل ، وتحتج بأنها (امراة) لاتحتمل الغربة والبعد عن الأهل والاخوة والأولاد !

لماذا اذن المناداة بالمساواة مع الرجل ما دام الاستعداد والاحتمال فى كل منهما يختلفان كما وكيفا ومجالا ؟ ! أهى مساواة فى المكاسب دون المتاعب ، وفى الانطلاق والحرية ... دون الارهاق والمسؤولية !!

ان المذهب الاجتماعى ــ وهو مذهب حديث ولكن جذوره قديمة ــ يقرر أن الناس من ذكور واناث يتضامنون بتقسيم العمل بينهم حسب اختلاف مواهبهم وقدراتهم ، ولا يفترض المساواة الكاملة بينهم فى كل الحقوق والواجبات ..

ولكن هؤلاء الضالين والضالات ، والشاردين والشاردات لا يعقلون .

الشذوذ الجنسى والخلقى :

يزعم النسائيون : ان الاختلاط بين الجنسين ، وقيام علاقات أو صداقات بينهما ، واطلاق حريتهما فى الالتقاء والاختلاء ــ كل ذلك أو بعضه يخفف من حدة غرائزهما ، ويهذب طباعهما ، ولا يبقى لنزوات الجنس بعد ذلك أثر أو خطر !

والعكس ــ كما أسلفنا ــ هو الذى يحدث ، بل حدث فعلا .. حتى اشتدت النزوات والغزوات الجنسية بين الاناث والذكور ، حتى أصابهما الملل والسأم والقرف من الجنس المضاد ، وذهب كل جنس منهما يطلب الارتواء من الجنس نفسه ، من زواج الرجل بالرجل ، والمراة بالمراة ، بل نزلا الى أسفل سافلين ، فذهب الرجل يطلب الرى الجنسى من انثى الحيوان ، وليس بعيدا ان تفعل المراة الفعلة نفسها مع ذكر الحيوان ــ وهذه بعض الأمثلة:

● **أمريكى أسمه (هوارد دالى)** قدم الى دار عمدة المدينة فوق فرسته ، وقال لضابط الأحوال الشخصية : أريد أن أعقد قرانى عليها ! وازاء دهشة الموظف المختص قال هوارد : اذا كان قانون البلدية لا يحظر الزواج بين شخصين من نفس الجنس ، فما الذى يمنع راعى بقر عجوز مثلى أن يتزوج فرسته المحبوبة ؟ وكانت ادارة المدينة بولاية (كولورادو) قد سجلت فعلا خلال الأسابيع الأخيرة ثلاثة طلبات زواج بين رجال ورجال ، وزيجة رابعة بين سيدتين(١) .

وهناك تحقيقات وتقارير صادرة عن مؤسسات أوروبية عن شذوذ المرأة اخلاقيا الموضوع نفسه نوجزها فيما يأتى :

● **أولا : نشرت الأهرام فى ١٣٩٥/٤/٢ نبأ عن تقرير أصدره مكتب التحقيقات الفيدرالية فى أمريكا يتحدث عن ارتفاع نسبة الجريمة بين الامريكيات ارتفاعا مذهلا وقال التقرير :** أن الاعتقالات بين السيدات زادت بنسبة ٩٥ فى المائة كما زادت الجرائم الخطرة بينهن بنسبة ٥٢ فى المائة هذا بالاضافة الى أن أخطر عشرة مجرمين مطلوب القبض عليهن كلهن من السيدات .. وذلك يعود الى نمو حركات التحرر النسائية كما أن منح المرأة حقوقا متساوية مع الرجل قد شجعها على ارتكاب نفس الجرائم التى يرتكبها الرجل ..

● **ثانيا : وهذه مجلة مارى كلير الفرنسية تقول فيها ميتى غريغوار :** أن الشذوذ الجنسى بين الفرنسيات ظاهرة سخيفة وفدت الى فرنسا من أمريكا حيث تنشط الآن الحركات المعادية للرجل من قبل النساء الخوارج .. ومع هذه الحركات النسائية الضالة الدعوة الى تكليف الرجل بعمل المرأة فى البيت كنسا وغسلا وطبخا

---

(١) الأهرام ١٣٩٥/٤/٢ هـ .

وتربية للاطفال ، وهى ظاهرة سخيفة فمنطق الطبيعة اوجد المراة لتكون رفيقة الرجل .. لا لتكون رفيقة المرأة .. رأى خروج عن الطبيعة شذوذ ، وهؤلاء النساء اللاتى يحاولن عزل الرجل عن المجتمع سوف ينتهين هن أنفسهن الى الانعزال عن المجتمع نفسه.

● **ثالثا :** وما حدثت عنه أو تخوفت منه مجلة «مارى كلير» ونقلته عنها مجلة الحوادث اللبنانية فى ١٩٧٥/٥/٢ م ذكرت جريدة الأخبار المصرية نموذجا منه اضطرار الرجل الفرنسى لعمل بدلا من زوجته فى البيت :

فقد قرر طبيب العيون الفرنسى (ريتشارد) التفرغ للحياة الزوجية ليكون ست بيت وتتفرغ زوجته للعمل والانفاق على الأسرة..
لقد استقال ريتشارد من وظيفته لأن حياتهما فى البيت لم تعد صالحة كما يجب .. وان البيت أصبح فى حاجة الى عناية أكثر .. ثم قال الدكتور ريتشارد أن والديه سخرا من تصرفه .. وقالا : انه ليس من المشرف أن يجلس الرجل فى البيت وأن تعمل الزوجة ، وأنهما لا يتصوران أن تنفق الزوجة على ابنهما الطبيب ..

● **رابعا :** نشرت جريدة الرياض فى ١٣٩٥/٥/١٣ صورة لشاب انجليزى كنموذج أو مانيكان لشركة بريطانية تعرض منتجاتها من مواد زينة خاصة بالشبان والفتيان .. وقالت الجريدة فى عنوان الخبر (الرجل الغربى يزحف نحو الانوثة) ثم تحدثت عن الشركة البريطانية مارى كوانت التى تنتج أدوات تجميل نسائية وقد عرضت مؤخرا أدوات زينة خاصة بالرجال .. الخ.

قلت : هذه نتيجة حتمية لا ريب فى وقوعها عندما تسترجل المرأة ويستأنث الرجل . وهذا ما حدث فعلا .. فى المجتمعات الأوروبية وما سرت عدواه الى مجتمعاتنا العربية والاسلامية . بل ما نراه فى بعض شبابنا السعودى — مع الأسف الشديد .

● **خامسا :** نشرت جريدة أخبار اليوم القاهرية أن حركة

قوية فى بريطانيا الآن تطالب ببقاء النساء فى منازلهن ، وعدم خروجهن الى ميادين العمل ، ويقول زعماء هذه الحركة : أن اشتغال المرأة خارج بيتها هو المسؤول عن تعاسة الأطفال وانحراف الاحداث وعن اصابة الأزواج بالعقد النفسية . لأنهم يشعرون باذلال كبريائهم عندما يرون الشيكات بأيدى زوجاتهم . ويؤكدون ان خروج المراة الى العمل يصيب الزوج بالقرحه المعدية بسبب تناوله الاطعمه المحفوظه بصوره دائمة(١) .

● وفى باريس انطلقت الدعوة الى انشاء ما يسمى (مدارس الآباء) حى يتعلم الازواج فيها أصول الطبخ وحضانه الطفل واداره شئون المنزل ، لينوبوا عن زوجاتهم فى حالة اضطرارهن للعمل خارج المنزل . ومن أجل الاستغناء فى الوقت نفسه عن (الخدم والمربيات) اختصارا للنفقات من ناحية ، وابتعادا عما يحدث من مشكلات اخلاقية بسببهم !

يحدث ذلك فى الوقت الذى يتحدث فيه الاخصائيون عن (نعمة) العمل المنزلى بالنسبة للمرأة :

يقول الدكتور ريموند رونالدسون المسؤول الطبى بمقاطعة تيسيد البريطانيه — فى كتاب اصدره عن صحة الرجال فقال — أن الأعمال المنزلية هى السبب فى امتداد عمر المرأة زيادة عن عمر الرجل . فالنساء يعشن مده أطول من أزواجهن بمقدار ست سنوات فى المتوسط ، اذ أن متوسط عمر المرأة هو (٧٢) سنة ، بينما متوسط عمر الرجل هو (٦٦) سنة .. فاعتقد أن الأعمال المنزلية التى تقوم بها المرأة حتى وهى فى سن الشيخوخة تمتص التوتر العصبى والقلق النفسى اللذين يسيطران على الرجل عادة بعد احالته الى التقاعد .

● قلت : ليت النساء العربيات المسلمات يستفدن من هذه الحكمة التى كانت أمهاتهن وجداتهن يعرفنها تمام المعرفة ، فكن يمارسن خدمة بيوتهن وأزواجهن وأولادهن بهمة ونشاط ، وعشن بصحة جيدة . وعافية كاملة ..

---

(١) يونيو ١٩٧٦ م .

يقول الدكتور سوليفان (D. R. Sullivan) : «**ان السبب الحقيقى فى جميع مفاسد أوربا وفى انحلالها بهذه السرعة هو اهمال النساء للشئون العائلية المنزلية** ، ومزاولتهن الوظائف والأعمال اللائقة بالرجال فى المصانع والمعامل والمكاتب جنبا الى جنب .

فهؤلاء النساء قد خلعن أنوثتهن ، وعكفن على هذه الوظائف والمهن اللائقة بالرجال ، فهذا السيد وهذه السيدة لا يستيقظان الا ويلتهمان فطورهما ويهرعان الى وظائفهما ، تاركين الأطفال الصغار نائمين فى مهودهم وفرشهم تحت عطف الأطباء وحنان الممرضات ، ويأكلان الغداء فى فندق مكاتبهما أو مصانعهما ، محرومين من كل لذة وطمأنينة وانتعاش بكل عجلة ونغص ، ثم يرجعان الى البيت مساء ، منهوكين قد نال التعب والجهد منهما كل منال ، فأنى لهما أن يعدا العشاء ؟ وهنالك يأخذ السيد طريقه لـ « الاستراحة » و « ازالة التعب » مع « صديقة » (Girl Friend) كما تأخذ السيدة كذلك طريقها مع « صديقها » (Boy Friend) الى ناد من النوادى الليلية أو الى مرقص من المراقص فيقضيان أكثر أوقات الليل والنهار خارج البيت ، ومن جراء ذلك لا يكاد يجد الرجل فى قلبه تلك السكينة التى لا يجدها الانسان الا فى جنب امرأته المطيعة المهذبة ، لشاعرة بمسئولياتها الواجبة فى بيته فحسب ، كما لا يكادان يجدان أى راحة وهدوء فى البيت بعد التعب القاسى والعناء الطويل المتتالى من مشاغلهما ووظيفتهما خارج البيت ، ولذلك فانهما يخوضان فى الخمر ليلفظا بلذتها الخادعة من أنفسهما شعور الحرمان والحزن والكآبة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان أولادهم « اليتامى» يحرمون كل عطف من أبيهم وكل حنان من أمهم وكلاهما على قيد الحياة .

وقد جر هذا كله الى المجتمع مئات المفاسد التى تهبط بالغرب الى الهاوية العميقة والى كل دمار وخراب بسرعة هائلة ، وهذا

الاختلاط الشامل هوالذى يعود اليه الفضل فى تهيئة جم غفيرمتواصل من أولاد الحرام الذين لا شغل لهم الا بث الخبث والفساد والانحطاط الخلقى كالاختلاس والارتشاء ، والخيانة والربا ، وتهريب الأموال والسوق السوداء على نطاق أوسع ، كما عم فى أروبا استخـــدام المسكرات بلا حد ولا قيد ، الشيء الذى تفككت منه عــرى المجتمع الأوربى » .

● **ويؤيــد الدكتور (اسولد شادز)** مــاذهب اليه الدكتور سوليفان من سيئات اختلاط الرجال بالنساء ــ فى كتابه « نفسية الجنس » .

✶ ★ ✶

ومن تراجعات الحضارة الغربية عن أخطائها وزلاتها ما عقب به (ويست مور لاند) عميد الكلية العسكرية الأمريكية على الدعوة التى أنطلقت أخيرا بالسماح للفتيات الأمريكيات بدخول الكلية ــ قال الجنرال العميد :

● **أن مثل هذه السخافة ستحرم الشباب من ايجاد الفرصة للالتحاق بالكلية التى أنشئت لتخريج جنود عسكريين يزاولونالأعمال الحربية** وأن هذا الدور لا يمكن أن تقوم به المرأة لضعفها الجسدى وقد يقول أحدهم أن بعض النساء أقوى من بعض الرجــــال قد يكون هذا صحيحا ولكن قد تجد واحـــدة من بين عشرة آلاف امرأة ، تتمتع بالقوة التى تؤهلها لتصبح محاربة كما لا أعتقد أنها تستطيع حمل عدة حقائب على ظهرها وتعيش فى الخندق أو أنهـــا تستطيع البقاء لمدة أسبوع كامل دون أن تستحم وتمشط شعرهـــا وتتزين » .

ومن غرائب المغالطات الاجتماعية التى يتذرع بها دعـــاة الشيوعية هذا الذى يقوله مؤلف كتاب (دور المرأة فى الاقتصـــاد السياسى) أن الأعمال اليومية التى تقوم بها المرأة فى البيت تمثل

مرحلة من العمل الذى تجاوزته الثورة الصناعية . . لأن راتب الزوج يذهب معظمه الى الزوجة كأجر على ما تقدمه له من خدمات بيتية .

لذلك يدعو مؤلف الكتاب الى تصنيع العمل المنزلى عن طريق تصنيع (المرأة) نفسها وذلك باشاعة كل انتاجها بما فيه (الأطفال) فى المجتمع الواحد كى نصل الى مرحلة متقدمة من التصنيع المنزلى.

وبذلك تتحقق الاشتراكية فى المرأة .. فتكون زوجة للجماهير الكادحة . . واما الجماهير الكادحة أيضا !

وهذا مثل آخر .. على أهداف الشقيقتين : الشيوعيةالدولية والصهيونية العالمية فى خبر أذيع من استراليا ان المرضين الرجال فى مستشفيات كونيز لاند رفعوا أصواتهم منادين بحرية الرجال ، ومطالبين بمساواة أجورهم مع اجور المرضات .. نظرا لانهم يتقاضون مرتبات تقل عن مرتبات زميلاتهم بحوالى ٩ دولارات .

وبالطبع بدأ التخريب الشيوعى والافساد الصهيونى قبل قرن أو أكثر عندما ارتفعت الأصوات والشعارات والمبادىء بحرية المرأة وباختلاطها مع الرجل وبتشغيلها معه وبانها قادرة مثله على ممارسة كل الأعمال وتلقى كل العلوم ومختلف الفنون و لسماح لها بتأليف الأحزاب والجمعيات ثم الاذن لها بالانتخاب للمجالس النيابية ثم ترشيحها هى لهذه المجالس فأصبحت عاملة وموظفة ونائبة ووزيرة بل حاكمة بأمرها فى دولتها !!

— ولم تكتف بمساواتها مع الرجل ..

— بل ارتفعت عليه ، فزادت وظيفة وأجرا ..

— وانعكس الوضع .. فأصبح الرجل يطالب بمساواته مع المرأة !!

وكنا نقول : استنوق الجمل ! فأصبحنا نقول : استجملت الناقة !

وانعكس الوضع الاجتماعي أيضا فى قضية أخرى .. قضية (المهور) التى هى حق طبيعى من حقوق الزوجة .. فقد أصبحت حقا للرجل تسعى المرأة وتكد وتجهد حتى توفره لخطيبها .

نقرأ الآن وما أكثر العجائب التى تلدها الليالى — أن الفتيات الهنديات غاضبات .. لماذا ؟ لا لأن آبائهن يشترطون مهورا عالية تعجز الفتيان كما هو الحال عندنا وانما هن غاضبات لأن الوضع عندهن معكوس .. فهن اللاتى يدفعن المهور للشباب وقد أصبح هؤلاء الشباب يتغالون فى المهور التى تقدمها البنات الراغبات فى الزواج منهم !!

واذا كان الرجال هنا يعجزون عن تدبير المال الكافى ليكون مهرا .. فما بالك بالنساء وفي الهند بصفة خاصة — وكما نناقش الأزمة أو الظاهرة او المشكلة فى بلادنا بالنسبة للشبان المعوقين عن الزواج بسبب المهور الطائلة يناقش هناك فى الهند رجال الجامعات والصحافة المشكلة نفسها بالنسبة للفتيات المعوقات عن الزواج للسبب ذاته .

ولا من يسمع .. ولا من يستجيب !!

ولا يحدث هذا فى الهند وحدها بل يحدث شبيه به فى بعض البلاد العربية التى انزلت النساء للعمل مع الرجال .. فأصبحن مطمعا اقتصاديا لهم وأصبحت الفتاة تسعى الى العمل او الوظيفة وتظل عدة أعوام تعمل وتكد لتحصل على المال الذى تستطيع به تجهيز نفسها واعداد بيت الزوجية .

.. والعواقب الوخيمة لتعليمها :

وأخيرا نتساءل : لماذا علمنا المرأة ؟

أجل .. هذا السؤال لابد من طرحه للاجابة عليه ..

— هل علمناها لتخلع الحجاب وتختلط بالرجال ؟ !

ـ هل علمناها لتعمل فى غير مجالها وتنصرف عن مسؤولياتها؟

ـ أم علمناها لترتكب نفس الأخطاء التى ارتكبتها أختها **فى** غير بلادنا ؟

ـ أم علمناها لتكتب فى الصحف والمجلات وتتحدث فى الاذاعات والتلفاز حول أمور ليست من اختصاصها ولاهى قديرة عليها ولا خبيرة بها ؟

ـ أم **علمناها** لتقف فى معـــارض الأزيـــاء للبيع والشراء ، ومحادثة الرجال الأجانب ؟

الجواب الصحيح : **اننا لم نعلمها لشىء من ذلك اطلاقا .**

- انما علمناها لنحقق لها كرامتها وشخصيتها ونعطيها حقها.
- وعلمناها لتتحمل مسئولياتها كما أخذت حقوقها .
- وعلمناها لتزداد حفاظا على حيائها وأبائها ..
- وعلمناها لتقوم خير قيام بوظائفها الأساسية كزوجـــة صالحة ثم كأم ناجحة .. وكمواطنة تعمل فى محيطهـــا الخاص ، وحدودها المرسومة وميادينها المعلومة .

فمن حق المرأة أن تعمل كمدرسة أو طبيبة أو ممرضة أو مولدة فى القطاعات النسائية حيث لا اختلاط بالرجال ، ولا مخافة من مفاسد التلاقى والتناجى فى المجال المحظور .



الأطفال هم الضحايا :

قلنا مرارا وقال المفكرون المسلمون المصلحون أيضا : انشعار (قضية المرأة) أو (عام المرأة) شعار مستورد من غير العالـــم الاسلامى من أوروبا وأمريكا .. حيث كانت المرأة وما تزال تطالب بحقوقها الاجتماعية والاقتصادية وحيث لا تقوم العلاقاتوالمسؤوليات بين الذكر والأنثى كما تقوم فى منهج التشريع الاسلامى .

ونضيف اليوم : ليس فى الاسلام ولافى المجتمع الاسلامى قضية رجل يضار امرأة ولا امرأة تضار رجلا وليس الرجل والمرأة فى المنهج التربوى والتشريعى الاسلامى خصمين متنازعين وانما هما شقان متلازمان متوافقان وقد أكد القرآن هذا المعنى الانسانى فى علاقة الجنسين فى قوله عز وجل : (**فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم ـ من ذكر أو أنثى ـ بعضكم من بعض**)[1] وهل هناك ابلغ من تصوير صلة المرأة بالرجل أو التعبير عنها فى قوله تبارك وتعالى : (**بعضكم من بعض**) ؟! أو من قول الرسول عليه الصلاة والسلام (**أنما النساء شقائق الرجال**) ؟ !

وقد زاد القرآن هذه الحقيقة الانسانية المشتركة بين الجنسين تاكيدا فى قوله عز وجل لأدم أبى البشر عندما خلق له زوجته (حواء) من ضلعه : (أسكن أنت وزوجك الجنة)[2] لأن الجنة لا تكون جنة للرجل وحده ولا للمرأة وحدها .. بل لابد من الرفيقين الطبيعيين أن يكونا معا لأن الله خلقهما كذلك وطبعهما على المودة والرحمة فيما بينهما .

ان المرأة والرجل كما يقول الأستاذ يوسف القرضاوى **متكاملان لا متضادان ولا متنافسان** وان فكرة التنافس والتضاد هذه لم توجد قط فى العالم الاسلامى ولا فى التاريخ الاسلامى ولا فى الفكرالاسلامى ..انما هى وليدة التقليد للحضارة الغربية والتأثر بالفكر الغربى .

ومن المؤسف أن يكون المسلمون سراعا فى تقليد الحضارة الغربية ، ثم لا يكونون سراعا فى تراجعهم عن هذا التقليد الأعمى . وهم يرون تراجع من قلدوهم واتبعوا آثارهم ، واعتنقوا أفكارهم .

● **تقول دراسة تضمنها تقرير بعضعلماء الاجتماع الفرنسيين أن المرأة هناك قفزت الى جانب الرجل ووقفت موقف الند ليس فى الحقوق ولا الواجبات** وانما فى الوظيفة الأساسية وتجاوزت ذلك الى ما وراءه وعندئذ تهشمت فى المجتمع الغربى صورة التكامل الانسانى تماما كما لو هجرت الألوان والظلال لوحة فنية أو كما

---

(١) سورة آل عمران : ١٩٥ .　　(٢) سورة البقرة : ٣٥ .

او هجرت الصورة الاطار · والذى حدث فى المجتمع الغربى أن هناك أنثى فقدت المضمون واحتفظت بالشكل او هى تحاول الحفاظ عليه والتمسك به ..

وهذا الوضع أصبح يشكو منه علماء الاجتماع ويخشون سوء مصيره وقد جاءت نذره الاولى بينهم فالرابط الأسرى أصبح مفقودا وبالتالى اصبحت القيم الانسانية مفقودة حين فقدت الانثى انوثتها او حين هجرت وظيفتها الطبيعية ، وهجرت التعامل الانسانى مع الوليد والطفل والزوج والحفيد والأم والأخ والأخت .. وفى فرنسا أيضا تعرض أفلام سينمائية ترتفع فيها الصيحات (ابعدوا الأطفال عن المربيات) وينتقد مؤلفوها الآباء والأمهات الذين يرمون أولادهم فى أحضان المربيات اللاتى لا يشعرن نحوهم بأى انتماء حقيقى ··

● **وفى المانيا أعلن أحد علماء الاجتماع رايه فى حل مشكلة الأطفال الضائعين بسبب اشتغال أمهاتهم وآبائهم معا خارج البيوت — وهو — أى الحل —** ايجاد أمهات بالايجار ، وأطلق عليهن اسم «**أمهات النهار**) .. ليخلفن الأمهات الحقيقات على أولادهن بالنهار حتى يعدن من أعمالهن ، ويقمن بتغذية الأطفال ، وملاعبتهم ورعايتهم .

ورحبت الأمهات العاملات بهذه الفكرة ، ووصفتها بأنها حل مثالى لمشكلتهن . ولكن فريقا من أطباء الأطفال فى المانيا أعلنوا بصراحة معارضتهم لهذا الحل ، وقالوا انه لابد من بقاء الأم فى البيت خلال السنوات الأولى للطفل حتى تتمكن من رعايته وصيانته . وتنميته نفسيا وجسديا .

وانعقد مؤتمر طبى — هناك — وجه الأطباء خلاله نقدا شديدا الى فكرة (أمهات النهار) وقالوا : ان الأطفال لذين يتنقلون بين أمهات حقيقات وأمهات مأجورات بين الليل والنهار . يتعرضون حتما لنوع من الولاء المتضارب الذى يشكل عقبة خطيرة فى وجه تطور الطفل ونموه اخلاقيا وعاطفيا ونفسيا .

وفى الوقت نفسه .. وتاكيدا لضرورة قيام الأمهات بحضانة

أطفالهن تأتى الأنباء من أقصى الشرق من اليابان بأن الأطباء هناك يقولون على علم ودراسة وخبرة وتجربة :

• أن التماس البدنى بين الطفل وأمه اثناء الرضاعة ... **يساعد** على تنمية **الاستقرار** العاطفى فى نفسيه مستقبلا كما أن الرضاعة الطبيعية من ثدى الأم عامل مهم لوقاية الطفل من الاصابة بتسمم الدم والالتهابات (١) .

لابد من العودة الى البيت :

أثبتنا فى فصل لاحق تعقيب الأستاذ محمد الصاوى محمد **الصحافى المعروف** — على ما حدث فى الدورة الأولمبية الرياضية التى أقيمت فى ايطاليا من اختلاط بين اللاعبين واللاعبات .. أدى الى افساد الدورة بسبب ما أثاره الاختلاط من ميول ورغبات طبيعية بين الجنسين .

ونذكر هنا بعض الآراء والنظريات المتشابهة ، لعل دعاة الاختلاط بين الجنسين فى الدراسة والعمل ، ودعاة **تشغيل** المرأة **على حساب اهمال بيتها وزوجها وأطفالها يعودون** الى **الصواب من قريب !**

يقول الأستاذ على أمين رحمه الله فى جريدة أخبار اليوم قبل ثلاثة شهور تقريبا فى زاويته اليومية **(فكرة)** يقول بالحرف الواحد ما يلى :

وندبت الفتاة الشابة حظها — قالت لى أن أمهات **الأمس** وجدات **الأمس** كن أسعد كثيرا من فتيات اليوم ، واذهلنى ان بنت اليوم تحسد بنت الامس على قيودها وعلى حجابها وعلى أنها لم يكن لها حق الانتخاب ، ولا حق الترشيح ولا حق أن تكون وزيرة فى مجلس الوزراء وبلا شك أن حياة فتاة اليوم أشق كثيرا من حياة الأمس . لا أحد الآن يقوم للمرأة فى الأوتوبيس ويترك مكانه لها لا أحد يفسح لها الطريق لا أحد يعرض عليها أن يحمل عنها حقيبتها الثقيلة وهى

---

(١) فى الفصل الثالث (خلاف وحوار) مزيد من التفصيل والتدليل حول الأطفال الضحايا .

فى طريقها الى القطار، الرجل يجد لذة فى معاملة المراة على قــدم المساواة وكأنه ينتقم منها وهو اليوم يطالبها بأن تعمل لتشارك فى مصاريف البيت .

لقد كانت المرأة تشعر بمتعة عجيبة وهى تقوم بواجبهـا كأم وهى تطهو ليأكل أولادها وهى تكد لتغسل ملابسهم ولكنها لا تشعر بمتعة حقيقية وهى تعامل معاملة الرجل وكل ما انمناه هو الا تفقد المراة المصرية فى تطورها هذا أنوثتها الرائعة ولا صبرها العجيب ولا قوة احتمالها . هذه الصفات الثلاث ميزة كبرى للمراة المصرية تمتاز بها عن كثير من نساء العالم .

ان الذين زاروا بلاد الدنيا يقولون أن المصرية هى اعظم ام فى الدنيا ، واصبر زوجة فى الدنيا ..

لقد كانت امهات الأمس اسعد من امهات اليوم لأن كل واحدة منهن كانت امنيتها ان تكون ملكة .. اى أن تكون اما !

وصحفى ثالث معروف كسابقيه بانه من (المتحررين) يقول كلمة حق فى القضية ذاتها أنه أنيس منصور يقول فى كتابــه (يوم بيــوم) :

● **أن اليتيم ليس هو الذى مات أبوه أو أمه .. ولكن اليتيم هو الذى لـــــه أب ولـــه أم ولكنه لا يشعر بهما** .. يريانه ولكن لا يلمسانه و يلمسانه ولكن بلاحنان .. فلاهما موجودان بالنسبة له ولا هو موجود بالنسبة لهما .. لان الرجل يعمل والمراة تعمل وليس عندهما متسع من الوقت لتربية الأطفال) .

● **ثم يامل أنيس منصور : أن يجىء ذلك اليوم الذىتعود فيه المرأة الى البيت لكى تكون أما لكى تساهم فى أنقاص عدد الأيتام)..**



تراجعات السابقين :

فى الفقرة السابقة روينا باسناد صحيح ما قرره ذوو الخبرة

من كبار الكتاب والصحافيين العرب وما أكدته أيضا تقاريروتحقيقات المؤسسات الأوربية والأمريكية عن ضرورة عودة المرأة الى بيتهـا وزوجها وأولادها .. ليعود الى الأسرة المحرومة المظلومة ظلها البارد الكريم ، ووفاقها الودود ، وشملها الجميع ..

ومن غرائب الأفكار وشواذها أمام تراجعات السابقين الى تلك **التطورات الاجتماعية** ، والنادمين عليها — أن يكتب (بعضنا) فى صحيفة يومية مناديا بانشاء دور للحضانة لأن المرأة السعوديـة سوف يأتى دورها للعمل من أجل وطنها .. ولابد فى هذه الحالـة من وجود هذه الدور لرعاية الأطفال والعناية بهم واعدادهملمراحل الحياة القادمة التى نرجو أن تكون حياة سعيدة ومزدهرة يسعـد الجميع بخيراتها » !

ثم يضيف من قبيل الاحتجاج أو الاستدلال على صحة ما يدعو اليـــه :

(**أن الأمم الواعية تهتم بالطفل حتى وهو فى بطن أمه** .. ثم تنشىء له دور الحضانة لتتفرغ الأمهات لأداء أعمالهن وواجباتهن .. لأن المرأة عندنا وهى نصف المجتمع لابد أن تشارك فى بناء وطنها ، وهى أصبر على العمل .. وأقدر على حسن الانتاج من الرجل .. وأمة لا تشارك المرأة فيها رجالها أمة قد عطلت أكثر من نصف قواها وأضاعت على نفسها فرصا من الرقى والتقدم لا يمكن أنتعوض) (١)

وسنقدم لهؤلاء النسائيين مزيدا من تراجعات السابقين قبلنا عن أخطائهم فى اخراج نسائهم عن الحدود الطبيعية والاجتماعية التى حددها لهن الخالق العليم الخبير .

● **يقول الأمير شارلز ولى عهد بريطانيا فى مجلة (البيت السعيد) أن هؤلاء النساء اللائى يطالبن بالمساواة مع الرجال أعتقد**

---

(١) عبد الكريم الجهيمان — فى جريدة « الجزيرة » ١٣٩٦/٤/٣ هـ .

انهن يردن أن يصبحن رجالا ناسيات أن تنشئة النسل أعظم مهمة يقمن بها) هذا الكلام يقوله ولى عهد لامبراطورية أوروبية كبرى تشكل قوة المراة العاملة فيه نصف مجموع سكانها ومواطنيها .. ووصلت المراة فيها الى مركز الوزارة وأصبحت احداهن زعيمة لحزب المحافظين هناك .

ويقول الاستاذ عامر عبيد عن المراة الأوربية التى تحدث عنها الامير شارلز ولى عهد بريطانيا :

(حقا أن المراة الأوروبية نسيت نفسها كامراة وأصبحت تتصرف كالرجال سواء فى الملبس والمسلك أو حتى التكوين الأنثوى.. فأخذت تحاول التخلص بقدر الامكان من ظواهر أنوثتها الأساسية، كل ذلك باسم الحرية والمساواة . وبالفعل وصلت المراة الى الأعمال التى كانت تتمناها حتى انها حملت المكنسة ولكنها بدلا من أن تنظف بيتها أصبحت تنظف الشوارع .. **وأمام وجود المراة فى ميدان العمل فى أوروبا ارتفعت نسبة البطالة فى جميع البلدان المتقدمة لأنهم عندما يضعون الحسابات** .. يضعون المراة الى جانب الرجل .. ولو انهم احتسبوا القوة العاملة الحقيقية وهى من الرجال فقط لما أصبحت بطالة ولاستطاع الكل أن يؤمن قوت يومه وبكفاية) .

ولكن كيف لهم أن يؤمنوا ذلك والرجال لا يجدون عملا بينما المراة تحتل معظم الأعمال التى يجب أن يقوم بها الرجل .. ولذا تجد أن جميع أفراد بيت مامن رجال ونساء عاملين ، بينما أفراد بيت أخر ليس لهم عمل .

ومن ناحية أخرى .. أن خروج المراة من بيتها قد ترتب عليه أسوأ النتائج بالنسبة للاجيال الناشئة وهذا ما أشار اليه الأمير البريطانى فغياب المراة عن أطفالها معظم ساعات النهار قد ولد نوعا من الفراغ والتفسخ فى الأسرة ومن ثم فى المجتمع .. وقد أشار الى ذلك العالم النفسانى البريطانى باويل فى محاضرته التى القاها بخصوص الجريمة وقال أن التفسخ الاجتماعى وشعور

الفرد بالغربة من الاسباب الرئيسية فى زيادة الجريمة بجميع أنواعها كما أن جميع الوقائع التى تطالعنا من عالم الغرب كل يوم تشير الى ارتفاع نسبةالجريمة والبطالة والضياع الاجتماعىوالنفسى (١) .

وبالمناسبة قد ذكرت دافنى سكليرون وهى المرأة الوحيدة التى تحمل رتبة ضابط فى البوليس الانجليزى أن الجرائم العنيفة التى ترتكبها المرأة تزداد فى البلاد التى أعطتها حرية أوسع .

وذكرت السيدة سليرن التى تشترك فىقسم أبحاث الجريمة التابعة للبوليس البريطانى أن زيادة الحرية للمرأة قد فتح أمامها المجال لارتكاب أبشع الجرائم فى هذه البلدان التى أعطتها تلك الحرية كما تؤكد ذلك الاحصائيات فى اليابان وأمريكا (٢) .

* * *

وتؤكد دراسة قامت بها لجنة مكافحة الجريمة التابعة لهيئة الأمم المتحدة :

أن الاجرام لدى النساء فى الدول المتقدمة يتزايد بمختلفأنواعه بسرعة تتراوح بين ثلاثة أضعاف وخمسة أضعاف الاجرام لدى الرجال وعلى سبيل المثال تزايدت جرائم السرقة التى تقوم بها النساء فى الولايات المتحدة بنسبة ٣٠٠ ٪ مقابل زيادة جرائم سرقة الرجال بنسبة لا تزيد عن ٢٠ ٪ فى نفس الفترة .

وتواصل الدراسة تقديم نتائجها المثيرة فتقول أن جرائم المال مثل النصب والتزوير والاختلاس تزايدت زيادة خرافية بين النساء فى كثير من البلاد الغربية على وجه الخصوص . وترى أن هناك بالتأكيد ارتباطا بين تزايد الجريمة بين النساء فى هذا المجال وزيادة الفرص المتاحة أمامهن للعمل فى مواقع المسئولية فى البنوك .

---

(١) جريدة « الندوة » سنة ١٣٩٦ هـ .

(٢) جريدة « الرياض » سنة ١٣٩٦ هـ .

ومن المؤكد أن تزايد تورط المرأة فى الجريمة ارتبط بما يسمونه **(التحرر)** أو اذا شئت تسمية الأشياء بأسمائها (**التحلـــل**) مـــن العلاقات الأسرية والاجتماعية .

وبعد .. ففى ما أسفلناه عبرة وعظة لزعيمات الحركـــات النسائية فى البلاد العربية .. لقد أعز الاسلام المرأة وحفظ لهـــا مكانتها وأعطاها من التقدير مالم تتمتع به نساء اية أمة أخرى ، وأكد لها من الحقوق ما يمكن أن تحسدها عليه كافة نساء العالم . ولذلك نرجو الا تلهث وراء القشور البراقة الخادعة لذلك التحرر على طريقة الغرب . ففى الاسلام ما يمكن أن يفاخرن به الجميع .

الفصل الثالث

المرأة : خلاف وحوار

فى هذا الفصل :

المرأة والزواج والأدب :

استدرج بعض أدبائنا الأفاضل ، الذين عرفوا بثقافتهم الواسعة، وبماضيهم فى الاشتغال ببعض الوظائف القضائية من حيث يشعر أو لا يشعر ، **الى (انفتوى) الجريئة فى شأن من شئون المرأة خطير ، وهو الاختلاط والعمل والاشتغال بالادب**، فخاض الشيخ ملتذا بعطر الحديث عن المرأة ، ومخدوعا بالشباك التى نصبها له **(محاوره)** فطلع علينا بذلك الحوار المسموم ، ولو أنه موسوم بالدين ، وسيرة الرسول وخديجة ، وعائشة ، والخنساء ، وأخيرا (مى) **الأديبة المسيحية** المعروفة (١) .

يقول (الشيخ) ردا على قول محاوره : أن الناس لا يقدرون فى المرأة غير الجمال والسعى وراء المال — : وماذا فى ذلك وسيد الانام يقول : تخطب المرأة لدينها ولجمالها ولمالها أو كما قال : ما دام التعاون على موكب الحياة فى هذه الشركة الزوجيـــة يتقاضاها ذلك .

فعقب (محاوره) : كأنك لا ترى بأسا لو عملت المرأة ؟ قال الشيخ : نعم ما دامت فكرة الاسلام التعاون المطلق ، وأنها تخطب للمال كما تخطب للجمال فهو أصل غير مبتدع ، ولكن العمل الذى لا أرى فيه بأسا .. العمل الذى لا يجرح الصون ، ولا يؤثر على الكرامة ، ولا يعرض للتبذل والتهاون فى شأن زوجها وولدها .

هذه واحدة :

● **أما الثانية : فهى ذكره نلسيدة عائشة** وأنها علمت الناس، وقال عنها أكرم وأغير زوج (صلى الله عليه وسلم) : «خذوا نصف علمكم من هذه الحميراء » .

● **والثالثة جواب (الشيخ) على سؤال محـــاوره :** وتتعلم الشعر ؟ قال : وتتعلم الشعر وتنظمه وتنشره ، فانه ديوان العرب وليس معنى كونها شاعرة أنها تقـــول مالا يتفـــق وشرف المرأة

---

(١) الشيخ : هو فضيلة الأستاذ ضياء الدين رجب .

ـــ العفة ـــ ومادامت المرأة من مصادر الشعر الأول وينابيع الوحى الأول ، فلماذا لا تكون موحية ومستوحية ، بل أنى لافضل للمرأة الابتراد فى موارده ومشارعه فانه من أبهى الحلى والحلل .. وأفضل أن تكون للمرأة الصدارة فانها أقدر على توعية الذات ، وقد تكون هذه الخصيصة من أخص خصائصها بالنسبة للمرأة والرجل على السواء فقد تتقاطر على زعامتها النفوس وتتلاقى القلوب والعقول فى وقار الأدب ، وأدب الوقار .

وضرب الشيخ مثلا للشاعرات الزعيمات اللواتى تلاقت على زعامتهن النفوس والقلوب والعقول : سكينة وعائشة التيمورية .

وبأسم الله نبدأ وبه نستعين فى جدالنا بالتى هى أحسن لحديث الشيخ أو فتواه الرائعة .. أو الداهمة الفاجعة على ما وصفها محاوره به ، والتى أغرت المحاور بأن يتمنى لو كان امرأة ليكون له هذا الشأن الذى صورته له الفتوى أوعبرت عنه !

لماذا تنكح المرأة ؟

لقد روى الشيخ الحديث النبوى (تنكح المرأة لأربع خصال لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يدآك) محرفا فى متنه وأوله بغير معناه .

أما المتن أو النص فالفرق ظاهر بين ما رواه الشيخ وما أوردناه ، وأما معنى الحديث فهو يشتمل على فقرتين خبرية وأنشائية .

● **الفقرة الأولى وهى قوله صلى الله عليه وسلم : تنكح المرأة لأربع خصال : لمالها ولحسبها ولجمالها ودينها)** تعنى أن طبائع البشر ورغائبهم تختلف فى سبب أختيار الزوجة ، فبعضهم يريدها لجمالها أو لحسبها ، وأخرون يتزوجون بالنساء الغنيات طمعا فى أموالهن ، وأزواج يختارون نساءهم لانهن صاحبات دين وخلق كريم .

هذه الفقرة الخبرية مجرد تقسيم لطبائع الرجال وميولهم نحو اختيار زوجاتهم ، وهو أمر واقع وحقيقة ملموسة فى حديث الزمان وقديمه .

● **ثم تأتى الفقرة الثانية وهى الانشائية التى تتضمن توجيها صريحا من نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام** لأن ينشد المسلم فى اختيار زوجته التى هى شريكة حياته ، وسكن عاطفته ، ووعاء ولده ، ومأمن سره ، وحمى عرضه ، ورمز شرفه — لأن ينشد فى اختيارها (الدين) فهو الذى يحقق له ولها أهداف الزواج السعيد الرشيد .

ولكن (الشيخ) وعبارته مثبتة فيما سبق أورد الحديث بغير نصه ، وفسره بأن فكرة الاسلام التعاون المطلق ، وأنها تخطب للمال كما تخطب للجمال ، وأورد بعد ذلك عبارات وجملا تنطق بالاستحسان الذى لم يرد به الحديث لا نصا ولا معنى ولم يكن فكرة الاسلام كما قال الشيخ واستنبط جواز تشغيل المرأة لتحقيق هدف الزواج وهو المال .

ان الحديث النبوى كما هو واضح (أوله) أخبار عن طبائع البشر وميولهم ، وهذا لا يعنى (الاستحسان) الذى توهمه الشيخ وبخاصة وقد جاء (آخره) موجها لاختيار ذات الدين من بين ذوات المال والجمال والحسب . كما ان لهذا الحديث النبوى سوانـــد وروافد تؤيده وتؤكد ما وجه اليه بما لا يدع مجالا للوهم او خطأ فى الفهم .

● **فقد روى الطبرانى فى الاوسط (من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقرا ، ومـــن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ومن تزوجها لم يرد بها ألا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه) .**

● وروى الدارقطنى فى (الافراد) والعسكرى فى (الامثال) : (أياكم وخضراء الدمن ! قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله قال: المرأة الجميلة فى منبت السوء) .

● وروى ابن ماجة : (لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تتزوجـــوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين فلأمة خرقاء سوداء ذات دين أفضل) .

● وروى أبو داود : الا أخبرك بخير ما يكنز ؟ المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته ، واذا أمرهـــا أطاعته ، واذا غـــاب عنهـــا حفظته) .

ولو ذهبنا نستقصى آداب الاسلام ومبادئه وأفكاره وتجـاربه وتشريعاته عن الزواج لما اتسع المجال وطال المقال .

وما أوجزناه فيه الكفاية والغنية للدلالة على أن فكرة الاسلام ليست كما قال الشيخ هى : أن تخطب المرأة لمالهـــا كما تخطب لجمالها بل فكرة الاسلام عن الزواج : أن تنكح المرأة لدينها الذى يضمن صلاحها كزوجة عفيفة شريفة ، ونجاحها كأم راعية هادية.

* * *

أما السيدة عائشة زوج الرسول الاثيرة عنده وابنة الصديق أبو بكر الخليفة الراشد الأول فهى محل حب المسلمين جميعـــــا وموضع اكبارهم وأجلالهم لمكانتها من رسول الله صلـــوات الله وسلامه عليه ، ولمكانة أبيها كأول صديق للرسول وأول خليفة له ، ولجهاده الكبير من أجل الاسلام محكوما وحاكما — رضى الله عنه .

ولكن حديث : ((خذوا نصف دينكم عن هــذه الحميراء)) وقد رواه الشيخ (خذوا نصف علمكم) سهوا لم يصح وقد تكلم فيه حفظة الحديث النبوى ونقدته بما أبطل الاستدلال به . هذا من حيث الرواية ، أما من حيث الدراية فهو غير معقول .. اذ كيف

يقال بأخذ نصف الدين من أحدى زوجات الرسول العديدات وقد روى معظمهن عنه صلى الله عليه وسلم كثيرا من أقواله وافعاله وسيرته كما أن هناك أجلاء صحابته الذين رووا أحاديثه الشريفة وتحدثوا عن سلوكه الكريم ، وحملوا أمانة التشريع الاسلامى .. من القرآن وحيا وتفسيرا ومن حديث الرسول نصا وبيانا ؟

* * *

وأما (مى) المسيحية فليست قدوة للمسلمات .. كما اراد الشيخ بذكرها فى حديثه وهى التى تفرغت للادب واقامت لنفسها ندوة فى مصر يختلف اليها عدد من الشعراء والادباء الذين تعشقوا أنوثتها وتغزلوا بجمالها قبل ان يحبوا أدبها او يعجبوا بفكرها .

لقد جعل الشيخ منها قدوة للمسلمات المأمورات بالحجاب وعدم الاختلاط بالرجال ، لا بالرأى منى أو من امثالى المتهمين بالرجعية والجمود والتخلف ، وانما بالقرآن الصريح والحديث النبوى الصحيح(١) .

ان الشيخ يدعو بصراحة لاشتغال المرأة بالادب وخاصة الشعر ، ويقول : أنها من مصادر الشعر الأول ، وينابيع الوحى الأول . ثم يضيف قوله « أنى أفضل للمرأة الا بتراد فى موارده ومشارعه فانه من أبهى الحلل والحلى » ويزيد الأمر تأكيدا فيطالب بأن تكون المرأة الصدارة . (فأنها اقدر على توعية اللدات) وينتظر لها فى ثقة بالغة أن تتقاطر على زعامتها النفوس وتتلاقى القلوب والعقول كما تقاطر شعراء مصر وأدباؤها على ندوة (مى) !!

ثم يتساءل وهو يتحدث عن (مى) المسيحية وندوتها الادبية لماذا لا ندع المرأة الكريمة تشق طريقها السليم فى رعاية الدين ؟ لماذا لا نفسح المجال الذى أفسحه لها الدين ؟ .

وهنا استأذن شيخنا الكبير أن أسأل فضيلته كيف استطاع

---

(١) يراجع الفصل الأول .

محاوره ن يورطه فى نظم هذه الألفاظ المتناقضة وفى ربط معانيها المتماكسة ؟

● **كيف تكون المرأة (كريمة)** وهى تدعى للاشتغال بنظم الشعر ، وجعل بيتها ندوة يتقاطر عليها الشعراء المتعشقون المتغزلون ؟

● **وكيف يكون طريقها** الذى يدعوها الشيخ الى شقه (سليما) وهى تختلط بالأجانب من الرجال وتقضى شطرا أو اشطارا من وقتها فى مجاذبتهم أطراف الحديث وأذياله بين خفقات القلوب ونظرات العيون ؟

● **وكيف يكون ذلك** .. فى رعاية الدين القويم ؟ وأى دين هذا الذى يذكره الشيخ ويصفه بأنه (قويم) يجعل المرأة (كريمة) وطريقها فى الحياة (سليما) عندما تحول بيتها الى ندوة أدبية يتقاطر عليها أجانب الرجال ؟

أولا يذكر الشيخ تحذيرات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (أياكم والدخول على النساء ــ فقال رجل من الانصار : يا رسول الله افرايت **الحمو ؟ قال : الحمو هو الموت**(١) **) وتحذيره** أيضا : **(لا تلجوا على المغيبات فان الشيطان يجرى من احدكم مجرى الدم**(٢) **)** .

بل الا يذكر الشيخ قول الرسول عليه الصلاة والسلام : **اتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء ،** والحديث الآخر : **ما تركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء ؟**

---

(١) الحمو : هو قريب الزوج أو الزوجة من غير المحرم .
(٢) المغيبة : التى يغيب عنها زوجها فى سفر أو عمل .

واخيرا كيف جرأ الشيخ على أن يتساءل : (لماذا لا نفسح للمرأة المجال الذى أفسحه لها الدين ؟ هل ندوة (مى) المسيحية .. التى يؤمها الرجال الأجانب مما افسحه الدين للمرأة من مجالات ، وأباحه من أعمال وشرعه من أخلاق ؟

* * *

المرأة والحجاب والقبور ؟

دعيت الى الاشتراك فى الندوة الخاصة « بالمرأة » التى عقدتها رابطة العالم الاسلامى يوم ٤ من ذى الحجة ١٣٩٠هـ ، وقد دعى اليها أيضا فضيلة الشيخ محمد الغزالى — من مصر — وفضيلة الشيخ عبد الله كنون — من المغرب — وكان مقرر الندوة الاستاذ أحمد الحمانى — من الجزائر .

● **وكانت الفقرة الأولى من الحوار** للشيخ عبد الله كنون ، فتحدث عما منحه الاسلام للمرأة من حقوق لم تعطها من قبل فى كل الديانات والحضارات السابقة على الاسلام واللاحقة به .. فهى فى النظام الاسلامى .. شقيقة الرجل لها ما له وعليها ما عليه ما عدا « القوامة » التى اعطيت للرجل لمصلحة المراة نفسها ، كى يحمل هو عنها هموم العمل وتدبير النفقات ، والاشراف على تربية الاولاد ، وتتفرغ هى للمنزل ورعاية الاطفال والرفق بالزوج الخ ..

● **ثم تحدث الاستاذ الغزالى** ، وكان حديثه عن بعض مظاهر حرمان المرأة من بعض حقوقها كزيارة القبور — ودخول المساجد لاداء الصلاة فيها مع الرجل وطلب العلم .. وتصدى لبعض الاحاديث المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذين الموضوعين ، وفى موضوع رؤية المراة للرجل ورؤيته لها — كما ورد عنه انه صلى الله عليه وسلم سأل ابنته فاطمة « اى شىء خير للمرأة ؟ قالت : ألا ترى الرجل وألا يراها الرجل » وانه سر لجوابها وقال ذرية بعضها من بعض . واورد الاستاذ الغزالى

حديث « لا تمنعوا اماء الله مساجد الله » وقال : ان حديث منـــع النسـاء من زيارة القبور ليس صحيحا .. وكذلك حديث فاطمة عن رؤية الرجل للمرأة ورؤية المرأة للرجل ..

واضاف الاستاذ الغزالى : ان كل التقاليد الغربية فى معاملة المرأة المخالفة لاحكام الاسلام وادابه .. مرفوضة — ولكن ينبغى ايضا أن تؤلف لجنة من علماء الرابطة للبحث فى حقوق المرأة التى حرمت منها بسبب ما يرويه بعض المتشددين من العلماء من احاديث ليست صحيحة .

● **وجاء دورى فى الحوار** — وقد آثرت منذ بداية الندوة أن أكون آخر رفاقى حديثا فى قضية (المرأة) وأنا الخص هنا ما تحدثت به ، مما حفظته ذاكرتى أو وعته حافظتى ، فى اليوم التالى للندوة .

● **قلت — فى البداية** — ان اعداء الاسلام نجحوا فى شغل المسلمين بقضيتين خطيرتين .

١ — **بقضية (الاشتراكية)** فى المجال الاقتصادى والسياسى.

٢ — **وقضية (المرأة)** فى المجال الاجتماعى والأخـــلاقى ..
وبالنسبة للاشتراكية ، فقد تأثر بالدعوة اليها وتطبيقها عدد من الحكام العرب واصبحوا يسيرون بل يجرون فى فلك الدول الشيوعية — فى أوروبا وآسيا ونقلوا أنظمتها وقوانينها الى بلادهم وطبقوها على شعوبهم .

ولا أريد أن أطيل الحديث عن هذه القضية لأنها ليست مـــن موضوعات ندوتنا ، وانما أردت أن أضرب المثل بها كمؤامرة مـــن مؤامرات اعداء الاسلام التى كادوا بها للمسلمين .

ولانها تشبه قضية (المرأة) من حيث عدم اتعاظنا بتجارب الغير ، ومن حيث ان الدول العربية التى أخذت بالنظام الاشتراكى بدأت من حيث بدأت الدول الاوروبية والاسيوية نفسها ، ولم نبدأ من حيث انتهت تلك الدول (القدوة أو المعلمة) .

وقد اعترف خروشوف فى زيارته لمصر للرئيس الراحل جمال عبد الناصر : بان مصر اخطأت فى تطبيقها للنظام الشيوعى بالنسبة للزراعة والتجارة والمساكن .. لأنها بدأت من حيث بدأت روسيا وكان عليها أن تبدأ من حيث انتهت بالفشل الذريع .. (روى ذلك الاستاذ على أمين فى جريدة اخبار اليوم (١/١١/١٣٩٥هـ) .

* * *

وهنا يحين وقت الربط بين القضيتين .. فقد بدأنا فى مجتمعاتنا الاسلامية من حيث بدأت المجتمعات الاوروبية والامريكية — والعربية المتحررة — فى معاملة المرأة .. ولم نبدأ من حيث انتهت تلك الدول .

● فقد **انتهت أوروبا وأمريكا والدول العربية من تجربتها الاجتماعية فى معاملة المرأة الى الخطأ والخطل والندم** ، ومع وضوح ذلك لاعيننا وأسماعنا ، كالشمس فى رابعة النهار .. فما زلنا ندعى ان المرأة فى مجتمعاتنا مهضومة أو مظلومة وان الطاقات النسائية التى تشكل نصف المجتمع معطلة ومهدرة ، ولذلك يجب ان نستغل ثقافة المرأة ونشاطها فى العمل مع الرجل جنبا الى جنب فى المؤسسات الحكومية والاهلية على السواء .

● **وها نحن نقرأ فى كتاب (الانسان ذلك المجهول)** للدكتور اليكسس كارل نقدا بصيرا مريرا للحضارة الغربية لأنها (اهتمت بالانتاج المادى وحده ، واهملت الانسان عقلا وروحا وعاطفة) .

ونكتفى بما قاله كارل عن الاسرة والمرأة .. فقد نصح النساء فى المجتمع الغربى أن ينمين أهليتهن ونشاطهن تبعا لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور ، فان دورهن فى تقدم الحضارة اسمى من دور الرجال ، فيجب الا يتخلين عن وظائفهن المحددة .

وتحدث كارل فى كتابه – عن الاختلاف التكوينى بين الذكر والانثى .. مما يجعل لكل منهما وظيفة غير وظيفة الآخر ..

وقال ان الاختلاف بينهما ليس فى الاعضاء التناسلية وحدها ولا فى وجود الرحم والحمل ، بل هو اختلاف ثابت ومتين فى الانسجة ، وتلقيح الجسم كله بمواد كيمائية محددة يفرزها المبيض. وكذلك الشان فى تكوينها العصبى المختلف عن الرجل .. وقد اخطأ الجاهلون بهذه الحقيقة الجوهرية فى تكوين الانثى ، فى الاعتقاد بانه يجب ان يتلقى الجنسان تعليما واحدا ، وان يمنحا سلطات واحدة ومسئوليات متشابهة) .

ثم انتقد كارل ما ارتكبه المجتمع العصرى من غلطة جسيمة – على حد تعبيره – باستبداله تدريب المدرسة بالاسرة استبدالا تاما ، حيث تركت الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى ينصرفن لاعمالهن ووظائفهن وهواياتهن الادبية والفنية وارتياد دور السينما والمراقص . وبذلك اختفت وحدة الأسرة واجتماعاتها التى يتصل فيها الطفل بالكبار فيتعلم أمورا كثيرة ، لأن الطفل يتشكل نشاطه الفسيولوجى والعقلى والعاطفى مما يتعلمه من الكبار .. وفى المدارس ودور الحضانة لا يستطيع أن يحقق ذلك لان زملاءه من أمثاله الأطفال لا يمنحونه شيئا زائدا عما يملكه هو – ولذلك يظل غير مكتمل) .

وأخيرا يدعو كاريل هذا الانسان الذى اضعفته هذه الحضارة العصرية ومقاييسها – يدعوه الى أن يحدد شخصيته مرة أخرى فيكون اما ذكر أو اما أنثى ، فلا يتقمص مطلقا شخصية الجنس الآخر العقلية ، وميوله الجنسية ، وطموحه الذاتى (١) .

● قلت : ان الدكتور كاريل الطبيب والمفكر – فيما يقول عن تكوين الجنسين العضلى والعصبى والعقلى – انما يؤكد ما سبق اليه القرآن الكريم قبل اربعة عشر قرنا فى قوله عز وجل (وليس

---

(١) نأسف لتكرارنا الاستدلال بكلام كارل هنا – وقد سبق اثبات نصوصه فى الفصلين الاول والثانى .

الذكر كالانثى) وقوله أيضا (أو من ينشا فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين)[1] !

● **وننتقل الى الكاتبة الامريكية (مارجريت ماركوس)** التى تعيب على دعاة تحرير المرأة فى المجتمعات العربية والاسلامية . فهمهم الخاطىء لمعنى **(التحرر)** على انه الاباحية المطلقة للنساء فى الاختلاط بالرجل فى الوظائف والاعمال والاسواق دون قيد ولا شرط ، وفى ارتدائهن الازياء غير المحتشمة وفى انصرافهن عن مسئولياتهن فى تربية الأولاد ورعاية الزوج .. اللتين هما أساس تكوين الأسرة السعيدة .

(وقد اسلمت مارجريت ماركوس ، وسمت نفسها : مريم جميلة) .

● **ويؤيد هذا الرأى الكاتب الانجليزى (روبرت وازلى) فى كتابه (قصة اسلامى) اذ يقول** : ان اكتساب المسلمين للثقافة الغربية والعادات الأجنبية البذيئة كتقصير ثياب النساء حتى تتكشف افخاذهن .. ليس من الاسلام ، لأنه غاية الفساد .

(وقد تسمى روبرت بعد أسلامه باسم : عبد الرشيد الانصارى) .

● **وأخيرا أنكر النساء الاوربيات (أستان رايتنس .. وانى بيزانت وايفلين كوبلاد)** اللاتى أسلمن وكتبن عن الاسلام ومكانة المرأة المسلمة حيث تتمتع فى ظل الاسلام بكرامة شخصية وحقوق انسانية .. لم تتحقق للنساء فى أوروبا وأمريكا حتى الآن) .

* * *

بعد ذلك قلت فى الندوة — ان النساء فى بلادنا يتعلمن كالرجال الى المستوى الجامعى ، ومنهن الطبيبات والمدرسات والمرشدات الاجتماعيات ومديرات المدارس والمعاهد الخ .. فهن يعملن الأعمال نفسها التى يمارسها الرجال .. ولكن فى مجالهن ومحيطهن النسائى

---

(١) سورة الزخرف : ١٨ .

الذى يحفظ عليهن حياءهن ، ويمنع فتنة الرجال عنهن ، وبالتالى الاعتداء على أعراضهن وهدم أسرهن ، واساءة سمعتهن .

فهل يصح أن يقول بعض السخفاء بل السفهاء من الشباب ان فى مجتمعنا السعودى طاقات نسائية معطلة ومهدرة وانه يجب أن نسمح بتوظيف النساء مع الرجال جنبا الى جنب ؟

ثم طالبت رابطة العالم الاسلامى بأن تهتم عمليا بالتنبيه والتركيز على هذا الجانب المهم الخطير من قضية (المرأة) الذى يثيره اعداء الاسلام لتخريب المجتمع الاسلامى ، وهدم الأسرة المسلمة كما يحدث تماما فى مجتمعاتهم وأسرهم (١) .

حوار مع الأستاذ الغزالى :

أما حديث الاستاذ الغزالى عن حقوق للمرأة المسلمة مهملة أو معطلة — وهى زيارة القبور وارتياد المساجد ورؤيتها للرجل.. فقد عقبت عليه بما يلى :

● **أولا —** الحديث النبوى الذى ينهى عن زيارة النساء للقبور صحيح ونصه (لعن رسول الله زوارات القبور) — وفى رواية أخرى : (لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد) وقد تحدث شراح الاحاديث النبوية ، والمعلقون على حديث المنع : **بأن النساء لا يحتملن** المصائب ويقابلن وفاة القريب أو القريبة بالندب والعويل ، وشق الجيوب ، ولطم الخدود ، ولذلك كان نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن زيارتهن للقبور ، لئلا يتجدد حزنهن ويندفعن الى الصراخ والنحيب ، ولطم الخدود وشق الجيوب على القبور .

كما أن بعض الشراح والمعلقين قال :ان الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « **وزوارات القبور** » أى المكثرات من الزيارة وهذا يعنى أن النهى وارد على الاكثار لا على مجرد الزيارة القليلة

(١) نشكر للرابطة انها أصدرت ضمن مقرراتها السنوية : تنبيها وتوجيها فى قضية المرأة .

أو النادرة التى لا يصحبها ندب ولا عويل ولا شق للجيب ولا لطم للخـــــد .

● **ثانيا** ــ اما المساجد فليست النساء ممنوعات عن دخولها. وان كانت عائشة أم المؤمنين وزوج الرسول صلى الله عليه وسلم قد نقل عنها فى الصحيح انها قالت : (ولو رأى النبى ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد) لما رأت رضى الله عنها فى عهدهـــا الذى هو خير القرون وأفضلها .. من مخالفة بعض النسوة أو معظمهن لاداب الاسلام التى تفرض على المرأة الحياء والحجاب وعدم التبرج والتعرض للرجال .

فكيف بزماننا نحن .. وقد تحقق فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (صنفان من أهل النار لم أرهما .. رجال معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة .. لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ..

ولو كان لى من الأمر شىء .. لمنعت النساء اليوم من دخول المسجد الحرام والمسجد النبوى ــ ما عدا الحاجات والمعتمرات. لما أرى ويرى غيرى من تبرجهن وزينتهن ، وتكشفهن داخـــــل المساجد . .

ونحن نذكر ــ مع الشيخ الغزالى ــ الحديث النبوى الآخـــر (لا تمنعوا اماء الله مساجد الله) ولكنه يعنى امـــــاء الله الصالحات القانتات العابدات ، لا المتبرجات الفاتنات للشبـــاب المفسدات لاخلاقهم ، المغريات لهم بالنظر فالابتسام فالموعد فاللقاء الحرام ــ كما قال الشاعر المصرى **(شوقى)** .

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

وتتمة الحديث التى لم يذكرها الأستاذ الغزالى تؤكد ذلك وهى قوله صلى الله عليه وسلم : **(وليخرجن تفلات)** (١) أى غير

---

(١) رواه أبو داود فى سننه .

متعطرات ولا متبرجات بزينة ، فاذا خالفن أمر الرسول عليه الصلاة والسلام كان منعهن أولى ، فهو بمثابة الشرط للاذن لهن بالصلاة فى المساجد .

وفى رواية أخرى : (**لاتمنعوا نسآءكم المساجد وبيوتهن خير لهن**)(١) والرواية الثالثة تقول : (**صلاة المرأة فى بيتها أفضل**)(٢) .

● **ثالثا** — رؤية المرأة للرجل ورؤيته اياها ، وما ذكره الأستاذ الغزالى من أن وجه المرأة ليس بعورة .. الخ .

نحن نرى أن حديث فاطمة رضى الله عنها صحيح لأن القرآن الكريم يؤيده فى آية (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم**)(٣) وآية (**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**)(٤) .

فالممنوع أو المحرم : بنص القرآن وحديث فاطمة وأمثاله : هو الرؤية المستمرة المتواصلة المتأدية عن الاختلاط فى العمل ومجال الدراسة ، والمؤدية الى المحادثة بين الجنسين ثم الافتتان وحدوث مالا تحمد عقباه — وهى المقصودة ، بالحديث لنبوى (النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ..) .

أما النظرة العابرة ، والرؤية الخاطفة .. فمعفو عنها كما جاء فى الحديث النبوى : (**النظرة الأولى لك والثانية عليك**) ..

أما أن وجه المرأة ليس بعورة ، فهو موضوع مختلف فيه بين الفقهاء والعلماء قديما وحديثا . ولقد استند المانعون الى حديث فاطمة هذا ، والى حديث الفضل بن العباس الذى كان رديفا للنبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فجاءت فتاة تستفتيه فى أمر دينها ، فكان الفضل ينظر اليها .. وكان الرسول يصرف وجهه عنها .

---

(١) و (٢) رواهما أبو داود فى سننه .
(٣) سورة النور : ٣٠ . (٤) سورة النور : ٣١

يقول الامام النووى فى شرح هـذا الحديث ـ فى صحيح مسلم : ان هذا الحديث يفيد منع النظر الى الأجنبية ، ويقـول الامام ابن حجر فى شرحه ــ فى صحيح البخـارى : ان فعـل الرسول بصرف وجه الفضل عن المراه ابلغ من القول .

ومع ما تقدم .. فان زيارة النساء للقبور او المساجد أو تبادل النظر بين الرجال والنساء ــ ليست أمورا حرم أو منـع منها النساء فى الوقت الحاضر ، ولسن هن يشتكين منها لانهن يمارسنها بمنتهى الحرية بل وفوق ما يستحققنه فى زيارة المسجد والقبر والسوق من حقوق اجتماعية ودينية .

حوار مع الأستاذ الحمانى :

وقد أحب الأستاذ أحمد الحمانى مقرر الندوة أن يعقب برايه أو أن يدلى بدلوه مع الدلاء ، فقال : ان الآيات التى تخاطب نساء النبى صلى الله عليه وسلم بأن يقررن فى البيوت ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وعدم تليين القول لئلا يطمع الذى فى قلبـه مرض خاصة بهن .. لأن القرآن نفسه يقول : **(يانساء النبى لستن كأحد من النساء)** ثم أضاف : ولا يقول الا غافل أو مغفـل بمنع النساء من دخول المساجد .. لأن الرسول صلى الله عليـه وسلم يقول : **(لا تمنعوا اماء الله مساجد الله)** الخ..

● فكان ردى عليه ــ فى الندوة نفسها ــ كما يلى :

أولا ــ ان الآيات الواردة فى سورة الاحزاب الموجهة الـى نساء النبى بالقرار فى البيوت وعدم التبرج ، وعدم تليين الخطاب للرجال منعا لطمعهم فيهن ــ ليست خاصة بهن ، ولا يقول ذلـك فقيه ولا عاقل ، بل ولا مؤمن بالله ورسوله :

وذلك لأن آية أخرى من سـورة الأحزاب نفسها تقـول :

● **(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)** (١) .

---

(١) سورة الأحزاب : ٢١ .

فالاقتداء برسول الله وبنسائه — فى مكارم الاخلاق ومطالب الحياء والتعفف — واجب على كل مؤمن وكل مؤمنة بالله واليوم الآخر .. بل جاء الامر صريحا بالمساواة فيما يجب أن تتجلى به المرأة المسلمة سواء أكانت زوجة النبى أم امرأة من عامة الناس فى قوله عز وجل من سورة الأحزاب نفسها :

— ياأيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن .. ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ..[1] .

والقرآن هنا يعلل وجوب هذا الحجاب والاستحياء بدلالتهما على شخصيات المحجبات المستحييات بأنهن من الكرائم أو الحرائر والعفائف فلا يتجرأ عليهن سفيه أو وقح بالايذاء قولا أو فعلا .

ثانيا — هل يكون مسلما ومؤمنا بالله واليوم الآخر .. من يأبى أن يقتدى هو بالرسول ، ونساؤه بنسائه فى الحياء والعفة وعامة مكارم الاخلاق وهل مكارم الاخلاق التى يقول الرسول نفسه انما بعث ليتممها — من خواص الرسول ونسائه ، وكيف نأبى لنسائنا ذهابا لرجسهن ، وتطهيرا لقلوبهن .. وهو ما علل الله به أمره لنساء الرسول بالحجاب والقرار فى البيوت . فى قوله عز وجل (**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**) (٢) .

وقد أخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن أم سلمة قالت : لما نزلت آية الحجاب خرج «**نساء الانصار كأن على رؤوسهن الغربان من أكسية سود يلبسنها** » لسترهن وجوههن بفضول أرديتهن .

ثالثا — ان قوله تعالى (يانساء النبى لستن كأحد من النساء)[3] لا يعنى أن لهن أخلاقا غير اخلاق النساء الأخريات ، أو ان ما يطلب منهن من حياء وتعفف وحجاب .. لا يطلب من غيرهن ..

وانما يعنى انهن فى مكان القدوة لأنهن زوجات الرسول الذى بعث ليدعو الناس الى مكارم الأخلاق ، فيجب أن يلتزم أهله

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٩ .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٣ .

(٣) سورة الأحزاب : ٣٢ .

قبل الناس جميعا بكل ما يدعو اليه .. وهو ما يجب على اهل كل حاكم وامام وقائد ورئيس ، ليعرف الناس صدقه ويثقوا بسلوكه ويستيقنوا نجاح دعوته .

ومن هنا كان عمر بن الخطاب الخليفة الراشدى الثانى يجمع اهله وأولاده وأقرباءه ويقول لهم : **(لا يأتينى أحد منكم بذنب الا اضعفت له العقوبة .. فان الناس ينظرون اليكم كما تنظر الطير الى اللحم فان وقعتم وقعوا)** أى أنكم مكان القدوة لغيركم ، ومناط المدح أو الذم ، وحافز الجرأة للسفهاء على المخالفة والعصيان .

المرأة والاشتغال بالسياسة :

يورد بعض المفكرين المسلمين هذه الآية :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .. يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله — أولئك سيرحمهم الله . ان الله عزيز حكيم » (١) .

ثم يقول : تبين هذه الآية مشاركة المرأة للرجل فى ولاية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. أى حقها فى الاشتغال بسياسة الدولة ، وكل ما يصون بيضة الامة » (٢) .

قلت : أما أن المرأة كالرجل فى واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر — فهذا حق ، والآية صريحة فيه .

ولكن القرآن بهذا التوجيه للجنسين نحو هذا الواجب الأخلاقى — لا يعنى أن تشتغل المرأة بسياسة الدولة .. الأمر

---

(١) سورة التوبة : ٧١ .

(٢) ص ٢١٩ من كتاب مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها للأستاذ علال الفاسى .

الذى يبعدها عن وظيفتها الأولى ، ومهمتها الكبرى ، وهى الاهتمام بادارة البيت ، ورعاية شؤون الزوج والولد . وهى الوظيفة الأساسية .. والطبيعية للمرأة — بلا جدال ودون خلاف .

ثم أن مشاركة المرأة للرجل فى الاشتغال بسياسة الدولة يستلزم اختلاطها بالرجال الأجانب ، وربما اختلاءها بأحدهم بعض الوقت كرئيس أو رفيق . **وكلا الأمرين : الاختلاط والاختلاء** منكر وحرام . .

انها تستطيع أن تؤدى واجبها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر — كما هو توجيه القرآن — فى محيطها الخاص ، ومجتمعات بنات جنسها من قريبات وجارات ، أو رفيقات فى المدرسة من طالبات أو معلمات . . بعيدا عن افتتان الرجل بها أو افتتانها به ، وهو ما حرص الاسلام كل الحرص على صون مجتمعات المسلمين من مفاسده وبلاياه حين أمر بغض البصر ، ووجود محرم مع المرأة فى الخلوة والسفر ، حتى فى الحج الذى هو ركن من أركان الاسلام ، وحين نبه الى (**عورات النساء**) ومنع حتى الأولاد من الدخول على آبائهم وامهاتهم فى الأوقات الثلاثة التى سماها القرآن (**ثلاث عورات**) (١) **الى آخر التوجيهات القرآنية والنبوية الواردة فى وجوب صيانة النساء عن التكشف والاختلاط بالرجال ، وابتعاد الرجال عن مواطن الافتتان بالنساء .**

وفى الحديث النبوى الصحيح : ان امرأة من الانصار جاءت الى الرسول صلى الله عليه وسلم تقول له : يا رسول الله انى وافدة النساء اليك — ثم جعلت تذكر

---

(١) سورة النور : ٥٨ و ٥٩ .

جهـاد الرجـــال مـــع الرسـول ، واشتراكهم معـــه فى صلاة الجمعـــة والجماعـــة . وما يظفرون به من أجـــر عظيم دون النســـاء اللاتى هن ـ كمـــا قالت كامرأة ـ قواعـــد البيوت ، وحاملات الأولاد ، وحوافظ الأعـــراض والحـــرمـــات . . ثـــم سألت : هـــل نشارك الرجال فى اجورهم ؟ فطرب الرســـول لحسن مسألتهـــا فى أمر دينها ، وأثنى عليهـــا امام أصحابه . ثم التفت اليهـــا قائلا : اسمعى يا هـــذه ، واعلمى مـــن خلفك من النســاء ان حسن تبعل المرأة لزوجها يعـــدل ذلك كله » أى ان قيام المرأة بشؤون زوجها وأولادها وبيتها مـــع الانتقان والاخلاص والأمانة يساوى كل ما يقوم به الرجل من أعمال صالحة خـــارج البيت من صـــلاة الجمعـــة والجماعة والجهـــاد فـــى سبيل اللـــــه .

* ★ *

أما الاشتغال بسياسة الدولة وشؤونها الاداريـــــة . . ففى الرجـــال غنية وكفاية ، وهم بنو بجـــدتها ، وأحق بهـــا ، وأهلهـــا .

والمرأة مهما بلغت فى العلم من درجات ودرجـــات . وفـــى المناصب المهمة من رتب ورتب — فهى هى .. التى يقـــرر القرآن والسنة حقيقة طبيعتها الانثوية . وحقيقة اهتمامهـــا الدائم اللازم . . بالزينة والحلية ، وحقيقة قدرتها العقليـــة والجسدية الناقصة عن قدرة الرجل ..

● حين يقول الله عز وجل : (أو من ينشأ فى الحليـــة وهو فى الخصام غير مبين ـ وليس الذكر كالأنثى — فرجـــل وامرأتان .. ان تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى) .

● وحين يقـــول صلى اللـــه عليه وسلم : (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن ـ انهن عـــوان لديكم ـ خلقهن من ضلع .. وان اعوج ما فى الضلع أعلاه) .

وقد ايدت التجارب الحديثة هذه الحقيقة التكوينية السلوكية للمرأة .. التى يكابر فيها كثير من المخدوعين بثقافة الغـرب وحضارته . واكتفى بمثل واقعى واحد انقله عن مجلة النهضـة الكويتية التى تحدثت اليها (انيسة رباح) قاضية الأحداث باحدى المحاكم الجزائرية فقالت : « بعد تحرير الجزائر أصبحت المرأة الجزائرية متقدمة متحررة ، ولا تقل عن الرجل فى شىء .. ثمروت المجلة ان قاضية الأحداث هذه جاءت مرة متأخرة الى المحكمة فوجه اليها وكيل النيابة اللوم على تأخرها، فردت عليه : « لا تنس انى امرأة .. وقد كنت عند الكوافير » !

وحقا قالت القاضية : « لا تنس انى امرأة » فهن لا ينسـين انهن نسـاء ، وتغلبهن طبيعتهن دائما مهما تعلمن وتقدمن تفكيرا رتحررن سلوكا . ولكنا نحن الرجـال ننسى هذه الحقيقـة التكوينية نفسا وعقلا وجسدا فى المراة ونحاول ــ عبثا ــ أن نجعل من الناقة جملا ..

* * *

المرأة بين الاختلاط والخلوة :

نشرت مجلة (آخر ساعة) المصرية فى صيف عـام ١٣٩٥ حديثا لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ــ ثم تكرر بعض موضوعات هذا الحديث فى مجلة (اللواء) الأردنية فى صيف عام ١٣٩٦ هـ ــ **حول التفريق بين الاختلاط والخـلوة بالنسبة للمرأة** .. حيث قال فضيلته :

● **ان هناك فرقا بين الخلوة والاختلاط** فالأولى ممنوعـة شرعا .. أما الاختلاط ، اذا كانت المراة ترتدى الرداء الشرعى ، فليس فيه حرمه ولكن فيها خطورة يعرفها كل شخص مارس هذا الجانب من الحياة وعرف نتائجها .. فالاختلاط المستمر دون ضبط

واحكام يفرز اثارا سيئة على البيئة الاجتماعية » (١)

وفى تعقيبنا على فضيلته لا نريد تكرار ما أسلفنا فى حواراتنا السابقة فى هذا الفصل ، وما أثبتناه فى الفصل الأول والثانى من الآراء الفقهية والعلمية والتجريبية عن**(الاختلاط)** ولكننا نريد أن نلفت النظر الى أن فى كلام فضيلته ما يشعر بالتناقض أو ما يشير الى تحريم الاختلاط أيضا .

فهو يقول : أما الاختلاط فليس فيهحرمة ولكن فيه (خطورة)ــ ثم يؤكد هذه الخطورة بأنها تجريبية واقعية ، وليست مجرد نظرية أو احتمال لنتيجة قد تحدث أو لا تحدث ــ بقوله : « خطورة يعرفها كل شخص مارس هذا الجانب من الحياة وعرف نتائجهــا .. فالاختلاط المستمر دون ضبط واحكام يفرز آثارا سيئة على البيئة الاجتماعية » .

فاذا كان الاختلاط ــ بتعبير فضيلته نفسه ــ **فيه خطورة** ويفرز آثارا سيئه على المجتمع ، وهى معروفه وليست مجهــولة ، وواقعية وليست نظرية أو محتملة ــ**فماذا بقى من اسباب أو علل نلتمسها للتحريم والمنع ؟**

هذا الى جانب ما ورد فى القرآن الكريم والسنة النبويــة وآثار الصحابة وفقهاء التابعين .. عن الحجاب ، وضرورة الاقتداء بنساء الرسول عليه الصلاة والسلام ــ **وحديث عائشة : لو علم الرسول ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد** ــ وما أثبتناه فى هذا الفصل والفصلين الأول والثانى من موجبات منع الاختلاط بين الجنسين .

ونكتفى فى ختام هذا التعقيب القصير بأن موجب التحريم القائم فى كلام فضيلته ، وهو (خطورة الاختلاط وآثاره السيئــة

---

(١) اللواء : ١٧ رجب ١٣٩٦ هـ .

الواقعية)**يكفي لتطبيق قول الله عز وجل عليه : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)** (١) . وقد أصبح الاختلاط من افحش الفواحش وأنكر المنكرات .

* * *

المرأة وأسرار البيوت :

● **كتب الأستاذ الكبير أحمد السباعى فى مجلة (قريش) يقول :**

أخى أحمد جمال :

تلذ لى غيرتك لما تعتقد أنه الحق !

ويلذ لى أن أراك تتفجر حماسا فى كل مناسبة ترى فيها مساسا بدينك أو تجريحا للمبادىء العالية التى تعتنقها .

ثق أنى لا أكذبك ولا أرائيك فكل من حولى يعرفون أنى عشت أجل فيك الشاب العالم طاهر الذيل .

أجل .. الشاب العالم !! ولا فضل لى فى ما أدعى من هذا . فهذه مؤلفاتك الدينية وهذه بحوثك المستفيضة تتحدى من ينكر غزارة علمك .

وأقول طهارة الذيل ولا جديد فى هذا فأنت فى نظر من يعرفك عن خبرة مثل لما يتمنى الناس أن يكون عليه علماء الدين لا فى فهم العقيدة الصحيحة فقط بل مضافا الى هذا حرصك

---

(١) سورة النحل : ٩٠ .

على صدق التطبيق فى وقت كدنا ان نفقد فيه هـــذا اللون من الناس .

وبعد .. أفهذا كل شىء ؟

لا يا صاحبى .. واقول : لا بملء فمى .. ورزقى هذا على الله .. فأنت انسان لا يعجبنى فيك حدة الاحساس !!

ستظننى أريدك لترضى الدنية فيما تعتقد ، أو التهاون فيما تعتنق .

أبدا .. ولكننى كمجرب أستطيع أن أدعى أن أصحـــاب الأحاسيس المرهفة ينسون أحيانا أن الصواب فى هذه الحيـــاة كثيرا ما تتعدد جوانبه وانه لولا ذلك لما اختلف الائمةوالمجتهدون فى كثير من مسائل الاسلام حتى أفضل عصور الاسلام .

أيثير غيرتك — يا ولدى — أن تشكو فتاة مما افتقدته فى زوجها فى صحيفة سيارة ؟

انها غيرة لها وجه من الصواب ، ولكنك تعلم أن ثمت وجها أو وجوها أخرى تستحق عنايتك : فالنبى (ص) يبتسم لمن جاءت تشكو زوجهـــا وهى تقول : « ليس معه الا مثـــل هدبـــــة الثوب !!» وتشير بطرف ثوبها الى ارتخاء فيه وزوجهـــا حاضر يكذبها ويقول والله انى اجهدها جهدا .. ويعاود النبى (ص) الابتسام وهو يسألها : اتريدين زوجك الأول ؟ .. لا حتى تذوقى عسيلة هذا ، ويذوق عسيلتك . أو كما قال :

ستقول أنها مقاضاة فى مجلس محدود ، ولكنك تدرى أنها قصة عاش ملايين المسلمين يتداولونها بعـــد الملايين طوال ١٣٩٠ سنة يتداولونها فى مدارسهم وحلقاتهم وعاشت تنشرها ملايين الكتب بعـــــد الملايين ليستشهدوا بهـــا على حق الزوجـــة فـــى خلوة الرجــــل .

أنها مثل واحد من آلاف الأمثلة والشواهد التى اكتظ بها تراث الاسلام فى عهودهم الذهبية وفيها مايعطينا فكرة عن المبدأ الشائع :**(لا حياء فى الدين)** .

وهو نشر كما ترى لم يتكتم الأسماء والأشخاص كما نفعل نحن بل يعلنها صريحة واضحة .

أنت تدرى — يا أستاذ — أن ألوانا مما نسميه الحياءشاعت بيننا من أجيال قريبة دون مبرر ، فالمخطوبة اليوم لا يقبل أهلها عرضها على خطيبها رغم ما يبيحه الشرع بل بالغنا فى هذا الحياء حتى بتنا نخفيها عن أعين السيدات من ذوى قربى الخطيب .

لا تظننى أنكر عليك الغيرة وانت المعروف بتقواك وايمانك ولكنى أعيذك من الحساسية المرهفة التى تصور أمامك أنواع المخاوف .

لقد كانت منك وجهة نظر أؤمل ان يتسع بعدها خيالك لما عند **غيرك من وجوه أخرى** فقد أرهق المسلمين كما تعرف تشبث بعض فقهائهم بما يستنتجون وما يفسرون لأنفسهم أو تلاميذهم ! ولو اتسعوا لما عند غيرهم على غرار ما كانوا يفعلون فى صدر الاسلام لاستغنى الاسلام عن كثير من مآسى المسلمين فى التاريخ » .

* * *

● **فكتبت أعقب عليه :**

أدع ، جانبا ، ثناء أستاذى السباعى على ، لئلا نتهم بتقارض الثناء . وأرجو الله أن أكون كما ظن بى خيرا ، وهو ما زال عندى فى مقام محمود .

أما رأيي حول رسائل الفتيات التى تنشرها جريدته «قريش» فليس ، كما بدا فى تعقيبه المنشور (بالعدد ١٦٤) من المجلةذاتها هو غيرتى أو اعتراضى على أن «تشكو فتاة مما فقدت من زوجها» ولا هو كذلك ، انكارى حقا أو حقوقا للمرأة قررها الاسلام . ولا هو أيضا احساسى المرهف « الذى ينسينى أحيانا أن الصواب فى هذه الحياة كثير ما تتعدد جوانبه » الخ ..

ليس الأمر ، أو ما كتبته شيئا من ذلك ، والا اعترفت هنا بخطئى .. وكان كل ما كتبته فى كتبى ومقالاتى عن المرأة وحقوقها، وعن الاسلام كدين ودولة ، ومسجد ومجتمع ، حججا دامغة بيد الأستاذ السباعى على !

انما الأمر .. غير ذلك .

وهو ان افساح المجال أمام الفتيات ، أو النساء عامة ليكتبن الى الصحف والمجلات ، فى شئون خاصة ، فيه تشجيع لهن على مزيد من الكتابة فى فضح أسرار البيوت ، وشكواهن من آبائهن أو أزواجهن وتهديد احداهن بالانتحار لأن أباها سيزوجها قبل اتمام تعليمها مثلا أو .. أو .. من أمور لن تفلح الصحف والمجلات فى علاجها أو حلها ، بل ستزيدها تعقيدا ، وربما دفعت الزوج الذى شكت زوجته من اهماله لواجب مغازلتها أو حضوره متأخرا بالليل ، الى طلاقها .

ولقد اقترحت فى (وجهةنظرى) تلك أن تعالج هذه المشكلات فى (قريش) موضوعيا وقصدت من ذلك أن يكتب الكاتب أو المجلة مقالا فى حق الزوجة على زوجها ، وحق الزوج على زوجته ، أو مقالا حول استحسان اتمام الفتاة لتعليمها قبل زواجها أو أن يؤذن لها بالاستمرار فى التعليم بعد الزواج ، مثلا ..

ولئن كانت هناك زوجة أو أكثر ، تشكو من اهمال زوجها لشىء من حقوقها عليه ، فهناك الكثير من الرجال الذين يشكون من اهمال نسائهم لحقوقهم عليهن . لقد جاء رجل الى سيدنا عمر

ابن الخطاب ، وهـو أمير للمؤمنين ، يقـول له : اننى أريد أن أطلق زوجتى ! فسأله : لماذا ؟ فأجاب الرجل : لأننى لا أحبها ! فقال عمر رضى الله عنه : « **أو كل البيوت يبنى على الحب ؟ أين** التذمم والوفاء ! » .

ان كلا الجنسين لهما حقوق وعليهما واجبات . ولن يظفر أحدهما بحقه كاملا ، ولن يؤدى الآخر واجبه كاملا . ومن هنـا

كان وما يزال (الصلح) حلا وسطا بين الحق والواجب . ومثل الصلح : التذمم ، والتسامح ، والوفاء ، والصبر ، وبقية مكارم الأخلاق .

وعندما ينفد صبر الرجل على كراهيته لزوجته ، أو صبر الزوجة على كراهيتها لزوجها ، فليفترقا . . وسوف يغنى اللـه كلا من سعته .

ولن تستطيع الصحف والمجلات بنشرها رسائل الشاكيات الباكيات ان تبدل حبا بكره ، أو وفاقا بطلاق . ولكن مكـان ذلك المحاكم أو وسطاء الخير .

وقضية المرأة التى جاءت تشكو الى النبى صلى الله عليه وسلم من زوجها الثانى الذى ربما أرادت أن تتخذ منه محللا لعودتها الى زوجها الأول ، واتهمته بالضعف الجنسى ، لها أشباه ونظائر كثيرة . ولكنها لن تقوم حجة للاستاذ السباعى على نشر رسائل الفتيات فى الصحف والمجلات .. لأنها ما زالت تتكرر فى نطاقها المحدود ، أو فى حماها المستور ٠٠ فى « المحاكم الشرعية » وعندى ذكريات منها احتفظ بها منذ كنت سكرتيرا لأحد قضاة مكـة فيما قبل عام ١٣٦٥ هـ .

وأذكر أنى قرأت ، منذ عشر سنوات ، رايا لأحد قضـاة لندن يقترح به أن تنشأ فى بريطانيا محاكم خاصـة لحـل مشاكل الأسر لتحتفظ بأسرار الزوجين ، ولعلها توفق للصلح بينهما فى

أمان من الذيوع والفضيحـــة .

فكيف بأستاذنا السباعى يريد أن ينقل القضايا الزوجيـــة من حماها الأمين الستير فى « المحاكم الشرعية » الى أنهار الصحف والمجلات ؟

✶ ★ ✶

أما موضوع زواج الفتاة قبل اتمامها التعليم .. فلنتساءل مع أستاذنا السباعى :

● **أيهما أفضل أو اولى للفتاة ان تتزوج أم أن تتعلم ؟**

● **وسؤال آخر** : هل اذا بلغت الفتاة سن الزواج ، وخطبها من رضى بالمقدار الذى تعلمته ورفضت هى الزواج قبل اتمـــــام تعليمها ، هل يجبرها أبوها على الزواج ، ام يتركها لرأيها ؟

● **وسؤال ثالث** : الا يشكو مجتمعنا من زيادة عدد الاناث على الذكور ؟

● **وسؤال رابع** : ألم تجار صحفنا ، وفى مقدمتها (قريش) من اقبال شبابنا على الزواج من بنات الخارج ؟

● **فاذا جاء الخطاب لثلاث فتيات بالغات** ، وأراد أولياؤهن تزويجهن، اصطيادا للعرسان النادرين ، واغتناما للفرصة العزيزة، واطمئنانا على مستقبلهن وخوفا من الموت وتركهن يتامى ، فهل تقول (قريش) لهؤلاء الأولياء : لا . لا ترغموهن على الزواج ، ودعوهن يتممن تعليمهن ؟ **وهذا هو السؤال الرابع والأخير ؟**

واذن فالأمر ليس حسا مرهفا ينسينا ان لكل شيء وجوها من الصواب . وليس انكارا لحق المرأة فى الزواج والتعليم ، ولا هو غيرة من أن تشكو امرأة من اهمال زوجها اياها .



وانما الأمر : ان لكـــل مقام مقالا ، ولكل لون من ألوان الحياة مجاله الخاص ، ولكل مجتمع تقاليده واخلاقه وضروراته وأحكامه . والا فهل يجوز أن نتدخل أيضا بين الآباء وأبنائهم حين يرى والد فقير ضرورة اخراج ابنه من المدرسة ليعاونه على كسب المعيشة ؟ أو يرى ضرورة تزويجه وهو ما يزال طالبا بالمدرسة ؟ لما رأى من فورة شبابه ، واحتمال انحرافه أو انصرافه الى الفجور ؟

أم أن الأمر هو الحديث عن حقوق الجنس اللطيف فقط ، واغراؤهن ببعث الرسائل الينا بحثا فيها عن « **عطرهن غير المشموم** » كما تقول طبيبة أمريكية اثبتت كلامها فى فصل سابق ؟

أنا **أجل الأستاذ** السباعى وأحبه وأعرف انه يكتب ما يكتب ، أو ينشر ما ينشر متحررا أكثر مما ينبغى ، وعندى

ان هناك فرقا واضحا بين ان تدعو الى منح المرأة حقوقها الطبيعية التى أثبتها الاسلام دين العلم والعقل ، وبين أن نغرى الفتيات بالشكوى من آبائهن أو أزواجهن على انهار الصحف ، بدلا من أخوالهن أو أعمامهن ، أو وسطاء الخير ، أو المحاكم .. فآخر الدواء الكى ، كما يقال ..

ليس كل (حق) للانسان ، تلزم علانيته ، ولا لباشر الزوج زوجته أمام الناس ، أو على مرأى من أولادهما على الأقل ، دون حياء فذلك حق ! لو أخذنا بمبدأ المناداة « بالحقوق » دون ما يجب لها من علانية أحيانا ، وسرية أحيانا أخرى ، أو فى أبسط تمثيل ، قلنا أن من حق الناس أن يقضوا « حاجاتهم » أو أن يتجردوا من ملابسهم ليغتسلوا .. أمام أعين الآخرين ، أو بين يدى أسرهم فى بيوتهم على الأقل !

ان بعض ((الحقوق)) عورات يجب ممارستها سرا ، والا انقلبت فضائح أو تحولت الى مشكلات .

وأحب ان أذهب مع استاذى السباعى مذهبا آخر ليحقق هدفه من اقرب طريق ، وليعلم يقينا انى معه فى الغاية . وانما أخالفه فى الوسيلة فقط ، ذلك انى اقترح عليه أنه حين يتلقى شكوى من فتاة أو يتلقاها احد كتاب مجلته فليسارع ، وهو شيخ محترم مقبول الوساطة ، ببذل جهده ومسعاه لاصلاح ذات البين .. فى موضوع الشكوى بين الفتاة وأبيها ، أو بين المرأة وزوجها ، سرا كما يدعو الى ذلك العقل والخلق والدين .

وبعد .. فلأستاذى السباعى كل حبى واحترامى .

المرأة والتلقيح الصناعى :

فى مجلة ((العربى)) التى كان يراس تحريرها الدكتور أحمد زكى ، وتصدر فى الكويت ، ركن باسم . «**أنت تسأل ونحن نجيب** » يحرره الأستاذ عبد الوارث كبير .

وقد قرأت فى هذا الركن من عدد المحرم ١٣٨١ — سؤالا من قارىء مصرى : عن امكان التلقيح الصناعى لأناث البشر ؟ ! وما هو رأى الدين فيه ؟

● **وكان جواب المحرر** : ان نجاح التلقيح الصناعى لاناث البشر بات مؤكدا . اما عن الدين فهو شىء ، والعلم شىء آخر ، ومن الضرورات ما قد تباح معه المحظورات ، واسأل أهل الذكر»؟

وقد أحسن المحرر صنعا وأصاب رأيا حين احتاط وتحفظ بقوله فى ختام جوابه ((**واسأل أهل الذكر**)) بعد أن كاد يفتى باباحة التلقيح الصناعى لاناث البشر ، بدعوى ((**الضرورات** تبيح المحظورات)) .

فالواقع ، بل المعلوم من الدين بالضرورة ، ان الزنا حرمته الشريعة الاسلامية ، لا لمجرد اتصال الذكر بالأنثى ، فى غير نطاق الزوجية المشروع ، وانما لما يلزم هذا الاتصال وينتج عنه من هتك الأعراض وتعدى الحدود ، وخرق الحرمات ، بالاضافة الى ثمرات هذا الاتصال غير المشروع من أطفال لا كرامة لهم اذ

لا أب لهم ، وبالتالى لا أسرة تؤويهم وتظللهم بعزها ، وتحميهم بمسؤوليتها الاجتماعية والاقتصادية عنهم .

● **وهذا التلقيح الصناعى المسؤول عنه لا فرق بينه وبين الزنا من حيث حكمة التشريع وغايته** . فالنطفة التى تلقى فى رحم المرأة ، وهى لرجل آخر غير زوجها الشرعى كالنطفة التى يقذفها فى رحمها رجل أجنبى بالطريق المباشر المعروف .

● **والولد الناتج عن هذه النطفة الأجنبية لن يكون ولداً شرعيا** حتى ولا طبيعيابالنسبة للزوج ، فهو يعلم يقينا أنه ثمرة لنطفة غيره من الرجال تماما . كما لو كان رجل أجنبى باشرها فعلا وأثمرت مباشرته هذا الولد الزنيم .

● **وقد نهى رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم عن الدخول بالحامل اذا كانت أمة** . وعلل المنع بألا يسقى ماءالرجل زرع غيره ، كما قرر الفقهاء **أن الزواج بالحامل زنا لأنه لا يجوز أن يدخل بها حتى لا يسقى ماؤه زرع غيره** .

وما دام الأمر كذلك من الوجهة الشرعية والوجهة الطبيعية معا ، وما دام ان الزوج العقيم يدرك فى قرارة نفسه ان هذا الولد الذى جاء ثمرة التلقيح الصناعى ليس من صلبه . وانما هو من صلب رجل آخر ، فلماذا لا يريح الزوج ضميره ونفسه من القلق وسوء الظن باتخاذ ولد شرعى آخر ابنا له يسد فراغ بيته يؤنس وحدته ووحدة زوجه ، وبخاصة اذا كان هذا الولد المتبنى من أسرة فقيرة ، فهو سوف يعين أهله على تربيته وتعليمه واخراجه الى المجتمع مواطنا صالحا .

على أن يلاحظ ، فى هذا المتبنى عدم التوريث مع جواز الهبة والوصية للمتبنى بما لا يحرم وارثا شرعيا حقه .

حواء وبنات الأنبياء :

وهذه قضية أخرى من قضايا المرأة وهى هنا تتعلق (بالانبياء) وبنات الأنبياء . واتهامهم بالحب والغرام . وبام البشر حواء واتهامها بالاغواء . .

يتحدث هؤلاء عن قصص القرآن الكريم . ويبدأون بقصة يوسف عليه السلام فيقولون : أنه فى جميل الوجه الى حد الفتنة أو الاغراء بحيث تقع فى حبه أولا امرأة العزيز ، ثم من بعدها جمع من كرائم النساء ثم يقولون ان شخصية يوسف تمثل كثيرين غيره من الاسرائيليين الذين يتركون أوطانهم الى غيرها حيث ينبه شأنهم، وينهضون نهضة اقتصادية تمكن لهم وتجعلهم كما يطلق عليهم **(ملوك المال) (١) .**

يقولون هذا انهراء دون أن يلتفتوا الى نصوص القرآن الواضحة مغترين بروايات التوراة المحرفة ، فهم لا يقرأون فى القرآن نفسه عن يوسف أن امرأة العزيز وحدها هى التى شغفت حبا به وراودته عن نفسه فاستعصم ، أما النساء الآخر فقد أعجبن به وأكبرنه وقلن : **(حاش لله ماعلمنا عليه من سوء) (٢) .**

وهم لا يقرأون فى القرآن أيضا أن يوسف عليه السلام لم يذهب متاجرا الى مصر كما يفعل اليهود . ولم يصل الى ما وصل اليه من الملك والسلطان نتيجة نهضة اقتصادية يهودية . . وانما كان يوسف ضحية غيرة اخوانه لأبيه . . تآمروا عليه وهو غلام فألقوه فى غيابة الجب ، ثم باعوه بثمن بخس دراهم معدودة : ودخل مصر مملوكا وظل فيها سجينا بضع سنين . ثم عندما انكشفت براءته ونزاهته وأمانته جعله عزيز مصر أمينا على خزائنها . . الى آخر ماقصه القرآن عن يوسف والعزيز وامرأته .

---

(١) كتاب « الفن القصصى فى القرآن » لمحمد أحمد خلف الله .
(٢) سورة يوسف : ٥١ .

ثم يعودون الى عمزهم المقيت لأنبياء الله ورسله الأكرمين عليهم السلام .. فيقولون عن سليمان : أنه احتال لتكشف ملكه سبأ عن ساقيها ، ويقولون عن موسى وشعيب : تبدأ مرحلة أخرى ، تصور الاعجاب بالفتى والاحتيال على لقاء الحبيب اذ تتقـــدم احدى بنتى شعيب الى أبيها وتطلب أن يستأجره .. ومن يستأجر ؟ « **ان خير من استأجرت القوى الامين** »(١) وكان الشيخ قد فطن الى المراد فاسرع الى تحقيق رغبة الفتاة وأقدم على الفتى بقولـــه المؤكد : (**أنى أريد أن أنكحك أحدى أبنتى هاتين**) (٢) .

المؤكد : (**انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين**)(٢) .

أليس معناه أن هذا الزاعم يجعل من بعض الأنبياء أبطال غرام ، لهم مغامرات واحتيالاتفىميدان الظفر بالحبيب ؟ أن القرآن كما أسلفنا كتاب لابد لدراسته من عقيدة صافية ، ومن ادراك كامل للمعارف اللغوية والتاريخية ، ادراك غير جامح فى متاهات الظن الآثم والخيال الكذوب .. ادراك يقف به صاحبه عند معالم الحق الواضح ، ولا يتعداها . باحثا عن الظلمات يتخبط فيهـا ظلما وعدوانا على الأبرياء .

● **فسليمان عليه السلام** كما أورد القرآن قصته كان صاحب دعوة الى الاسلام .. وجهها الى ملكة سبأ ، ولم يكن صاحبمطمع أو شهوة فى جمال أو متعة جسدية . وليس فى الفاظ القرآنومعانيه الخاصة بهذه القصة مايشير — ولو من بعيد — الى هذا الظن الأثيم بنبى الله سليمان .. وكل ما فى الأمر أنه أوتى عليه السلام ملكا لم يؤته أحد من بعده . وسخرت له الرياح والشياطين ، وكان قصره مشيدا على أجمل وأكمل مثال من الزخرف ، وعندما دخلت الملكة بلقيس عليه ظنت الصرح الممهد من قوارير لجة ماء ، فكشفت عن ساقيها . وأن يكن لسليمان عليه السلام مقصد من ذلك فهو امتحان ذكائها وفطنتها أو اظهار قوة ملكه وسعة سلطانه .. وقد سبق أن هدد ملكة سبأ بهذا السلطان عندما بعثت اليه بهديةمحاولة

---

(١) سورة القصص : ٢٦ .

(٢) سورة القصص : ٢٧

أن يسالمها ويتركها فى ملكها وبين قومها فقال للرسول : **(ارجــع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منهــا أذلة وهم صاغرون)**[١] .

ان مايزعمونه عن احتيال سليمان لكشف ساقى بلقيس .. هو من روايات اليهود فى مراجعهم التاريخية .. ولكن هل جهلوا افتراءات اليهود على عيسى ومريم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء ؟

أما ما يقولونه عن اعجاب بنت شعيب عليه السلام بموسى ، وافتتانها بقوته . واندفاعها الى أبيها تطلب منه تزويجهابه بأسلوب الاشارة والتلميح . ومسارعة الأب الى تحقيق رغبتها .. فكــل هذه خيالات وظنون آثمة لا مقر لها الا فى أذهان قصاص الحب والشهوات .

وكل مافى قصة موسى عليه السلام مع شعيب أنه أسدى يدا كريمة الى ابنتى الشيخ الكبيرفسقى لهما ..**(ثم تولى الى الظل فقال : رب انى لما أنزلت الى من خير فقير)**[٢] . وعنــــدما أخبرت البنتان اباهما بصنيع موسى معهما استدعاه اليه . ولمست البنت المرافقة لموسى ديانته وأمانته عندما طلب اليها أن تمشى من خلفه أثناء ذهابه معها الى أبيها لأن الرياح كانت تلعببثيابها عندماكانت تمشى أمامه فتبدى مفاتنها . وكانت من قبل قد لمست قوته فى عملية السقاية ، وأبوها قبل ذلك وبعده شيخ كبير فى حاجة الى معين .

ولعل البنتين قد طال عناؤهما فى السقاية فبدا لاحداهما أن تقترح على أبيها أن يستأجر موسى راعيا لغنمه ، وكان من عادات قوم شعيب أن يمهر الرجــل زوجته خدمة أبيها عددا من السنين ، فكان كل ذلك تمهيدا طبيعيا وعاديا لأن يزوج الشيخ احدى ابنتيه من موسى اعجابا بقوته وأمانته وما قص عليه من قصص نبوته ،

---

(١) سورة النمل : ٣٧ .

(٢) سورة القصص : ٢٤ .

واستعانة به فى أنعامه تعويضا عن فقده الذرية من الذكور ..

وقد استنبط الفقهاء العقلاء من قصة بنات شعيب : انها ترمز الى تشغيل (المرأة) مادامت هى أو أهلها فى حاجة الى العمل، فاذا تيسر لها أولهم الاستغناء تفرغت لما خلقت له : الزوج والبيت والولد .

أفبعد هذا يقول قائل : ان هنالك قصة حب واعجاب بين بنت شعيب وموسى ؟ . سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم !

ثم يزعمون أن القرآن عدل عن نسبة الاغواء فى قصة آدم وابليس الى حواء ، فهى التى أغوت آدم وأغرته بالأكل من الشجرة كما تقول التوراة ــ مجاراة لتقاليد البيئة العربية التى تجعل المرأة تابعة للرجل فى كل شىء .

● **وهذا الفهم الخاطىء والتعليل المعوج أزاء قصــــة آدم وأزاء حقيقة العربية ــ كلاهما مردود عليه بالتصويب الآتى :**

ثانيا ــ أن القرآن لم ينسب الاغواء الى آدم حتى يقــال : أنه عدل عن نسبته الى حواء مجاراة للتقاليد العربية فى تبعية المرأة للرجل ، وأنما نسب الاغواء الى أبليس :

● **(فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدتلهماسوءاتهما)** (١).

● **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه)**(٢) .

أما آية (فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى)(٣) فقد نسبت فيها (الغواية) الى آدم ــ وليس الاغواء ــ بعد أن حذره الله من أبليس بقوله :

---

(١) سورة الأعراف : ٢٢ .

(٢) سورة البقرة : ٣٦ .

(٣) سورة طه : ١٢١ .

(أن هذا عدو لك ولزوجك ، فلا يخرجنكما من الجنة ،فتشقى) (١).
وبعد أن وقع الاغراء فعلا من ابليس لآدم كما جاء فى لآية التالية :
(فوسوس اليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى) (٢) .

وليس أمام الباحث الصادق ، سليم المقصد الا أن يسلم برواية القران لأنه آخر كتاب سماوى ، وأصدق كتاب سماوى . واسلم كتاب سماوى برىء من التحريف . كما يقرر الله سبحانه ذلك مرارا فى مواضع متعددة من القرآن ، عندما يندد بمواقف اليهود من توراتهم التى مزقوها تحريفا ودسا .

وهكذا يتأكد ما قلناه مرارا من أن النسائيين الذين يتشدقون بالمطالبة بمساواة المرأة بالرجل . وبحقوقها المزعومة فى الحرية والعمل و لاختلاط والسفور ، يتناقضون مع أنفسهم وفيما يقولونه ويزعمونه بين حين وحين .. فهم هنا يتهمون أم البشر حواء باغراء آدم عليهما السلام مع أن القرآن يقرر صادقا تجريم ابليس بالاغراء. كما يتهمون ابنة شعيب بالتعرض لمغازلة الرجل والتعريض بالرغبة فى الزواج منه مع ان هذا يخالف حياء النساء ومروءتهن وكرامتهن ، كما يناقضن دعواهن بأن المرأة قادرة على الاختلاط بالرجل دون أن تتأثر به عاطفيا أو جنسيا !

حول طلاق الحامل والنفساء :

● **تلقيت من فضيلة الشيخ محمد عمر عبد الهادى** مدير دار الحديث بمكة المكرمة الرسالة التالية يعقب فيها على ما قرأه فى الطبعة الأولى للكتاب حول طلاق الحامل والنفساء :

---

(١) سورة طه . ١١٧ .
(٢) سورة طه : ١٢٠ .

حضرة المكرم الأستاذ الجليل ، المجاهد المناضل فى سبيل نصرة الاسلام : الاخ أحمد محمد جمال ..

سلام الله عليك ورحمته وبركاته ، وبعد .. فقد طالعت كتابك الاخير **مكانك تحمدى** فأعجبت به كثيرا — اكثر الله من أمثالك من شباب المسلمين ، وازدك الله توفيقا .

وقد لاحظت مسألة فى الكتاب — ص / ١١٢ — فى قولك : (وقد منع الاسلام أن يطلق الرجل زوجته وهى حائض او حامل أو نفساء) والذى نعرفه أن الممنوع هو طلاق الحائض اما الحامل والنفساء فلا مانع من طلاقهما . فهل هذا الذى حصل منكم هو غالب ظن ؟ أم اطلعتم على نص لم نطلع عليه ؟ أفيدونا . ولكم عاطر الشكر ..

١٣٨٥/١/١٢ هـ

محمد عمر عبد الهادى

* * *

● **وقد أجبت على فضيلته بالرد التالى :**

« **وعليكم سلام الله ورحمته وبركاته** . وشكرا لكم على حسن ظنكم بى . وارجو الله مخلصا ان ينفع هذا الكتاب .. فهذا ما قصدت اليه بتأليفه — وبعد..فان ملاحظتكم حول **(الطلاق البدعى)** وجيهة وتشكرون عليها **.وأجيبكم بما يأتى :**

أولا — ان الحكمة من منع طلاق الحائض ، باجماع الفقهاء، هو ألا تطول عليها العدة . وأنتم تذكرون — ولا شك — حديث الرسول عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمر بن الخطاب بمنعه من طلاق زوجته وهى حائض ، وأمره اياه بردها حتى تطهر الخ..

ثانيا — ان الحامل التى تبين حملها يجوز طلاقها . ومفهوم المخالفة المستمد من حادثة ابن عمر ، أو هو صريح نص الفقهاء ..

استنباطا من الحادثة والحديث أنه لا يجوز طلاق المرأة وهى حائض أو فى طهر مسها فيه لمنع الاشتباه فى أنها حامل. و خلاصة أنه لا يجوز أن يطلق الزوج امرأته وهى فى طهر مسها فيه ..

ثالثا — على ضوء ما تقدم من كلمة منع طلاق الحائض ، وفى طهر مسها الزوج فيه ، وهى عدم اطالة العدة عليها ، استنبط الفقهاء المحدثون انسحاب هذا الحكم على الحامل والنفساء . ومنهم أحمد محمد شاكر فى كتابه (نظام الطلاق فى الاسلام) ص /١٣٨ — واختاره الدكتور عمر فروخ فى كتابه (الأسرة فى الشرعى الاسلامى) ص/١٤٢ .

رابعا — لعل القائلين بذلك استأنسوا بمذهب الشيعة الامامية فى اشتراطهم لصحة طلاق المدخول بها غير لآيسة والحامل : أن تكون فى طهر لم يواقعها فيه . فلو طلقها وهى فى الحيض أو فى النفاس أو فى طهر المواقعة فسد الطلاق » ص ١٤٣ من كتاب (الزواج والطلاق) لمحمد جواد مغنية .

أما لماذا اخترت أنا هذا المذهب فى سحب حكم طلاق الحائض على الحامل والنفساء .. فلأن حالة النفساء وحالة الحامل تتفقان مع حالة الحائض من حيث العلة أو الحكمة فى منع طلاق الحائض، وهى عدم اطالة العدة ؛ بل ان الحامل تطول عدتها الى تسعة أشهر حيث تضع حملها ، والنفساء تطهر فى ثلاثين يوما أو أربعين وهى مدة تفوق مدة انتظار الحائض للطهر ..

وهو اجتهاد منى مع القياس والاستئناس بموافقة من ذكرت من علماء وفقهاء . واستغفر الله ان أخطأت ؛ وأحمده ان أصبت.

وشكرا لكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أحمد محمد جمال ١٣٨٥/١/٢٠ هـ

● **وقد عقب فضيلته بالخطاب التالى :**

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب المكرم الاخ الكريم الأستاذ لكبير السيد أحمد محمد جمال حفظه الله .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعــد . فقد تسلمت هدينك القيمة (رفقا بالقوارير) وبطيها خطابك الكريم فشكرا لك أيهاالأستاذ لفاضل ومتعنا الله بحياتك وزادك الله توفيقا واجتهادا .

وقد علمت من خطابك مأخذك فى موضوع طلاق الحامـــل والنفساء ولكل مجتهد نصيب ، سدد اللـــه خطانا وخطاك وأكثر الله من أمثالك ، وأبشرك أن الاخوان كلهم يثنون عليك خيـــرا فى جهادك الدينى .

ان الدين كما تعلم أيها الأستاذ أصبح غريبا بين أهله . وفى كل يوم يزداد غربة على غربة . ولولا البشرى النبوية بأن الطائفة لقائمة بالحق لا تزال موجودة — لا يضرها من خذلها — مثـــل سيادتكم وأمثالك فلولا ذلك لتطرق اليأس الى نفوسنا . ولـــكن نحمد اللـــه الذى جعل فى شبابنا من ينصب نفسه لدعوة الحـــق ولا يبالى بأحد كائنا ما كان ، وسلام الله عليك ورحمته وبركاته» .

١٣٨٥/١/٢٢

* * *

حول أجور العاملات :

كما تريد الحضارة الغربية (المرأة) سلعة ومتعة لقد أرادتها أيضا **(سخرة)** هينة ذليلة تعمل فى الوظائف التى لا تليق بأنوثتها ورقتها وحيائها . وقد رأينا ذلك فى بعض شوارع أوروبا وموانئها لجوية والبحرية .. ونراه الآن فى بعض الدول العربية مع الأسف الشديد .

فقد نشرت بعض المجلات العربية تقول : (ان المبدأ الشرعى المعروف يقول : **أن الذكر مثل حظ الانثيين فى الميراث** ، وأن شهادة الرجل تساوى شهادة امرأتين فى القضاء ، هذا المبدأ لا نحاول أن نجادل فيه ولكن تطبيق هذا المبدأ تطبيقا مطلقا لاشك فى أنه حرام فى بعض الظروف واليكم القصة ... كنت فى طريقى من بيتى الى القرية المجاورة فرأيت مشهدا مألوفا .. كان هناك صف طويل من الرجال يحملون **(المونة)** على أكتافهم ويصعدون فوق **(السقالات)** ويعودون فى نشاط وقوة والبناء يعلو من تحت أقدامهم ويعلو .. أما المشهد غير المألوف فهو صف آخر من لنساء يؤدين نفس العمل ، بنفس القوة والنشاط . فعجبت للمرأة التى لا تريد أن تترك للرجل ميدانا ينفرد به .

وخطر ببالى أن أتحدث الى واحدة من هؤلاء العاملات فأوقفت السيارة واقتربت من أحداهن وتحدثنا طويلا .. وأهم ما استرعى انتباهى من حديثها قولها أنها تتقاضى نصف ما يتقاضاه الرجل العامل مثلها .. وانقبضت نفسى لهذه التفرقة التى تحاربها الدولة فى كل مكان ورأيت أن من واجبى أن أطالب بمحاربة هذه التفرقة التى لا تقرها العدالة ولا أوضاعنا التحررية الجديدة ... وأعتقد أن تطبيق المبدأ الشرعى هنا حرام) .

● **والمؤسف جدا أن كثيرا ممن يكتب فيما يحل ويحرم يخوض فى الاسلام وشرعه بغير علم** ، ويدعى للاسلام ما ليس منه ويسىء تطبيق أحكامه ومبادئه ولا يفرق بين الحالات والمناسبات المتفاوتة المتباينة أثناء التطبيق .

فمن قال للسيدة سكينة السادات أن التفريق فى منح الأجور بين الرجال والنساء مبدأ شرعى حتى تقول ان تطبيق هذا المبدأ حرام .

هناك فرق واضح وصريح بين تمييز الرجل على المرأة فى الميراث ، وهو حق مكتسب بحكم النسب لا بالعمل ، أما العمل

فيتساوى فى استحقاق أجره الرجل والمرأة . سواء أكان العمـــل دنيويا . او دينيا اى يثاب عليه فى الاخره .

والقرآن الكريم صرح فى تأكيد هذا المعنى . وتقرير هـــذا المبدأ العادل الفاضل .. فهو يقول :

● **(فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او أنثى بعضكم من بعض ..) (١) .**

● **(من عمل سيئه فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحـــا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنه يرزقون فيهـــا بغير حساب) (٢) .**

● **(من عمل صالحا من ذكر او أنثى ، وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبه ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)(٣) .**

فهذا الظلم بالتفريق بين اجر المرأة وأجر الرجل علىمايعملان فى دنياهم من اجل العيش والكسب ليس من الاسلامفىشىء فالاسلام دين العدل والمساواة وأعطاء كل ذى حق حقه . ومجازاة كــــل عامـــل بمقدار عمله وبما يستحق من اجـــر لقاء ما بذل من جهـــد وما تحمل من مشقة .. الرجال والنساء فى ذلك سواء .

أما التميز بين الرجل والمرأة فى الميرات الشرعى الذى هو كما اسلفت مكتسب بحكم النسب لا بالعمل فحكمته البالغة أن الرجل مكلف بالانفاق على أقربائه وزوجته وأولاده بعكس المرأة التى هى مكفولة النفقات ، والمهر مبذول لها من الرجل . ومن هنـــا كان نصيب الرجل ضعف نصيب المرأة من الميراث .

نقول ذلك .. وأن كنا نؤثر للمرأة المسلمة الا تشاركالرجال الأعمال الشاقة التى لا تتناسب مع أنوثتها ورقتها كما قلنا آنفا . وحبذا لو أخلص المسئولون عن هؤلاء العاملات فى البحث عن أعمال مناسبة لهن . رفيقة بهن ، حافظة لكرامتهن .

---

(١) سورة النحل : ١٩٥ .

(٢) سورة غافر : ٤٠ .

(٣) سورة النحل : ٩٧ .

شبهات وأغاليط :

فى الصفحات التالية نتناول باذن الله وعونه بعض **((الشبهات))** التى يثيرها فريق من الكتاب حول **(قضية المرأة)** بقصد اثارة الاهتمام بها ، والانشغال بما يزعمونه من حقوق لها لم يقـــررها الدين ولا العقل ولا واقع الحياة .

هل المرأة أقوى من الرجـــل ؟

من ذلك قول أحدهم أن المرأة أقوى من الرجل ، وأن الرجل أضعف من المرأة بدليل قول القرآن الكريم:**(٠٠ان كيدكن عظيم)** (١) من سورة يوسف حيث دلت الآية فى رأيه على ضعف الرجــل . وقلة احتياله ، فهو لانه أضعف من المرأة كيدا وأقل احتيالا ، قد استحق ضعف الميراث ..

وقال صاحبنا : أن اكتشافا علميا حديثا يؤكد أن المرأة اكثر احتمالا من الرجل للشدائد ، وأطول صبرا عليها .. فهى تحمل وتضع وترضع ، وللحمل والوضع والرضاع ورعاية الأطفال فى البيت متاعب ومصاعب ثقال لا يقوى على حملها الرجال !

والرد على صاحبنا فيما فهم مخطئا من آيات القرآن وتفسيرها ومقارنتها بالاكتشافات والنظريات الحديثة — يسير وقريب . . **نوجزه فى الفقرات التالية :**

أولا — نسى صاحبنا أن هناك آية صريحة محكمة من قول الله عز وجل مباشرة — وليست حكاية عن عزيز مصر — وهــى قوله تبارك وتعالى :**(الرجال قوامون على النساء بما فضل اللــه بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم٠٠)**(٢) فالله هو الذى حكم بهذه القوامة للرجل على المرأة ، وعللها بمؤهلات طبيعية تكوينية

---

(١) سورة يوسف : ٢٨ .

(٢) سورة النساء : ٣٤ .

فى نفس الرجل وعقله وجسمه . وبمؤهلات كسبية يمتاز بها الرجال على النساء .

وفى الحديث النبوى تأييد وتأكيد لهذا الامتياز الطبيعى : (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب — منكن — قالت امرأة منهن : يارسول الله وما نقصان العقل والدين ؟ قال أما نقصان العقل فشهادة أمرأتين تعدل شهادة رجل ، فهذا من نقصان العقل ، وتمكث الليالى ما تصلى ، وتفطر فى رمضان ، فهذا نقصان الدين) .

قلت : والقرآن نفسه يوضح نقصان العقل بقوله : **(أن تضل احداهما فتذكر أحداهما الأخرى)** (١) ومن أصدق من اللـــــه قيلا ؟

ثانيا — أن الرجـــل هو الذى يؤدى الصداق الـــى المرأة (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (٢) ؟

ثانيا — أن الرجل هو الذى يؤدى الصداق الـــى المـــــرأة حين يخطبها ، وينفق عليها بعد أن يتزوجها وعلى أولادها منه ، وهى ليست مطالبة بالنفقة علـــى نفسها ولا على زوجها ولو كانت ذات مال ومتاع .

كما أنها ليست مسئولة عن نفقة أقاربها الذين ترثهم فى حين أن الرجل مسئول — كما جاء فى الآية : **(وبما أنفقوا من أموالهم).**

ثالثا — لقد فرض الجهاد على الرجال دون النساء لأنـــه يحتاج الى قوة نفس ، وقوة جسد ، وكذلك جعل الطلاق فى يـــد الرجل لأنه أضبط لأعصابه ، وأكثر تحكما فى سلوكه من المرأة . . . التى لو جعل اليها الطلاق لطلقت زوجها فى اليوم الف مرة — وقد ورد فى الحديث النبوى :

- **(أنهن يكفرن العشير ، لو أحسنت اليهن الدهر كله ثـــم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط) .**
- **(أنهن خلقن من ضلع أعوج وأعوج مافى الضلع أعـــلاه ، فلو ذهبت تقيمه كسرته) .**

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ .　　(٢) سورة الملك : ١٤ .

● **(استوصوا بالنساء خيرا فأنهن عوان لديكم)** أى أسيرات ضعيفات .

رابعا — أن العلم الحديث ما يتعلق منه بالنفس أو تكوين الأعضاء أو وظائفها أثبتت أن الرجـل اقوى من المرأة نفسا وجسدا ، وأسنم عقـلا وتفكيرا ، وأقوم خلقا وسنوكا . والواقـع المشهود الذى يمتد عبر الآجيال الماضية والحاضرة يؤيد ذلـك ويؤكده .

وقد لاحـظ التريـع الاسلامى هذا الاختلاف التكوينى بين الجنسين . فهو وأن فرض عليها الصلاة والصوم والحج — كما فرضها على الرجل — الا أنه خفف عنها فلم يوجب عليها قضاء الصلوات التى تفوتها فى أيام الحيض والنفاس — ولا الزمها الجمعة والجماعة . ونبه الى أن صلاة المرأة فى بيتها افضل ، ليقيها مساوىء الازدحام والافتتان . واشترط المحرم لوجوب الحج عليها . ولـم يساو بينها وبين الرجل فى كيفية الاحرام .

خامسا — أما القول بأن الرجل أضعف كيدا وأقل مكرا من المرأة بدليل قول العزيز : **(أن كيدكن عظيم)** فالاحتجاج بذلك ليس فى صالح الدعوى ، بل هو ضدها فالمرأة كما ثبت علميا وخلقيا وواقعيا تلجأ الى الكيد والمكر لأنها ضعيفة لا تقدر على المواجبة والمجابهة كما يفعل الرجل . . ولا يكيد من الرجال الا **(الضعيف)** .

ولو تأمل صاحبنا قصة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام، ومثلها قصة بلقيس ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام كما جاءنا فى القرآن الكريم — لادرك أنهما أى القصتين ، تنتهيان بالتدليل والتأكيد على حقيقة ضعف المرأة ، وقوة الرجـل تفكيرا وتدبيرا وسلوكـا .

فيوسف اعترف ابتداء من أول مرة وبدون مراوغة أو محاولة منه لتغطية الموقف ـ بقوله : **(هى راودتنى عن نفسى)**(١) .

---

(١) سورة يوسف : ٢٦ .

أما هى فعنى عادة النساء فى القاء الاتهامات على الغير — رمت بالتهمة يوسف عليه السلام ، وعلى الرغم من شهادة شاهد من أهلها بكذبها وصدقه أصرت على الانكار الا بينها وبين زائراتها من بنات جنسها — على عادتهن أيضا فى كشف الأسرار وفضح العورات ، فيما بينهن حيث قالت لهن : **(فذلكن الذى لمتننى فيه .. ولقد راودته عن نفسه فاستعصم)** (١) .

أما يوسف عليه السلام — فقد أصر على ألا يخرج من السجن الذى دخله مظلوما حتى تعلن براءته ، وحتى تجىء شهادة صديقات زليخا : **(حاش لله ما علمنا عليه من سوء ..)** (٢) وحتى تعترف هى بعد هزيمتها أمام قوة يوسف الرجل وطهارته وايثاره السجن على الفاحشة : **(الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه .. وانه لمن الصادقين)** (٣) وكذلك تفعل النساء أبدا . بل كذلك يفعل الرجال الضعفاء المتشبهون بالنساء .

أما بلقيس فتتجلى طبيعة الأنوثة الضعيفة المتأثرة المهادنة فيها — عندما تلقت دعوة سليمان عليه السلام لها الى الاسلام فأرسلت اليه هدية تحاول بها مجاملته ومهادنته ومعرفة سره — ثم عندما بهرها الصرح الذى حسبته لجة فكشفت عن ساقيها ، فقال لها انه صرح ممرد من قوارير .. وكذلك النساء تعجبهن المظاهر والزينات والزخارف ، وتأخذهن قوة الرجل وقدرته وجلال مكانته: **(قالت رب أنى ظلمت نفسى ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)** (٤) .

وهناك — فى القرآن أيضا — اعتراف امرأة عمران التى نذرت حملها ليكون اذا جاء ذكرا سادنا للكنيسة : **(فلما وضعتها قالت رب أنى وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ..)** (٥) أى لا تستطيع القيام بعمل الرجل الذى يمتاز عليها بالقوة والقدرة والخبرة وطول الاحتمال .

---

(١) سورة يوسف : ٣٢ . (٢) ، (٣) سورة يوسف : ٥١ .
(٤) سورة النمل : ٤٤ . (٥) سورة آل عمران : ٣٦ .

وهكذا يصدق القرآن ، لأنه كتاب الحقائق . فى تقرير ضعف الانوثة وقوة الرجولة ، لحكمة التناسب والتناسق فى نظام الزوجية الذى شرعه الآله العليم الحكيم — وكل ميسر لما خلق له — كما قال الرسول الكريم .

* * *

حول التثقيف الجنسى :

وهذه (شبهة) أخرى حول المرأة ، والعلاقة بين الجنسين ، وما يكرره هؤلاء (النسائيون) من الدعوة الحارة الى الاختلاط المطلق بين الفتيان والفتيات وتبادل عواطف الحب والغرام وانشاء العلاقات والصداقات بين الجنسين فى حرية تامة بعيدا .. **وبعيدا جدا عن الزواجر : (عيب) (وحرام) الخ ..**

فالتربية الحديثة — بزعمهم — تقوم على استبعاد التحريم ورفع نيره عن النفس الانسانية ما وجد الى ذلك سبيل ..

والصمت الذى يلتزمه البيت والمعهد والمجتمع أزاء المسألة الجنسية يزيد الهوة بيننا وبين الفضيلة اتساعا . وقد أدرك ذلك كثير من الأمم الناهضة . فشرعت تلقن أبناءها الصغار والكبار مالابد أن يعرفوه من ذلك ..

وردنا على هؤلاء النسائيين :

● **أولا — برأى خبراء ومستشارى التربية والتعليم فى مصر ،** فى هذه المسألة (بأن يترك للشبان والشابات معرفة الحقائق الجنسية لظروفها التى ستفاجؤهم فى أوانها) .

● **ثانيا — نسألهم : ماذا أفادت الأمم الناهضة التى لقنت صغارها وكبارها المسألة الجنسية ؟** غير هذه الاباحية التى لم يعد معها لاعراض الفتيات والزوجات حرمة ترعى ، ولم يعد للبيوت والأسر شرف يراق فى سبيله الدم ؟

أو لم يسمع هؤلاء أنباء الحملة الاخلاقية الأخيرة التى تزعمها الأساقفة الكاثوليك فى أسبانيا ، ونادوا فيها بالامتناع عن مشاهدة الأفلام والروايات المخلة بالآداب العامة — وعدم ارتداء المايوهات والملابس الرياضية العادية — وعدم ارتياد الحمامات التى تجمع بين الذكور والاناث ، والابتعاد عن المراقص التى لا تراعى الاخلاق العامة — ومقاطعة الكتب التى تتحدث بما يخالف التعاليم الدينية ؟

ثم الم يسمعوا بابا روما وهو يوجه أخيرا نداء : بأن خروج السيدات فى الملابس الحديثة الى الشواطىء والأماكن العامة ودور العبادة ، أصبح مأساة يندى لها الجبين ، ويتوقع منها الخطر الجسيم على اخلاق الشباب ؟

● **ثالثا — نتحداهم أن يذكروا أمة واحدة** فى التاريخ القديم أو الحديث قام بين رجالها ونسائها تجاوب نظيف طاهر بعيد عن رابطة الزواج الشرعى — كما يريد أن يقوم بيننا هذا الحب العذرى الجماعى المزعوم !

ويزداد هؤلاء اعتزازا بالمدينة الغربية ، وانخداعا بقشورها العلمية . فيزعمون أن المجتمع الانفصالى — الذى لا يختلط فيه النساء بالرجال — يشيع فيه الشذوذ الجنسى بنسبة ٨٥٪ بين الرجال و ٦٥ ٪ بين الاناث .

وهو كلام من الوجهة الواقعية كذب وافتراء وهذا المجتمع الانفصالى الذى يذكرونه خير من مجتمعاتهم التى نقرأ فى صحفها كل صباح عن الفضائح الجنسية والخيانات الزوجية ما تفزع له الافئدة ، وتندى له الجباه !

أما الناحية العلمية التجريبية فان أباحة الاتصال بين الفتيان والفتيات لا يمنع الشذوذ الجنسى أو يحول دون وجوده . . فالشذوذ الجنسى موجود فى بعض الدول الأوروبية المتقدمة . . الناهضة — بزعمهم — الظافرة بأقساط وافرة من الثقافة والسياسة ، مع أن المرأة هناك خالعة لباس العفة والحياء حتى أن الرجال والنساء

يلتقون اللقاء الجنسى الطبيعى فى حدائقها العامة ، ولا رقيب عليهم ولا حسيب من رجال الشرطة أو رجال الأخلاق .

وتفسير هذه الظاهرة فى أوروبا أن الرجال من كثرة عرض النساء لمفاتنهن ومحاسنهن — أنصرفوا الى شىء جديد أو شىء ممنوع ..

وقد عالج (هتلر) هذه العلة الاجتماعية عندما تولى زعامة ألمانيا ، بسياسة الفتك بمرض الشذوذ الجنسى فى غير رحمة ولا لين ..

ويزعم هؤلاء احتجاجا على دعوتهم المنكرة — انه كان على رأس فضائل الناس أن تقدم لا ضيافك زوجتك أو بنتك ولعل هذا يفسر قول نبى الله لوط عليه السلام لقومه حين هاجموا داره ليفتكوا بضيوفه فتكا جنسيا — هؤلاء بناتى هن أطهرلكم ، **فأين هذه** الفضيلة اليوم ؟

ونحن لا ننكر أنه كانت هناك فى فترة من تاريخ الانسان الموغل فى القدم أو من تاريخ طفولة الانسان — تقاليد اجتماعية ، منها: أن يقدم المرء بنته أو زوجته لضيفه ، ولكننا لا نسميها **(فضيلة)** كما يسميها هؤلاء النسائيون الا اذا جاز لنا أن نسمى فضيلة هذه **(التقاليد)** الاباحى الذى نراه اليوم فى صورة مزيفة مزوقة مزخرفة بزخرف الحضارة الحديثة المفتراة عندما يقدم المرء الديوث زوجته أو بنته أو أخته لرجل ما أو رجال طمعا فى منصب رفيع أو جاه عريض أو جريا وراء تبادل الصيد .. زوجة بزوجة أو أختا بأخت .. كما هو واقع اليوم فى بعض البلدان الغربية التى يموت هؤلاء النسائيون غراما بحضارتها ومدنيتها وعلومها وأخلاقها وفى بعض البلدان الشرقية التى سرت اليها العدوى ولحقها التيار !

ومع ذلك فلن نسمى فعلة الديوث (فضيلة) كما سماها

هؤلاء النسائيون سواء أرجعنا بتاريخنا الى جاهلية الانسانية وهمجيتها الأولى أم عدنا بتاريخنا الى القرن العشرين الذى نعيش فيه .

ومن ثم يتبين كم يتجنون على نبى الله لوط عليه السلام حين يفترون عليه أنه قدم بناته لضيوفه كما يفعل الديوث بلا اختلاف .

والفارق بين الفعلتين بعيد .. فلفعلة الديوث أسبابها وأغراضها التى أوضحناها ، ولفعلة لوط عليه السلام ، أسبابها وأغراضها التى نوضحها فيما يلى :

لقد أبتلى لوط بقوم يأتون الذكران من العالمين ، وهى فاحشة ما سبقهم بها أحد من لأمم الغوابر كما أخبر القرآن . ولقى لوط من عنتهم ما لقى وضاق بهم ذرعا . وحين أخفق فى هدايتهم الى السبيل القويمة ــ بعث الله اليه وفدا من الملائكة لمحادثته فى شأنهم ، وتدبير الانتقام منهم ، واشعاره بكيفية نجاته وأهله ــ الا امرأته ــ مما سينزل بهم من عذاب غليظ ..

ولكن قوم لوط ، وهم فى سكرة حيوانيتهم يعمهون ، اقتحموا عليه داره يريدون نيل ضيفه .. الملائكة الكرام الذين جاءوا فى صورة فتيان صباح .. وهى جراءة بالغة مدى القحة الى أقصاه. فهم لم يكتفوا بأن عصوه وخالفوه ولم يؤمنوا برسالته ولم يسمعوا نصحه بترك الفاحشة فزادوا بالجرأة عليه والهجوم على ضيفه لفعل مانهاهم عن فعله !

وزجرهم لوط .. قال (هؤلاء بناتى هن أطهر لكم) (١) ولاريب فى أنه عليه السلام وهو المصطفى لرسالة الله ــ أراد منهم أن يتزوجوا بناته ، ليصرفهم عن ضيفه ، وليحولهم من الطريق القذر الى الطريق النظيف .

أو أراد بذلك (بنات أمته) على المجاز كما ورد عن نبينا عليه

---

(١) سورة هود : ٧٨ .

الصلاة والسلام : (وأزواجه أمهاتهم) وغرضه فى كلتا الحالتين النكاح لا السفاح .. كما يزعم هؤلاء استقاء من التوراة المحرفة ، اذ لا يعقل أن يحدث هذا من أى رجل صالح فضلا عن نبى اصطفاه الله لهداية قومه كما لا يصح أن يعبر عنه بأنه أطهر لهم ، فغسل الدم بالبول ليس من الطهارة فى شىء بل الذنوب فى هذه الحال أكبر لأنه أمر بالمنكر . وخروج عن الحكم الشرعى .

* * *

وخلال حديثهم عن المسألة الجنسية وعن ضرورة ترك حبل الفتيان والفتيات على غاربهم ، وعن عدم جدوى التدين والترهب والتنسك يوردون قصة امرأة نوح وامرأة لوط .. بما تضمنته الآية القرآنية **(كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل أدخلاالنار مع الداخلين)** (١)لا يهام القراء بأن خيانة زوجتى نوح ولوط عليهما السلام كانت خيانة جنسية ، خيانة زوجية ، خيانة عرضية . وذلك بهتان عظيم ..

● **قال الامام الآلوسى :** ولعمرى لا يكاد يقول بذلك الا ابن زنا .. وقد أخرج غير واحد عن ابن عباس مازنت امرأة نبى قط . وفى الكشاف : لا يجوز أن يراد بهما الفجور .

وقد أجمع المفسرون على أن خيانة امرأة نوح وامرأةلوط هى الكفر برسالاتهما .. وكانت الأولى تقول للناس عن نوح أنه مجنون . وتدل الثانية قوم لوط على ضيوفه وهى تعلم أنهم مولعون باتيان الذكران دون النسوان .

فهى اذن خيانة دينية .. وليس هنالك من ظروف المقام وملابساته مايدعو الى تفسيرها بالخيانة الجنسية فالمقام مقام نبيين ورسالتين ودعوتين الى الحق ، ومقام ضلال زوجتى هذين النبيين ، وكفرهما برسالاتهما . واغراء الناس بهما ، والتآمر مع العدو عليهما .

بل أن ظروف وملابسات قصة قوم لوط تنفى نفيا قاطعا أن يراد ذلك المعنى القذر الذى زعموه .. فقوم لوط اناس أولعوا

---

(١) سورة التحريم : ١٠ .

بأتيان الرجال دون النساء ولم يستطع لوط مع ما بذل من نصح وموعظة أن يهديهم أو يصلحهم .. فمع من منهم تخونه زوجته ؟

أن الدول والحكومات القديمة والحديثة تسمى الرجل أو الرجال الذين يقفون فى وجهها معارضين ويدبرون لها المكائد لاسقاطها **(خونة)** وتتهمهم **(بالخيانة العظمى)** .

بل أن القرآن الكريم عد مخالفة الناس لأمر الله وأمر رسوله **(خيانة)** فقال عز وجل فى سورة الانفال : **(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ..)**(١) .

فما هو المانع اللغوى أو العرفى أو التاريخى أو العقلى من تسمية مخالفة امرأتى نوح ولوط لزوجيهما النبيين الصالحين ، وتآمرهما مع العدو عليهما خيانة ؟

* * *

عزوبة المرأة والرجل :

هذه (أغاليط) باسم العلم وباسم الدراسات المقارنة وتحت عناوين الاستفتاء والاحصاء فقد نشرت بعض الصحف مقالا بعنوان (تزوج .. تعش طويلا) وهو مقال من حيث الاغراء بتزويج العزاب .. لا بأس به فهو ترغيب وترهيب بأسلوب دعائى بحت .. يفتعل أفضلية النساء افتعالا .

● **الاغلوطة الأولى : أن أكثر الأمراض انتشارا بين العزاب:** الدرن الرئوى والسرطان وأمراض القلب ثم الأمراض السرية بأنواعها — والواقع العلمى والتجريبى والاحصائى يقول : أن هذه الأمراض تصيب العزاب والمتزوجين على السواء . وليست هى نتيجة العزوبة وانما هى نتيجة لأسباب الاصابة — بضعف فى التغذية ، أو قلة العناية بالوقاية الصحية ، أو الاجهاد أو الصدمات والانفعالات العصبية والنفسية — وبالنسبة للامراض

---

(١) سورة الأنفال : ٢٧ .

البشرية : الانحراف الخلقى وهو موجود بين الفريقين على سواء..

● **الأغلوطة الثانية : ان الرجال لم يخلقوا لحياة العزوبة أبدا،** وهذا على عكس النساء فالمرأة فى مقدورها أن تعيش من دون زواج من غير أن تتأثر فسيولوجيا !

والأغلوطة هنا فى حكمين أحدهما : أن الرجال لم يخلقوا لحياة العزوبة أبدا ، وهو كلام صحيح . ولكنه أغفل سحبه على النساء أى أن لنساء لا بأس بعزوبيتهن ، ثم أكد هذا المفهوم الـــــذى يعبر عنه علماء اللغة والبلاغة **(بمفهوم المخالفة) بقوله** ــ وهو الحكم الثانى ــ أن المرأة فى مقدورها أن تعيش **دون** زواج مـــن غير أن تتأثر فسيولوجيا ، والواقع العلمى والتجريبى والاحصائى **يقرر الحقائق التالية :**

أولا ــ أن المرأة والرجل كليهما لم يخلقا لحياة العزوبة أبدا، ومن وجهة النظر الدينية تتفق الأديان السماوية الثلاثة على هذه الحقيقة الطبيعية التى لا تحتاج الى جدل عقيم باسم الاحصاء أو بدعوى الدراسات العلمية ..

ثانيا ــ أن التـــركيب النفسى والعضـــوى (السيكولوجى والفسيولوجى) لكل من المرأة والرجل يؤكد الحقيقـــة الأولى ، ويؤيد حكمة التشريع الدينى للزواج .

ثالثا ــ أن الزواج بالنسبة للمرأة أهم منه بالنسبة للرجـــل فهو عندها الغاية القصوى والحلم الأول والأخير . ويفترى كذبا على الحقيقة العلمية والتجريبية من يقول : أن المرأة بعلمهـــا أى أدبها أو منصبها و مالها تستطيع نفسيا وعضويا أن تستغنى عن الزواج . ولا حكم للشواذ النوادر اللاتى تنتهى حياتهن بانهيار الأعصاب أو الجنون . ولا .. كذلك الرجال فهم بشواغلهم الفكرية والاجتماعية ومطامعهم نحو المزيد من المجد والمـــال ، وبمختلف المجالات المتاحة لهم ــ طبيعيا واجتماعيا ــ للتفكير والعمل ،

فالزواج عندهم وسيلة للاستقرار العائلى ، وليس غايتهم الوحيدة فى دنياهم .

● **الأغلوطة الثالثة : أن كاتب المقال المجهول أورد عبارة فى خاتمته ،** نسبها الى (بنيامين فرانكلين) معناها ان الرجل الاعزب يتلاشى قيمته اذا قورن بالرجل المتزوج . وان الأعزب حيوان ناقص أو انه فردة مقص لا غناء عنها للفردة الاخرى حتى يكتمل نفعها ! ما شاء اللـــه ! والمرأة العزباء لا تتلاشى قيمتها الى جانب المرأة المتزوجة ؟ ولماذا لا تكون حيوانا ناقصا كالرجل الأعزب أو فردة مقص ؟ !

● **الأغلوطة الرابعة : أن المرأة أقوى شخصيـــة من الرجل،** وأقل اندفاعا لهواتف الغريزة . ولذلك فلا خوف عليها من الاختلاط بالرجال فى مجالات العمل والتعليم ، والاندية الادبية . وملاعب الرياضـــة !

ومن غرائب الصدف أن تأتى أخبـــار دورة رومـــا الاولمبية فى ايطاليا بما يدحض حجة هؤلاء النسائيين ويهزم منطقهم الباطل. فقد كتب الأستاذ محمد أحمد الصاوى فى زاويته **(ما قل ودل)** عن الدورة الأولمبية الايطالية وقال : ان المسؤولين عنها قد أصدروا أمرهم بمنع اختلاط اللاعبين باللاعبات ثم قال الاستاذ الصاوى : (ان هذا القرار الحكيم لم يتخذ خبط عشواء بل اتخذوه بنـــاء على التجربة وعلى معرفة صحيحة بطبيعة الرجال والنساء — وخاصة ضعف حواء .. فهى على استعداد دائم لاخراج آدم من الجنة . بل من الدورة الأوليمبية مدموغا بالفشل . مطبوعا بخيبة **الأمل — ثم يضيف الأستاذ الصاوى قوله :**

أن هذا درس لنا . ماقى ذلك شك . كفيل بان يحررنا مـــن عقدة **(الخوف)** من التفرقة بين الصبيان والبنات خشية الاتهام باننا نعيد أيام اليشمك والحريم) .

فلنذكر هذا الدرس ولا نجعل فى المعاهد والملاعب الرياضية الامر مختلطا . فللشباب نشوه اشد من الفودكا .. والحصور واهيه .. بالبنان تتجذب !) .

هذا هو تعليق الاستاذ الصاوى على الخبر .. الوارد من ايطاليا عن فصل اللاعبات عن اللاعبين فى الدورة الاولمبيــة . والاستاذ الصاوى صحفى مصرى عريق وغريق فى حب باريس وعطرها ونسائها وتجاربها الحضارية الممتعة . وله فى ذلــك مؤلفات ومقالات وكلمات مقروءة منذ اربعين عاما أو تزيد !

فهل أحمد الصاوى محمد كاتب رجعى ؟ أم أنه يكتب الآن عن تجربه ومعرفة وخبرة ؟ (ولا ينبئك مثل خبير) !

● الأغلوطة الخامسة : أن المرأة أذكى من الرجــــل .. وأكثر صبرا فى مجال العمل والوظيفة . وقد قرأت أخيرا ما يدحض دعواهم صادرا من حدى الدول الغربية التى هى مصدر هــذه الفتنة النسوية التى يحملون لواءها وينشرون بلاءها .

فقد نشرت (جامعة بنسلفانيا) الأمريكية تقريرا بتحرياتها عن الفوارق بين الرجل والمرأة . وجاء فى هذا التقرير : **أن المرأة تعترف بتفوق الرجل عليها .. فى المسائل الذهنية والعقلية .**

وقال التقرير :**أن البحث قد دل على أن المرأة** تحب **أن تنظر الى زوجها كانسان يمتاز عنها وهى مغتبطة بهذه النظرة ســواء كان يستحقها أو لايستحقها ، وأنها تريد أن يكون زوجهــا أوفر ذكاء منها** . واذا لم يكن كذلك فهى تحاول أن تقنع نفسها بانـــه متفوق عليها فعلا . وفى اليوم الذى يثبت لها أنها واهمة فى هــذا الاعتقاد تصاب بخيمة أمل فى حياتها الزوجية .

فالى الذين يحاولون أن يخلقوا من الناقة جملا أو من المرأة رجلا أهدى هذا التحقيق من جامعة أمريكية .

هذا موجز للرد على الأغاليط الدعائية التى تطلق فى دنياالمرأة

وهى تجنى عليها أكثر مما تجنى على الرجل . لانها محاولاتخبيثة مخربة لاخراجها عن طبيعتها وتكليفها بمالم تخلق له ولا تقــدر عليه . وهذا لا يعنى طبعا أن المرأة أقل شأنا من الرجل فكلاهما . ولنستعر التعبير من نفس الأغاليط ، فردتا مقص واحد أو هما **(غصنا شجرة أيهما قطع اوحش صاحبه)** كما جاء فى تعبير عربى ادبى قديم .

أجل .. أنهما غصنا شجرة أو نصفا تفاحة . أو يدا انسان تغسل احداهما الأخرى وتعينها وتسعدها ــ **كما جاء فى تشبيه** نبوى بليغ .

● وصدق الله الخالق المدبر اذ يقول : (فاستجاب لهــم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ــ بعضكم من بعض) [١] **أى أن الرجل من المرأة والمرأة من الرجل .. تكوينواحد، وتركيبة واحدة .. صنع اللـــه الذى أتقن كل شىء ــ سبحانه وتعالى عما يشركون ــ وعما يصفون ــ وعما يفترون .**

✶ ★ ✶

اللحظة الحاسمة فى حياة المرأة :

(المرأة السعودية) تنشر عنها بعض الصحف والمجلات التى تصدر فى الأقطار العربية المجاورة أخبارا وتعليقات تزعم فيها أن النساء فى بلادنا محرومات من جميع الحقوق التى يتمتع بهـــا غيرهن فى البلاد الأخرى ، والاختلاط بين الجنسين معدوم تماما ، فينشأ الفتيان والفتيات فى حرمان وكبت كاملين) .

ان المجلة ، وان كانت لم تنص على (الحقوق) التى زعمت أن المرأة السعودية محرومة منها ، وأن غيرها فى البلاد الأخرى متمتعة بها ــ فهى تعنى بها الاختلاط بالرجل وحريةاتخاذ الاخدان ، وغشيان المجتمعات العامة . فالبنات عندنا يتعلمن كالبنين حتى المستوى الجامعى ، ولكنهن منفصلات عنهم . وذلك خير وبركـــة

---

(١) سورة آل عمران : ١٩٥ .

لهن ولاهلهن ولوطنهن أيضا ، لأنه متفق مع تقاليدنا الدينيةوالقومية.
وأما العمل .. فالمرأة السعودية بحكم طبيعة مجتمعها الاسلامى العربى فى غنى دائم عن مزاحمة الرجل على الوظائف و لأعمال .. الا ما كان خاصا بالنساء كأشغال الابرة والخياطة وتعليم البنات فهناك من نسائنا من تؤدى هذا النوع الهادىء من لعمل المناسب لكفاءة المرأة واختصاصها كما أن منهن المدرسات ، ومديرات المدارس والطبيبات حيث يقمن بالواجب أزاء تعليم بنات جنسهن وتطبيبهن .

وأما (الاختلاط) وهو ما تعنيه المجلة ، وأول ما يدعو اليه دعاة السوء ، وأول ما يعده العادون من مظاهر المدنية والحضارة ، وأول ما يبكى عليه الباكون المغرضون **فهو ما نريد أن نزيد الحديث** عنه بسطا .. بالاضافة الى ما أسلفناه من قبل . ومن سؤ حظ دعاة الاختلاط بين الجنسين ، أن كل يوم يمر يثبت خطأ ما يدعون اليه ، ويبطل حجتهم ويفضح نيتهم .. وأنا كما ذكرت من قبل ، لن آتى ببراهين أو تجارب من التعاليم الاسلامية أو التقاليد العربية ، وانما أحدثهم بأسلوبهم ، وأخوض معهم فيما تخوض الحضارة الغربية فيه ، وهى التى سحرتهم ببريقها الخداع ، وأكشف لهم ما تتلظى فيه هذه الحضارة الساحرة من نار وعار ..

تقول الدكتورة ماريون هيلارد فى مجلة (ريد رزد ايجست) وهى رئيسة قسم أمراض النساء بمستشفى جامعة (تورنتو) .

● **أن ما يزعمه الزاعمون** من أن الحرمان الجنسى أنما يعالج بالاختلاط والمصادقة بين الرجل والمرأة غير سليم .. ذلك أن الانغماس فى العلاقات الجنسية ليس حلا للمشكلة وانما حلها بممارسة نشاط بدنى عنيف حرفى أو مهنى ، وبالتطوع فى عمل خيرى يستغرق الجهد والوقت جميعا(١) .

---

(١) المختار [illegible] ١٩٥٦ م .

● **وانى كطبيبة أعتقد أنه** ليس بامكان قيام علاقة بريئة من الشهوة بين رجل وامرأة ينفردان أحدهما بالآخر أوقاتا طويلة ، وما أكثر ما وقعت الواقعة بينهما وكنت – بحكم عملى – أهتم بأولئك الفتيات غير المتزوجات اللاتى يوشكن أن يصبحن أمهات ! فكنت أسأل بعضهن ممن يتميزن بالذكاء والحس المرهف : (كيف أمكن أن يحدث ذلك ؟) فكانت الفتاة تجيبنى قائلة : (لم أستطع أن أضبط نفسى) .. وحتى الزوجات اللاتى يرتكبن نفس الخطيئة كن ينتحبن قائلات (لم نستطع أن نضبط أنفسنا) .. ومع ذلك فقد كان فى مقدورهن أن يتفادين الكارثة لو لم يتركن أزواجهن ويصاحبن الاصدقاء أثناء العودة الى البيت أو الذهاب الى النادى !

● **وهكذا نرى فى العلاقة بين المرأة والارجل** لحظة لا يمكن أن يتحكم الانسان أثناءها فى عواطفه أو يسيطر عليها ومن ثم يضيع شرف المرأة الى الأبد ..

● **وأن خير وسيلة للمرأة تدفع بها عن نفسها حدوث الكارثة :** هى أن لا تثق فى مقدرتها على الامتناع فى تلك اللحظة الحاسمة .. التى تحتشد فيها عاطفة المرأة أحتشادا كاملا ..

وهنا أريد أن أعقب على الفقرة الأخيرة من كلام الدكتورة ماريون بأن المرأة وهى تعيش فى تلك اللحظة الحاسمة ، لا يمكن لها أن تمتنع .. وبخاصة وقد أحتشدت – على حد تعبيرها – كل عاطفتها الجنسية أحتشادا كاملا ..

أريد أن أذكر بالسبق الاسلامى الى ما قررته الدكتورة ماريون فى قول رسولنا صلى الله عليه وسلم : (**ما خلا رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما**) افليست هذه هى اللحظة الحاسمة التى حذرت منها الدكتورة ماريون ؟

وأذن فان من العقل والحكمة والمنطق الا تعيش المرأة تلك اللحظة الحاسمة الا فى جوها الطاهر المشروع .. والا فكيف نلقى ورقة فى اللهب ثم نرجو الا تحترق ؟ وكيف ندنى عود الكبريت من

البنزين أو الغاز ثم نرجو ان لا يشتعل ؟ وكيف نأتى بالسحر والعطر، ونداء الطبيعة ، واغراء الفطرة الى الرجل .. ثم نقول له كن حجرا من جانب الصخر جلمدا — كما يقول الشاعر القديم ؟!

* * *

والى أولئك الذين يرون فى الاختلاط والسفور علاجا للحرمان الجنسى — نقدم صورة من مظاهر السفور والاختلاط فى بعض البلاد العربية .. كما رسمتها صحفها ومجلاتها الصادرة فى أحد شهور رمضان(١) وكما تحدثت عنها اقلام رجال الدين ، ونقدة الاخلاق ، وأساتذة الجامعات : أنها صورة زبائن المقاهى من شبان وشيوخ الذين يتراصون فى صفوف على قارعة الطريق ، ويتفرسون فى وجوه المارات ، ويغازلونهن بترقيص الحواجب ، ومصمصة الشفاه ، وبعض النداءات الخليعة ، والابتسامات الفاجرة — ومن تقاليد هؤلاء الاشرار أنهم يرشون خدم المقاهى ليحجزوا لهم المقاعد الامامية كما يبذل بعضهم الرشوة لبعض لاخلاء مكان للقادم الجديد .

كما نقدم لهم نكتة .. نكتة قد تضحك ، ولكنها تبكى الاحرار على مصير الحرائر .. نكتة روتها جريدة عربية تحت عنوان (خواطر) وقالت فيها : أممت مصر قناتها ، فمتى يؤمم بعض الرجال زوجاتهم ؟(٢) .

ان ما تدل عليه هذه النكتة هو أن بعض النساء المتزوجات قد أصبحن بحكم السفور والاختلاط شركات لا يختص بكل واحدة منهن زوجها الشرعى بل يشاركه فيها غيره أمثال : (صديق العائلة وزميل الزوج ، ومدرس الولد) وغيرهم ممن تتكشف لهم وتختلط بهم ، وتتحدث اليهم .

---

(١) مجلة آخر ساعة ، وجريدة الأخبار : رمضان ١٣٧٥ هـ .

(٢) جريدة اخبار اليوم : ٢٥ أغسطس ١٩٥٦ م .

ومعنى ذلك كله أن الاختلاط هو السبب الوحيد فى أقامة هذه الشركات الزوجية التى لا يقرها شرع ، ولا يقبلها طبع ، ولا يرضاها زوج غيور .

وأخيرا نقدم لهؤلاء (الاختلاطيين) أحصاء نشرته مجلة عربية أخرى .. عن جرائم الحب فى مدينة واحدة .. حيث بلغت ٢٥٩٩٩ جريمة بعضها سرقات من أجل الحب ، وبعضها خيانات زوجية وحوادث أنتحار ، وتغرير واعتداء وخطف وقتل .. كلها حدثت فى عام واحد ، من أجل ابتسامة أو ضحكة أو أشارة . ينطلق معها الوحش الكامن فى الاعماق ــ ثم قالت المجلة : أن رجال المباحث يقولون : مع ذلك فهناك آلاف الجرائم التى لا يبلغ عنها ! (١) .

● **أولا نذكر ــ هنا ــ قول السيدة فاطمة الزهراء لأبيها الجليل اجابة عن سؤاله أياها : (أى شىء خير للمرأة) ــ قالت : ألا ترى الرجل .. وألا يراها الرجل !** أى فى غير نطاق الزوجية المشروع ، وعلاقات القرابة المعروفة .

● **بل أليس فى هذه الوقائع الجنسية المؤكدة مقنع للدكتور عبد الحليم محمود والاستاذ محمد الغزالى ..** فيما حاورناهما حوله عن وجوب الحجاب وعدم الاختلاط ــ فى فقرتين سابقتين من هذا الفصل ؟

✶ ★ ✶

لو عاد قاسم أمين ؟

ردا وتعقيبا .. وتصحيحا لما نشرته تلك المجلة العربية عن المرأة السعودية ــ وقد كان تعقيبنا الأول على الاختلاط بين الجنسين وتعقيبنا هنا على توظيف المرأة .. وهما كما زعمت المجلة من الحقوق التى حرمت منها النساء السعوديات .

(١) مجلة آخر ساعة : ١٥ ـ يو ١٩٥٧ م .

ان كثيرا من الشبان اليوم — فى بعض البلاد العربية يشكون من مزاحمة الفتيات لهم على الأعمال والوظائف ، فهم بعد الكد والسهر . وبعد نيلهم الشهادات المؤهلة .. لا يزالون متعطلين . ولا يزال بعضهم يبحث عن عمل يتكسب منه ويتعيش ، فلا يجد ، وان وجد فبعد المساعى المضنية والوساطات المخجلة .

● **كتب أحدهم لأحدى صحف بلاده يقول :** أننى أرى على جانبى من كل صوب بنات يشتغلن فى كل مكان رسمى وغير رسمى ، فهل تنقلب الآية ويصبح الرجل ملازما بيته ، والمرأة هائمة على وجهها فى الدواوين والوزارات والشركات ؟ وقد عقب أحد محررى الصحيفة عليه فذكر أن رجال الاقتصاد فى بريطانيا قد أحسوا بهذا القلق الذى يمتلك الشباب فى العالم ازاء هجوم المرأة على الأعمال والوظائف وتفضيل أصحاب الاعمال لها لما تتصف به من صبر وطاعة وأجر قليل .

ثم تساءل المحرر .. أن الرجل هو الذى يدعو المرأة الى الزواج ثم ينفق عليها ويعولها ، فهل تنقلب الحال وترى المرأة قريبا هى التى تدعو الرجل الى الزواج ثم تنفق عليه وتعوله ؟!(١)

والغريب أن أشتغال المرأة بأعمال الرجال قد تطور من الانواع التى قد تكون مناسبة شيئا ما الى أنواع لا يمكن أن تتناسب مع طبيعة المرأة الرقيقة وما يجب لعرضها وكرامتها من رعاية وصون .

وفى هذا كتب الاستاذ صالح جودت رئيس تحرير بمجلة المصور مرتين — فى الأولى عاب فكرة تشغيل الفتيات كمساريات فى الترامات والاتوبيسات وقال أن (الخضخضة) التى يحدثها الوقوف المفاجىء سيلقى بهن فى أحضان الركاب ، فضلا عن أزدحام هذه الوسائط

---

(١) جريدة (الأخبار) المصرية فى ١٠/٢/١٩٥٧ م — وهذا ما حدث فعلا فى أوروبا كما أشرنا اليه فى فقرة سابقة (١٩٧٦ م) .

بركابها ، وأحتكاك الاجساد فيها بعضها ببعض . ومع ذلك نجد بعض الكتاب يحبذون هذه البدعة كما يحبذون اشتغال المرأة جرسونة فى المطاعم والمقاهى والحانات أسوة بما هو موجود فى أوروبا وقد نسى هؤلاء أنه حتى فى أوروبا لا يخلو أشتغال المرأة كجرسونة من المتاعب والمضايقات ، وقد شهدت فى مقهى بأنكلترا كيف تعانى الجرسونات الجميلات من معاكسات الزبائن وأسئلتهن السخيفة !



وفى المرة الثانية أنتقد الاستاذ جودت أشتغال الفتيات كمرشدات للسياح ، وذكر قصة أحداهن التى أحبت سائحا دانمركيا وهربت معه الى بلاده متخلية عن قوميتها ووظيفتها وجنسيتها ثم تساءل : لماذا نعرض بناتنا لهذه الأعمال ؟ أو ليس من الخير أن نقصرها على الشبان المثقفين ؟

ويقول الاستاذ منصور فهمى فى مجلة آخر ساعة (أنه يلعن كل امرأة لا تتفرغ لبيت الزوجية ، ولتربية أطفالها) ثم أستطرد : (أنى وأن كنت من الذين عملوا على تحرير المرأة ، وناديت بذلك مع قاسم أمين ، ولكن هذه أمانة جيل ، وتجارب العمر تؤكد أنه لا يجوز أن نقلد الغربيين فى كل شىء فى حين أن أوروبا لم تكسب شيئا من أطلاق قيود المرأة وكان علينا أن نستفيد من أخطائهم . ولو عاد قاسم أمين ورأى هذا التطرف الذى لا مبرر له لنادى بالحجاب . اننا اذا أشركنا المرأة فى أعمال الرجل بلا حدود فقد أضعفنا نعمة التخصص بين الجنسين فلكل جنس أختصاصه . والرجال قوامون على النساء !)(١)

---

(١) مجلة آخر ساعة ـ العدد ١١٧١ .

وينعى الاستاذ فكرى أباظة فى مجلة المصور عهود أجــداده وآبائه الذين كانوا يحكمون بيوتهم ونساءهم بالشدة مع الحكمة . وبالسيطرة مع المروءة . وبالحزم مع الحنان . ثم يقول : لقد ولى ذلك العهد وراح ، واختلت الزعامة فى البيوت والاسر واعتلت .وحلت محلها فوضى النساء والاطفال ! (١)

ثم ماذا كانت النتيجة لاستجمال الناقة واستئســـــاد اللبؤة ؟ أما هنالك .. فى دنيا الحضارة الغربية التى قلدناها بغــير تبصر .. فهذا ما يذكره معهد العلاقات الانسانية القومية فى أمريكا وقدنشرته مجلة (ذى نيويورك تايمز مجازين) عام ١٩٥٦ .

قالت المجلة : لقد ثبت أن النساء بصفة عامة أصبحن أقل قدرة على أداء واجبهن كأمهات نحو تربية أطفالهن .. وذلك لأنهن ـــ منذ بداية هذا القرن ـــ أخذن يتحللن من مسؤولياتهن تجـــاه أولادهن بايداعهم المدارس الداخليـــة ودور الحضـــانة ، وبذلك أصــبح أطفال هذه الأيام أكثر توترا ومن ثم أقل قدرة على التكيف السليم!) .

وهنا أذكر القراء بما تقوم له أمريكا ولم تقعد .. من ازدياد انحراف الاحداث ، وانفلات زمام التربية والتوجيه من أيدى آبائهم وأمهاتهم بل حتى انفلاته من يد الحكومة ممثلة فى بوليسها ومعاهدها، وما تنشره صحفها ومجلاتها من تقريرات وتحذيرات !! وهذا أيضا ما تقوله (مجلة فورشن) بقلم دانيل بل : فى الواقع أن كثيرا من الامراض النفسية .. كازدياد التشرد والجموح وارتفاع نسبة الطلاق مرجعها الى عمل المرأة خارج المنزل .

وفى كتاب نشره المؤلفان الامريكيان (جاك ـــ ولى مورتيمر) جاء فيه أن نسبة الاقبال على الزواج فى أمريكا انخفضت بشكـــل مخيف . وسبب ذلك أن الرجل الامريكى أصبح غير مرتاح الى هذه الحرية المطلقة التى تمارسها المرأة الامريكية .. مما جعلها غيـــر صالحة لتكوين أسرة وتربية أطفال .

---

(١) مجلة المصور ـ العدد ١٧٠٧ .

وهذا الذى حدث هناك نتيجة لقيام الدجاجة بعمل الديك فى مجتمعاتهم : يحدث مثله فى مجتمعاتنا العربية والاسلامية التى تمشى على سنن الغرب حذوك النعل بالنعل .. حيرة وقلق وأضطراب فى البيوت وفى نفوس الرجال والنساء على السواء ، **فقد نشرت مجلة (الأحد) اللبنانية رسالة من أنثى أفتتحتها وأختتمتها بهذه العبارة : (ليتنى لم أكن أنثى) وقالت خلال سطورها : أن حياتى كلها عبارة عن أكاذيب والاعيب وزيف وخداع .. أننى مضطرة لمسايرة بنات جنسى ، ولأكسب اعجاب الرجال** : أن أطلى وجهى بالأحمر والأبيض والاسود .. واذا ما كنت فى مجتمع رجالى حاولت أن أتقمص الشخصية التى تروقهم فأنا حينا رصينة هادئة ، وطورا لعوب مفناج ، وآونة أخرى ساذجة غريرة . وفى أحيان كثيرة أتصنع (الهبل) كل ذلك فى سبيل أن أحوز أعجاب كل طائفة من الرجال .. ولذا أعجز عن تخطيط شخصيتى أو فهم نفسيتى — ليتنى لم أكن أنثى .. أذن لانطلقت فى هذا العالم الواسع أمشى على هواى والبس على هواى واتحدث على هواى(١) .

أفليس هذا الذى تعترف به هذه الفتاة العصرية من حيرة فى تخطيط شخصيتها وفهم نفسيتها : هو نتيجة طبيعية لخروج المرأة عن فطرتها وانصرافها عن وظيفتها ، واهتمامها بغشيان مجتمعات الرجال ، وأنشاء صداقات معهم للظفر بأعجاب كل واحد منهم ، على اختلاف الاهواء والامزجة فى نفوس الرجال ؟

لو عرفت المرأة طبيعة تكوينها النفسى والجنسى ، وحقيقة وظيفتها فى البيت والمجتمع ، وفهمت نوع رسالتها التى خلقت لادائها نحو الزوج والولد — لما تمنت أنثى الا أن تكون أنثى ! بل العكس لازدادت فخرا وزهوا بالدور الخطير الذى تلعبه ، وبالمجد الرفيع

---

(١) العدد ٣٢٤ مجلة مجلة « الأحد » اللبنانية التى يملكها ويرأس تحريرها رياض طه نقيب الصحفيين .

الذى تكسبه فى تقديمها لوطنها وأمتها أجل الخدمات بأنجاب الصالحين من بنين وبنات .

وحسبنا أخيرا أن تقول السيدة فيجايا لاكشمى ـ شقيقة الزعيم نهرو الهندوكى الراحل ـ ومندوبة الهند لدى بريطانيا ، ورئيسة أحدى دورات الأمم المتحدة السابقة : (أنا لا أرى خيرا فى النساء اللاتى يطالبن بأن تدير المرأة شؤون الرجل فأنى لا أتصور شيئا أنظع من هذا) .

كلام قالته امرأة غير عربية ولا مسلمة .. ولكنه ـ بصحته وحكمته ـ كلام العروبة والاسلام ، وهى امرأة خبيرة عملت بأعمال الرجل ، ومثلت بلادها تمثيلا دوليا عالميا فى هيئة الأمم المتحدة ، وأنتدبتها حكومتها لتكون سفيرة لها لدى دولة كبرى .

فأيهما نصدق امرأة تتحدث بالواقع والتجربة والخبرة ، أم الخارجون من الرجال الذين يتحدثون بالاوهام والاحلام ؟

● والقول الفصل هو لنبى الاسلام عليه الصلاة والسلام : (لا يفلح قوم ولوا عليهم امرأة)(١) .



وراء كل رجل ناجح امرأة ؟

هناك فكرة أو مثل أو شعار يتناقله بعض الكتاب العرب الهتافون فى مواكب تحرير المرأة ، والمتاجرون بغرائز المراهقين والمراهقات ..

أنهم يرددون عبر زعمهم ودعواتهم الباطلة (وراء كل رجل ناجح امرأة) . وربما كانت هذه القولة أو المثل الذى استرقوه من

---

(١) أخرجه الامام البخارى فى صحيحه .

ثقافة الغرب وحضارته المادية النسائية . وربما كان كلمة حق أحيانا أريد به باطل دائما ٠٠ وهذا **(الباطل)** الدائم هو أن المرأة وراء كل نجاح أو فلاح أو صلاح للرجل فى كل الاحوال والظروف ، وربما كان هؤلاء النسائيون العرب معذورين فى تأثرهم بهذه الأفكار والأمثال الخواطىء عن المرأة من قراءاتهم لأدب الغرب ، فأدب الغرب نفسه كما يقول أندريه موروا الكاتب الفرنسى ـــ وجه خلال الثلاثين السنة الماضية الى النساء أكثر مما وجه الى الرجال ٠٠ حتى بدا الرجل فى هذا الأدب ، فى صورة الناسى لدوره الحقيقى وهو الكفاح مع رجال آخرين ، وتظاهرت السينما مع الأدب فى هذا المضمـــار ، فأعطت الحب أكثر مما يستحق وأعطت العقل دون ما هو أهل له .

ومن هنا كانت ردة الفعل التى يمثلها (أندريه مورو) حيث يقول : ان الرجل الذى يستحق أن يسمى رجلا يقدم عمله على كل شىء آخر فى العالم ٠٠ حتى المرأة التى يحبها ـ ويقول أيضا : ان الرجل يفقد رجولته اذا طفت العاطفة على أهدافه ومثله ..

ويمثل ردة الفعل أيضا الكاتب الانجليزى (د٠ هـ٠ لورانس) حيث يقول بأن المرأة ليست هى التى تحدو الرجل الى قمم غاياته ومثله بل هو أيمانه الذى يدفعه الى وراء حدود المرأة ، حيث أقصى غايات مواهبه الكامنة . **ويضيف لورانس : منذ قال السيد المسيح أيتها المرأة : (ماذا ينبغى أن أفعل بك ؟) أصبح على كل رجل أن يعيد نفس العبارة لزوجته أو أمه .. كلما كان لديه عمل من الاعمال أو القى على ضميره رسالة من الرسالات ..**

ونعود الى أندريه مورو لنستمع الى شىء من قصصه وتجاربه الحقيقية التى يرويها فى كتابه (فن الحياة) أنه يقول :

من نذر الشر ألا يجد رجل الجد والنشاط سعادته أبدا الابصحبة امرأة ، فذلك يدل فى أحيان كثيرة على أنه يخشى الصراع العقلى .. فالرجال الذين يتمتعون بالرجولة الحقة يحبون تصادم الأذهان كما كان ابطال التاريخ يحبون تقارع السيوف .

وهنا يسرد لنا مورو أمثلة من أبطال السياسة والحرب وشباب الجامعة الذين استعبدهم حب المرأة فتحولوا الى رجال تافهين او عشاق مجرمين . وكان آخرهم ذلك الزعيم الذى وصل الى كرسى الرئاسة على عدة قبائل بفضل قوته الشخصية ، ولكنه ما لبث ان فقد هيبته وتاجه عندما ضعف لدرجة الوقوع فى حب امرأة من رعاياه سمح لها بأن تعرف انه ليس أكثر من رجل !

وصدق نابليون وهو صاحب التجارب الحربية والنسوية حين **قال : «لكم يتعرض الرجال للشدائد لمجرد ضعفهم أمام النساء!»** .

ثم هل نسينا فن الجاسوسية الذى يقوم على النساء ؟ سواء فى الصراع السياسى أو الصراع الحربى بين القادة والزعماء ؟ ومثله (فن العرض التجارى) كلاهما يستغل تاثير المرأة العاطفى على الرجل فتنطلق الاسرار من القلوب والاموال من الجيوب .. بلا حساب .

★ ★ ★

ونحن فى ضوء ثقافتنا الاسلامية لا نذهب الى اقصى اليمين ولا الى اقصى الشمال فى تعامل الرجل مع المرأة فهما فى نظرنا رفيقان وشريكان متكاملان . فقد يكون وراء الرجل الناجح امرأة ، وقد يكون وراء المرأة الناجحة رجل . نقول ذلك بعيدا عن الالحاح فى الادعاء ، وبعيدا عن الاسراف فى التمييز .

● **فهناك عدد من الامهات الصالحات اللاتى فقهن رسالة الامومة وعرفن حق البنوة عليهن** .. فصبرن بعد فراق أزواجهن لهن . بطلاق أو وفاة ـ على تربية أبنائهن وتعليمهم حتى المراحل العليا من الدراسة ، وحتى أصبحوا بعد ذلك رجالا صالحين ناجحين فى أسرتهم الخاصة ومجتمعهم العام .

● **وهناك عدد من الزوجات الصالحات اللاتى ادركن أن (الزوجية) ليست شهوة تقضى** ، ولا متعة تنال ، ولا هى ثيابا وزينة وتبرجا فى الاسواق والطرقات ، وانما هى رفقة وصحبة وأمانة ووفاء ومسؤولية عن رعاية الزوج والولد وبذل النصح والعون لهما .. حتى تقوم الاسرة مجتمعا صالحا ناجحا . ويفضل هؤلاء الزوجات

الصالحات الأمينات الوفيات كان هناك رجـال **ناجحون من أزواج** وبنين .. وبنات أيضا أصبحن فيما بعد بتربية أمهاتهن سببا فى نجاح أزواجهن وأولادهن ..

● **والعكس صحيح** ــ وهو الأكثر ــ حيث يزداد اهتمام الأباء والازواج بحكم رجولتهم ومسؤوليتهم الكبرى عن البيت والزوجـة والولد باخراج الابناء الناجحين وانتاج البنات الناجحات ، وتحويل الزوجات الطالحات الى نساء صالحات .

ولذلك نجد الثقافة الاسلامية فى قرآنها وسنة نبيها عليه الصلاة والسلام قد نوهت ونبهت الى مقام المرأة كزوجة وكأم تنويها لم يظفر بهما الرجال .

ــ **فالقرآن الكريم حين يوصى ببر الوالدين** يخص الأم بذكـر حملها ووضعها وما تحملت فى ذلك من متاعب ومصاعب .

والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يوصى الامهات ويكرر الوصاية بهن ثلاثا ، ويأتى الآباء فى الدرجة الرابعة **(أمك ثم أمك ثم أمك .. ثم أبوك)** ويقول **(الجنة تحت أقدام الامهات)** ولم يقل تحت أقدام الآباء **وقال للابن الذى جاءه يستأذنه فى الجهاد : أحية أمك ؟** قال : نعم . قال فالزم رجلها فثم الجنة) .

وحين يتحدث القرآن عن الزوجات يقول : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) (١) يجعل التوجيه النبوى للامهات على الآباء ثلاث درجات . **ويوصى القرآن الأزواج بالنساء خيرا فيقول : (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف . ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ..) (٢) ، وقال : (فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ..) (٣) ، وقال : (وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) (٤) .**

ويقول أيضا : (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن)(٥) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٨ .
(٢) سورة البقرة : ٢٣١ .
(٣) سورة الطلاق : ٢ .
(٤) سورة النساء : ١٩ .
(٥) سورة الطلاق : ٦ .

أما التوجيه النبوى بالنسبة للزوجة فحسبها فخرا واعتزازا قوله عليه الصلاة والسلام : (**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة) وقوله (خير ما أوتى الرجل فى دنياه امرأة صالحة اذا نظر اليها سرته ، واذا أمرها أطاعته ، واذا غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه) .**

* * *

أذن فنحن فى ثقافتنا الاسلامية لا نذهب الى أقصى اليمين فنعطى المرأة ما ليس لها فنخرجها عن طبيعتها ووظيفتها . ولا نذهب الى أقصى اليسار فنسلبها حقوقها الاجتماعية وكرامتها الانسانية ، ونجردها من أمكانياتها ونشاطاتها الصالحة الناجحة فى اسعاد الزوج ، وترشيد الولد وأصلاح المجتمع كله بما تهديه اليه من زوج سعيد وولد رشيد .

ونختم حوارنا بتقديم نموذج اسلامى من العهد النبوى لزوجة صالحة كان لها فضل تحويل زوجها من الكفر الى الايمان أنها أم حكيم بنت الحارث التى أسلمت وحسن أسلامها ، ورجت الرسول صلى الله عليه وسلم ان يعطيها الامان لزوجها عكرمة بن ابى جهل حتى تذهب الى اليمن وتحضره ليعلن اسلامه .

وأستجاب الرسول الرؤوف الرحيم ــ كما وصفه القرآن الكريم ــ لرجاء أم حكيم فسارعت الى زوجها عكرمة ثم عادت به ليعلن اسلامه فى يقين وايمان ، وحينما رآه الرسول مقبلا قامفعانقه، وقال له مرحبا بالراكب المهاجر .

ولقد كان أبوه أبو جهل أشد الناس عداوة للاسلام ، وكان عكرمة يخشى الا يغفر له الرسول . ولكن زوجته أم حكيم استطاعت أن تستأمنه له فأمنه وعاد ليسلم وليصبح بعد ذلك من كبار القادة الفاتحين ، وقاتل فى عدة غزوات ومعارك حتى قتل شهيدا رضى الله عنه وارضاه .

وهنا يرد على الخاطر قول الشاعر :

ولو كان النساء كمن ذكرنا　　　لفضلت النساء على الرجال؟

* * *

مسؤولية الجنسين واحدة :

فى رسالة للاخت (ن. أ. ج) تسأل لماذا المرأة مظلومة ؟ ولماذا المجتمع العربى والاسلامى متحيز دائما الى الرجل دون المرأة ؟ ولماذا أكثر التشريع الاسلامى يتحدث عن الرجل ، وأغفل المرأة الا قليلا ؟ ولماذا وعد القرآن الكريم رجال المؤمنين بجنات وعيون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ؟ ولم يعد النساء بمثل ذلك ؟

هذه هى المسائل التى حيرت الأخت الفاضلة .. وسأجيب عليها باختصار فيما يأتى : أن المرأة ــ فى التشريع الاسلامى أفضل بنات جنسها على وجه الأرض ، منذ جاء الاسلام نورا وهدى للناس .. الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ..

وواقع المسلمين اليوم وقبل اليوم لا يجعل الاسلام مسؤولا عن اخطائهم .. لا بالنسبة للمرأة وحدها ، ولكن بالنسبة للرجل أيضا ، وبالنسبة لشؤون الحياة المختلفة جميعا ..

وهذا موضوع يطول الكلام فيه ، فلنعد الى حديث المرأة وحدها .. فالمرأة المسلمة . منحت حقوقا وحملت مسؤوليات .. جعلتها صاحبة شأن ، وذات سلطان فى بيتها وأسرتها ومجتمعها ، كما جعلتها فى حمى منيع وعرش رفيع .. من المحبة والبر والاحترام والتقديس .

لقد اعطى الاسلام المرأة حق الاستئذان والاستئمار فى الزواج .. ومنع وليها من عضلها ، واعترف لها بشخصيتها فى البيع والشراء والهبة والوصية كما أعترف بشخصية الرجل فى هذه الشؤون ..

وامثالها تماما .. واذن لها بأن تختلع من زوجها اذا رغبت عن العيش معه لأسباب وجيهة مشروعة .

والاختصاصات المحدودة التى أختصت التشريعة الاسلامية بها الرجل اختصاصات طبيعية تتعلق بقدرة الرجل التكوينية .. ومثلها الاستثناءات المحدودة التى استثنت الشريعة الاسلامية بها المراة .. فهى استثناءات طبيعية بتكوين المراة العاطفى الرقيق .. الذى لا يتحمل هزات الاحداث الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع الانسانى الصاخب .

ولا أدل على صحة نظرة الاسلام فى تحميل الرجل المسؤولية بمقدار أوسع واثقل من المراة : من أن المراة نفسها .. بطبيعتها التكوينية مهما نالت من علم وثقافة وحملت من شهادات جامعية — تركن وتسكن الى الزوج القوى الذى يشعر بمسؤوليته نحو زوجته وبيته وأطفاله .. اكثر من ركونها وسكونها الى الزوج الضعيف اللطيف الذى يرمى حبلها على غاربها ، ولا يشعرها بأنه رفيقها ورائدها وساندها فى طريق الحياة .. هذه الطريق التى ليست كما تتصور المراهقات خيالات سينما ولا ضلالات رقص وغناء ..

ولتسأل الأخت (ن. أ. ج) نفسها وأمها وخالاتها وعماتها .. وقريباتها ، فستجد مصداق ما قلناه ..

✶ ★ ✶

أما أن التشريع الاسلامى قرآنا وسنة أكثر من ذكر الرجل دون المراة فهذا وهم وسوء ظن .. فالمراة والرجل مكلفان معا بما وجه فى القرآن والحديث النبوى تحت اسم **(يا أيها الذين آمنوا ، يا أيها الناس ..)** وورد فى القرآن الكريم **(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ..)** (١) . وكما قال القرآن : **(قل للمؤمنين ..)** قال : **(قل للمؤمنات)** وجاء فى القرآن أيضا: **(ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات**

---

(١) سورة النحل : ٩٧ .

والصادقين والصادقـــات والصابـــرين والصابـــرات والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثـيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)(١) وجاء فيه (أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) (٢) الخ .

حتى فى مجتمعات الشرك والنفاق آخذ القرآن الجنسين بسيئات أعمالهم فقال : **(ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيما) (٣) .**

وجاءت الاحاديث النبوية بمثل ذلك أو أكثر منه .. وقد أشرنا الى بعضها فى الفصول السابقة ، ونضيف الآن حديثا نبويا يقول فيه عليه الصلاة والسلام : **(من ابتلى من هذه البنات بشىء فأحســن اليهن كن له سترا من النار)** وهكذا نجد الرسول يجعل الجنة تحت أقدام الامهات فى حديث ، ويجعل الاحسان الى البنات تربية وتعليما سترا من النار ــ فى حديث آخر .

أما ما جاء فى القرآن من ذكر الحور العين .. اللاتى هن كأمثال اللؤلؤ المكنون أو البيض المكنون .. فأوصاف تحسد عليها النساء ، وهى من المزايا (لهن) وليست للرجل ، وقد جاء فى مقابلها ذكـــر الغلمان و لوالدان المخلدين والذين هم أيضا ــ كأنهم لؤلؤ مكنون !!

فلهن نصيب ، وللرجل نصيب .. من متاع الجنة ونعيمهـــا بلا تمييز !!

وصدق الله العظيم الحكيم اذ يقول : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا . وللنســـاء نصيب مما اكتسبن ، واســـألوا الله من فضله . ان الله كان بكل شىء عليما »(٤) .

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٥ .

(٢) سورة آل عمران : ١٩٥ .

(٣) سورة الأحزاب : ٧٣ .

هذه .. فلسطينكن !

فى هذا الحديث ننقل خلاصات لحوار وجدال جريا حول حقوق المرأة ووظائفها .. ومن عجيب المفارقات أن اقرأ فى وقت واحد لسيدتين ، مصرية وسورية كلامين متضادين عن مقام المرأة الشرقية فى بلادها ، وما لها من حق وما عليها من واجب ..

● **تقول أولاهما فى مجلة (المصور) (ع ١١٣٨) : لا سلام الا** اذا نالت المرأة حقوقها) ثم زفت الى أخواتها بشرى أجازة مجلس النواب الفرنسى لمشروع قانـــون يبيح للمرأة أن تشتغــل بمنصب القضاء . ثم وعدت بوصفها رئيسة الوفد النسائى المصرى المنتدب الى مؤتمر أنترلاكن بسويسرا بأثارة مشكلة فلسطين فى المؤتمر باسم الدعوة الى السلام !

● **وتقول الثانية فى مجلة (الجامعة الاسلامية)**[1] لماذا تريد المرأة أن تكون نائبة ؟ اليكون لها نصيب فى الجهاد الوطنى والجهاد الاجتماعى ؟

ان كان هذا هدفها فقد كفاها أن الطبيعة جعلتها الاساس الأول فى هذا الجهاد ، فان ميدانها التربية والتخريج وهى التى ستغذى مجلس البرلمان وغيره بالرجال . وأن الاديان ولا سيما الاسلام وجميع الناس فى هذا العصر لا ينكرون فضلها فى ميدان التربية ، وهناك من فضلها على الجندى المحارب فى الميدان ، ولست أرى رأى سيداتى المتعصبات اللاتى يطلبن مساواة المرأة بالرجل فى كل شىء فذلـــك ضرب من المغالاة وتحد للطبيعة . وانى أشفق عليها أن تشغلهـــا المعارك الانتخابية عن واجبها المنزلى وتربية أبنائها .



ان كلام السيدة المصرية كلام حلو ، وحميتها لقضية فلسطين

---

(١) العدد ٢٢٤ ـ هذه المجلة تصدر بدمشق ولها نظيرة تصدر بالاسم نفسه فى المدينة المنورة .

هى الغاية فى الحلاوة ولا مزيد . ولكن المقام يتطلب النصيحة الأمينة ويتطلب الجد والكد والحزم ويتطلب (**الواقعية**) وان نعمل بوحيها ونصدر عن تأثيرها لا أن نسرف فى الخيال فنطلب فضلا ونهمل حقا ، ولا أن نفرط فى الخيال فنتزين بالاردية الجميلة الجليلة قبل أن نزيل عن اجسامنا القذر الغبار .

ان فلسطين التى يحدها من الشرق جزيرة العرب ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط ومن الشمال سورية ومن الجنـــوب خليج العقبة ــ هى فلسطيننا ــ نحن الرجال الذين كتب علينا القتـــل والقتال ..

وطالما استصرخنا بالجامعة العربية لانقاذها من اليهود آلوالفين! فعقدت الجامعة المؤتمرات سراعا وتباعا . وكانت الخاتمة ــ لكل منها ــ كلاما يرسل للاحتجاج لا للعلاج .. وأن الجامعة العربية لذات زعماء وجيوش وأسلحة .. فكيف يكن لهذا الأمر الجلل وأنتن القوارير،**وقد قال رسول الله العظيم الحكيم والرعوف الرحيم : (رفقا بالقوارير)** .

واذا كان رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام قال للشاب الذى جاءه يعرض عليه أستعداده للجهاد فى سبيل الله : ألك أبوان ؟ قال : نعم قال له : ففيهما فجاهد ــ اى أن بره ورعايته لأبويه أفضل وأجمل من الجهاد فى سبيل الله ــ ففى المقابل يلزم المرأة ــ فى الدرجة الأولى : أن تهتم بشؤون بيتها وبزوجها ورعاية أولادها .. قبـــل الجهاد فى سبيل الله ، فضلا عن الاشتغال بالمظاهرات والمؤتمرات الكلامية ، والمجادلات السياسية ، والمحاورات الصحفية !

فان أبين الا الجهاد ، ففى (فلسطين) أخرى (فلســـطين) التى تحتلها النساء الجاهلات بأخلاقهن وعاداتهن وتقاليدهن أحتلالا أسوأ من احتلال اليهود لفلسطين ، واشد خطرا فى الحال والمآل .

● **أجل هذه فلسطين** .. فجاهدن فيها (الأم الجاهلة الغافلة التى لا احسان لديها لتربية أولادها . تربية قوامها الخوف عليهم من الفساد .

● **وجاهدن (الزوجة المائنة الخائنة)** التى لا أحصان لديهـا لفرج ، ولا ايمان لها بحق زوج ..

● **وجاهدن (الفتاة العارية البادية)** التى تتبرج فى الأسواق، لتكون دولة بين العشاق .

● **وجاهدن الأولياء المتغافلين من أب وأخ أو عـــم** — حتى يشعروا بالخوف والغيرة على الأعراض والاخلاق !

● **وجاهدن الباذلات منكن لأجسامهن فى عرض الشـــواطىء** وطولها ، ولصورهن على صفحات المجلات .. ايقاظـــا للغرائز ، واثارة للشهوات !

● **وجاهدن الاصبـــاغ والدهون والملابس الضيقة والشفافة** التى فشت بينكن حتى اللاتى يزعمن لأنفسهن طلب العلم والثقافة فى الجامعات .

● **وجاهدن هذا (التقليد) الذى اقتبسه المجتمع الاسلامى من الغرب** ، أقصد مسابقات الجمال التى تقام بزعم انتخاب ملكات منكن فى جمال الصدر أو جمال القوام ، أو جمال الساق .. ويشهد الله انها لم تكن الا لاذلال كرامة المراة ، وارخاص عرضها بعرض مفاتنها على الانظار الآثمة والقلوب النجسة .

● **وجاهدن هـــذه الصحافة الوضيعة التى تتاجر باجساد بعضكن** .. تعرضها عرضا ملونا على اغلفتها ، وفى صفحاتها الأولى لتشترى بها ثمنـــا بخسا ، وتجتذب لمطالعتها أنظار الفجرة من الرجـــال ..

● **ثم جاهدن هؤلاء الصحافيين المتناسين لواجبهم فى هدايـــة**

القلوب والأبصار ، العاملين على هدم الأسر وهتك الأعراض ..

هذه هي فلسطين يا نساء الشرق ، فأوسعن (يهودنا) حربا وضربا . أما فلسطيننا تلك فخلين سبيلها لنـــا نحن الرجـــال فان استمررنا نقول وأبينا أن نفعل .. فلن تكون (القوارير) سلاحا أمضى وأقتل ، ولن يكو نمن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين أعرف بسبيل الجدال المقنع ، وأقوى على استرداد الحق المغصوب . ولعل من المناسب أن نروى هنا خلاصة ما دار من حوار بين الأستاذ على الطنطاوى ــ فى مجلة (الرسالة) المصرية .. وبين بعض السيدات المتحررات فقد ردت عليه احداهنمؤاخذة اياه فيما نعت به المتعلمات منهن من جهل باختصاصهن يضر ، وعلم باختصاص غيرهن لا ينفـــــع .

وجاءه الثانية ترى رأيه وتشكو شكواه وتقول : (لا سبيـــل فى اصلاحنا معشر النساء الا صرخات مدوية وغارات متوالية تهيب بنا أن نوثق عرى اسلامنا قبل أن تنفصم ، وأن نجدد شباب عروبتنا قبل أن يهرم ، وأن نبث روح الفضيلة فى جيلنا قبل أن يموت ، وأن نحمى (قواريرنا) الرهيفة الشريفة أن تتداولها الاقدام المتعفنة الدنسة بالدوس والهوان .. وحقا ما أقسى أن تبتذل الرياحينلكل شام ! وأن تهمل القوارير لكل عابر ! وما أعجل مصيرها الى النبذ على الأرض فالوطء بالنعال (١) .

ونضيف الى ذلك الحديث الذى أدلت بـــه (مسز كوربى) مندوبة الهيئة الدولية للطفولة بعد طوافها بالشرق الأوسط قالت : (ان الأطفال هنا يولدون ليموتوا فما يكادون يرون النور فى الصباح حتى يتسلمهم اللحد فى الغروب) ورأت أن أطفال الشرق فى حاجة

---

(١) الرسالة سنة ١٩٤١ .

شديدة للعنايـــة والاهتمام ، وعقبت المجلة المصريـــة راوية الحديث عليه بقولها : (أن كل هيئاتنا النسائية التى تعمل سافرة للاصلاح تهمل الالاف من أطفال هذا الجيل تربيهم الشـــوارع ، ويصوغهم التشرد ، وتعتصرهم الفاقة فتراهم مشردين تائهين بل هالكين رغم وجود الأب والأم والبيت .. لهذا فاننا نطالب الأمهات أن يبذلن كل جهودهن للطفولة ، فتلك هى مهمتهن الطبيعية أما غيرها من نشاط ساسى واجتماعى فليدعنه لنا نحن الرجال (١) .

وصدق الله العظيم :

- **« وما خلق الذكر والأنثى ، أن سعيكم لشتى» (٢) .**
- **« وليس الذكر كالأنثى »(٣) .**

---

(١) المصور سنة ١٩٣٩ .
(٢) سورة الليل : ٣ ، ٤ .
(٣) سورة آل عمران : ٣٦ .

الفصل الرابع

المرأة : نماذج اسلامية

- أم أيمن الحبشية .
- صفية بنت عبد المطلب .
- مارية .. القبطية .
- صفية بنت حيى ...
- الشفاء بنت عبد الله ..
- أسماء بنت يزيد ..
- سودة بنت عمارة ..
- حمنة بنت جحش ..
- فاطمة بنت الخطاب ..
- أم سليم ..
- أم شريك ..
- أم معبد ..
- أم كلثوم ..
- أم هانىء ..
- مبادىء ونماذج ..

فى شهر المحرم الحرام عام ١٣٩٤ هـ (يناير ١٩٧٤) أصدرت « المكتبة الصغيرة » التى يشرف عليها رفيق الصبا وزميل الدراسة وصديق العمر الأستاذ عبد العزيز الرفاعى — كتيبا لى تحت عنوان **(كرائم النساء) قدمت فيه صورا ونماذج لأمهات المؤمنين زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبناته الفاضلات ، وأمه الجليلة ..** وبعض النساء الصالحات القانتات اللاتىهن أمثلة روائع للأمومة البرة ، والزوجية الحقة ، والأنوثة المعطاء .

وأعيد طبع هذا الكتيب عام ١٣٩٦ ، لنفاد الطبعة الأولى واقبال القراء والقارئات على طلبه والتماسه ..

وقد أحببت اضافة صور ونماذج أخرى لسيدات أخريات كان لهن فى تاريخ العروبة والاسلام ذكر مجيد ، فيتعذر ذلك .. لأن الطبعة الثانية كانت مستعجلة قبل استيفائى لهذه النماذج الجديدة..

لذلك رأيت الحاقها فى فصل مستقل من هذا الكتاب ، وتقديمها بين يدى المراة العربية المسلمة ، والسعودية بصفة خاصة — **كقدوة حسنة ، وأسوة فاضلة** ، فيما ينبغى أن تكون عليه (الأنثى) السوية التى لا تشذ عن طبعها ، ولا تخالف عن شرعها ..

وبهذا ننتقل نقلة ممتعة نحو بعض السير الموجزة لنساء مسلمات حفظ التاريخ لهن مقامهن المحمود . وهن بحق وصدق : نماذج وامثلة خيرة نيرة للمراة المسلمة وللمدرسة الاسلامية التى تلقى فيها النساء الصالحات تعليمهن وتربيتهن .. فكن القدوة الصالحة ، والأسوة الحسنة والمثال الرائع .

والأمر أو السر فى سيرة هؤلاء النساء الكرائم هو كما قال عليه الصلاة والسلام : (الناس معادن .. خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا) والنساء من الناس ، فهن أيضامعادن خيارهن فى الجاهلية خيارهن فى الاسلام اذا فقهن .

ومن هنا نجد كتاب التاريخ العربى والتراجم العربية يتحدثون عن الحكيمات العربيات ، كما يتحدثون عن الحكام العرب .

يقول الأستاذ محمود شكرى الالوسى فى كتابه (بلوغ الارب) عن حكيمات العرب الغابرات قبل الاسلام :

● **كان فى نساء العرب أيام الجاهلية ذوات كمال ، ووفور معرفة** ، ومزيد فطانة وذكاء ، وحدة نظر . وقد دونت كتب ودواوين مشهورة فى شعرهن وفصاحة كلامهن ، وكانت منهن جملة اشتهرن باصابة الحكم ، وفصل الخصومات ، وحسن الرأى فى الدكومة اى القضاء كابنة الخس ، وجمعة بنت حابس الأيادى ، وصحر بنت لقمان ، وخصيلة بنت عامر بن الظرب ، وحذام بنت الريان .

أما كرائم النساء فى التاريخ الاسلامى .. فهذه أمثلة مطولة ومختصرة منهن ... نذكرها للعبرة والاسوة لعل القارئات الفاضلات يقتدين بأخلاقهن وسيرهن ، وينصرفن عن تقليد النساء الغربيات فى سلوكهن وازيائهن وطرائق زينتهن ..

ونحن نرجو بالحديث عن النساء المسلمات السابقات الى مكارم الأخلاق، وروائع السلوك الأنثوى : أن نلفت أنظار **(الأمهات)** من نسائنا .. أمهات اليوم وأمهات الغد القريب أو البعيد الى مبلغ تأثير الأم فى تربية أولادها ، والى مقدار سلطانها الكبير على هؤلاء الأولاد توجيها وتوعية وتعويدا لهم على مكارم الأخلاق ومساوئها .. على سواء !!

ذلك أن الأولاد يعيشون منذ الطفولة ، وخلال فترة الصبا والشباب مع أمهاتهم ، ويتأثرون بمعطيات الأمومة الرفيقة الحانية أكثر مما يتأثرون بتوجيهات الآباء الصارمة الحازمة .

ثم أن أصالة الأبناء من أصالة الأمهات ، ومن هنا جاء التنبيه النبوى الحكيم : **(تخيروا لنطفكم فان العرق دساس)** وقالت العرب

فى أمثالها : (**تكاد المرأة تلد أخاها**) وهى كناية عن تأثير الخؤولة فى أخلاق الوليد ، ولذلك قالت الخنساء لاولادها (**ماخنت أباكم .. ولا فضحت خالكم**) .

ومن هنا أيضا نرى الحضارة الغربية الحديثة يعود مفكروها وعلماء النفس والتربية والاجتماع من أبنائها – يعودون الى عقولهم بعد دراسات طويلة وتجارب مريرة فينادون بضرورة رجعة المرأة الغربية الى حمى البيت والأسرة والأولاد والزوج .. من اجل صيانة **(الأولاد)** ذكورا واناثا من التشرد والضياع بسبب خروج الأمهات والزوجات الى العمل مع الآباء والأزواج ، واهمال البنين والبنات تحت اشراف الحاضنات والمربيات .



● **أم أيمن الحبشية :**

نعم .. (الحبشية) التى جعل الاسلام منها امراة مجاهدة.. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديها (يأامة) ويقول لأصحابه : هذه أمى بعد أمى !! وكانت ثانية المسلمات بعد خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، ووصفها الامام ابن القيم فى كتابه (زاد المعاد) بالفاضلة الجليلة ..

● أنها (أم ايمن) شهيد معركة حنين .

● وأم (اسامة بن زيد) حب رسول الله، وقائد الجيش الاسلامى الى غزو الروم .

لقد نشأت (أم أيمن) فى بيت عبد المطلب مع مولاها عبد الله وزوجته **(آمنة بنت وهب)** وعاشت ذكريات هذين الزوجين الأليمة.. رأت عبد المطلب يوم جاء الى آمنة ينقل اليها الخبر الفاجع ، خبر نعى احب ابنائه اليه (عبد الله) وكان قد خرج فى تجارة الى الشام ولم يعد ، فقد مرض وتخلف فى المدينة عند أخواله من بنى النجار .

وهى تذكر يوم رزقت آمنة بابنها محمد ، وكيف عم الفرح منزل عبد المطلب لمولده ، وما اغدق عبد المطلب على أهل منزله وغيرهم من الهبات والعطايا . وتذكر أم أيمن اقامتها القصيرة فى المدينة ومحمد فى السادسة من عمره حين قدمت به أمه الى المدينة لزيارة قبر والده وليقيم بعض الوقت عند أخواله .

وتذكر أيضا أن محمدا كان يلعب مع صبيان اخواله وأن رجالا من اليهود كانوا ينظرون اليه ويقولون . هو نبى هذه الأمة وهذه دار هجرته . وقد علم اخواله بما قاله اليهود .. فاخبروا أمه وطلبوا منها أن تحرص على حمايته من غدر اليهود ، فخافت أمه عليه وقفلت راجعة الى مكة .

* ★ *

وتذكر أم أيمن كيف مرضت آمنة اثناء رجوعهم من المدينة الى مكة بالقرب من قرية (الأبواء) وثقل عليها المرض ثم قضت نحبها . وقد اخذ الصبى محمد يحوم حولها ويسأل أم أيمن عما يرى فلا تجد ما تقوله له : (ألا انه الموت يابنى) ثم أخذت هى تلف الجسد الراقد ، وتعصب الوجه الذابل ، وتغمض العينين المنطفئتين ، حتى اذا أوشك لثرى أن يغيبها اندفع وحيدها اليتيم فتشبث بها يريد أن يستبقيها .. فنحاه القوم فى رفق وأضجعوها لحدها ، وعادت أم ايمن باليتيم الى مكة ، وسلمته الى جده عبد المطلب وعاشت الى جانبه تحضنه فى طفولته ، وترعاه فى شبابه ، وتصاحبه فى جهاده ودعوته .

ولما تزوج الرسول خديجة أعتق أم أيمن وزوجها عبيد بن زيد فرزقت منه ولدها أيمن — وعندما أعلن الرسول دعوته كانت أم أيمن اسرع المسلمين الى الايمان به فكانت المرأة الثانية بعد خديجة تدخل فى دعوة الاسلام . وكيف لا تبادر الى الايمان بمحمد ورسالته ؟ وقد عرفته وليدا وصبيا وعرفت من أخباره فى رحلته الأولى الى المدينة مع أمه آمنة وما قاله اليهود عنه ، وما أخبرت به مرضعته حليمة

السعدية ثم ماقاله الراهب **(بحيرا)** لعمه ابى طالب خلال رحلته الى الشام ..

وعرف الرسول فى أم أيمن صدق ايمانها فقال عنها : (من يرد أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن وكان قد مات زوجها الأول .. فتزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة .. أحد شباب الاسلام الأبطال الأبرار .

ولم تكن لأم أيمن راحلة عندما أرادت الهجرة الى المدينة ، ولم يكن لها أهل وأقرباء يحمونها من أذى المشركين .. فخرجت سائرة على قدميها تقطع الفيافى والقفار بين مكة والمدينة ، وتشوى الشمس المحرقة جلدها ، ويلفح السموم وجهها ، ولم تكن تحمل طعاما ولا ماء .. حتى اذا بلغت **(الأرويحاء)** بين بدر والمدينة خارت قواها وأضناها الجوع والعطش فطرحت جسدها على الأرض تلتمس بعض الراحة ، وتسترد شيئا من القوة والنشاط ، لتواصل مسيرتها الى المدينة وتلحق بالرسول الحبيب .

وتنظر أم أيمن أمامها وهى طريحة الجسد زائغة العينين فاذا رشاء أبيض ناصع البياض .. ينزل عليها من السماء وقد علقت فيه دلو ملئت ماء .. فشربت حتى ارتوت ، ثم تابعت سيرها الى طيبة ، وكانت تحدث الناس بما وقع لها فى الطريق فتقول : ما أصابنى بعد تلك الشربة عطش .. ولقد كنت أصوم بالهواجر فما أعطش .. وأن كنت لأصوم فى اليوم الحار فلا اعطش)!

واشتركت أم أيمن مع الرسول فى عدد من غزواته .. وكانت تسقى المحاربين الماء تنقله اليهم من موارده . وكانت تبعث ولدها أيمن للقتال أيضا .. وكان أحد شهداء معركة حنين .

كما كان زوجها زيد بن حارثة من شهداء (مؤته) رضى الله عنهم جميعا .

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ام ايمن تبكيه

كلما نكرته .. وقد زارها أبو بكر وعمر بعد وفاة الرسول فوجداها تبكى فقالا لها : ما يبكيك وما عند الله خير لرسوله ؟ فقالت : (أنى لأعلم أن الرسول سيموت ، وأنه سيلقى عند الله خيراً ، ولكنى أبكى لأن وحى السماء قد انقطع عنا فبكيا معها . ولما قتل سيدنا عمر بكت أم أيمن وقالت (الآن وهى الاسلام) .

وليس هناك أسمى من هذه النفس التى تبكى انقطاع الوحى.. أنها تبكى فى الشخص منزلته وأثره فى بقاء الاسلام وسلامة العقيدة فهى لم تبك زوجها وابنها ، ففى المسلمين من يغنى غناءهما . ولكنها بكت الرسول لأنه الصلة بين الوحى وعباد الله وقد أنقطعت بموته ، وبكت عمر لمكانته فى نشر الاسلام وحفظ سلطان الدين ، وقد ضعف هذا السلطان بموت عمر .

وكانت لأم أيمن منزلة عظيمة عند الرسول فكان يعتبرها بدل أمه التى فقدها صغيرا وكان يناديها **(يا أمة)** ويقول **(هذه أمى بعد أمى)**وكان ينظر اليها ويقول : **(هذه بقية أهلى)** وكان يتلطف بها ويرعى شؤونها ويزورها من حين لآخر وكان يمازحها ويقول لها: غطى قناعك يا أم أيمن .

وقالت له يوما : أحملنى قال : أحملك على ولد الناقة . قالت (وكأنها لم تفهم مقصده) انه لا يطيقنى ولا أريده فقال لا احملك الا على ولد الناقة . وكان الرسول يمزح ولا يقول الا حقا . والابل كلها من ولد الناقة . وكان أصحاب رسول الله يعرفون لأم أيمن ولأبنائها منزلتهم عند الرسول وحبه لهم فكانوا يقدرون هذه المنزلة ويرعون أم أيمن وابناءها فكان ابو بكر وعمر يزوران أم أيمن ويرعيان شؤونها كما كان يفعل الرسول فى حياته .

وفى زمن عمر بن العزيز خاصم ابن الفرات مولى الحسن بن أسامة بن زيد ونازعه وقال فى كلامه (يا ابن بركة) فرفع الحسن الأمر الى أبى بكر بن حزم قاضى المدينة أو عاملها وقص عليه القصة . فقال ابو بكر بن حزم لابن الفرات : ما اردت بقولك

يا ابن بركة ؟ قال : سميتها باسمها فقال أبو بكر أنك بهذا أردت التصغير من شأنها ، وحالها فى الاسلام حالها ورسول الله يقـــول لها (يا أمة) ويا أم أيمن لاأقالنى الله ان أفلتك ، وامر بانزال العقوبة بـــــه .

★ ★ ★

● **صفية بنت عبد المطلب :**

عمة الرسول صلى الله عليه وسلم .. ابوها عبد المطلب بن هاشم ، وأمها هالة بنت وهب ، وأخوها حمزة أسدالله وأسد الرسول وكانت تحب حمزة حبا جما ، وتقدر شجاعته وفروسيته وتفخر به .. وقد أسلمت وبايعت الرسول ، وروت عنه وهاجرت معه الىالمدينة. وكان لها مع اليهودى الجاسوس قصة رائعة .

فقد كان من عادة النبى اذا خرج للقتال أن يترك نساءه فى حصن حسان بن ثابت ، ويوم أحد كان الحصن يعج بالنساء ، وكانت صفية بينهن ، وكان حسان معينا من الرسول لحراسة الحصن .

وعلمت اليهود بذلك فصممت على الفتك بنساء محمد ، ورسمت لذلك خطة تبدأ بالتجسس على الحصن لمعرفة مناطق الضعف فيه وعدد من بداخله من الحراس وما يحملون من سلاح ، وارسلت يهوديا متخصصا فى التجسس الى هناك . وجاء اليهودى .. الى الحصن ودار حوله دورات ودورات ، ثم وقف على مقربة من بابه يتسمع فلمحته صفية وأخبرت حسان بن ثابت بأمره وقالت :

— انزل اليه يا حسان واقتله على الفور قبل ان يصيبنا بشر .

— ومن أدراك أنه يهودى يتجسس علينا ؟

— لقد رأيته يحوم الحصن ثم رأيته يقف ببابه يتسمع .. ورايت وجهه فعرفت أنه يهودى من ملامحه .

وللمرة الثانية تردد حسان ، وفطنت صفية الى ذلك ، فتركته واسرعت الى عمود حديدى كان ملقى بساحة الحصن ، فتسلحت به واقتربت من الباب وفتحته بطريقة توحى الى المشاهد من الخارج بأنه قد فتح بفعل الرياح ، ثم وقفت وراء الباب شاهرة سلاحها .

وفرح اليهودى اذ رأى الباب يفتح على هذا النحو ، واعتقد أن الفرصة قد واتته فتقدم من الباب ومد راسه يتسمع ، فلما تأكد له الا احد بالساحة يراه مد رجله ودخل .. وهنا عاجلته صفية بضربة قوية بالعمود الحديدى على مؤخرة رأسه فخر صريعا من فوره !



● **أم ابراهيم :**

هى مارية القبطية جارية من مصر .. أهداها المقوقس للنبى صلى الله عليه وسلم ، وحباها الله تعالى شرف أمومة ابراهيم ولد النبى صلى الله عليه وسلم .

فبعد أن رجع النبى عليه الصلاة والسلام من الحديبية أرسل كتابا الى المقوقس ملك القبط بمصر والاسكندرية ، وحمل الكتاب الصحابى الجليل حاطب بن أبى بلتعة ، وجاء فى الكتاب : (من محمد ابن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى — اما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام ... أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فانما عليك اثم القبط) .

فلما قرأه المقوقس قال لحاطب : فما منعه أن كان نبيا أن يدعو على من خالفه أن يسلط الله عليهم ؟ فقال له حاطب : ولمـــاذا لم يدع عيسى عليه السلام على قومه حين أرادوا قتله ؟ قال المقوقس: أحسنت انت حكيم جاء من عند حكيم !!

وبعث المقوقس مع حاطب بهدية الى النبى — صلى الله عليه وسلم هى : مارية وأختها سيرين وثياب وشىء من العسل ، ومقدار

من الطيب ، واعتذر الى النبى لتمسك القبط بدينهم . وسار حاطب بمارية وسيرين ، وأخذ يحدثهما بحديث عذب طلى ليخفف عنهما غربتهما عن الوطن ومشقة السفر ، وكانت مارية تسمع عن نبى ظهر فى بلاد العرب ، وكانت تتوق لسماع أخباره فاستزادت**(حاطبا)** عن أخباره وسيرته فحدثهما حديثا بهرها وشدها مع أختها الى الشوق لرؤية هذا النبى العظيم .

وأنزل الرسول مارية منزلة تليق بها فى المدينة ، واهتم بهـا وعطف عليها ، واختصها بمزيد من الرعاية ، ووهب أختها سيرين لشاعر الاسلام حسان بن ثابت رضى الله عنه .

وحدث الرسول مارية عن قصة (هاجر) المصرية التى وعاها التاريخ وترك عليه بصماته بصورة لا تمحى ، وكيف وهبهـا الله اسماعيل من ابراهيم عليه السلام ، وهاجرت به الى مكة وفجر الله لها (**زمزم**) وطافت بالبيت العتيق وسعت بين الصفا والمروة ... مما أثلج صدر مارية وعاشت قريرة العين ، هانئة البال فى كنف الرسول الرؤوف الرحيم .

وفى العام الثانى حملت (مارية) بابراهيم ووضعته فكان فرحة عظمى لها وللرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد كان هذا الوليد الجديد سلوة له عن فقده الكثير من أبنائه وبناته ، وقد سماه**(ابراهيم)** تذكارا لجده العظيم أبى الأنبياء عليه السلام .

ولكن الفرحة بمقدم ابراهيم لم تطل .. فقد مرض مرض الموت، واختاره الله لجواره ، وحزن الرسول عليه الصلاة والسلام لموته حزنا شديدا ودمعت عيناه وهو يبكى عليه ويقول : **(تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول الا ما يرضى الرب ، وأنا يا ابراهيم عليك لمحزونون وانا لله وانا اليه راجعون) .**

وهد الحزن أمه مارية .. وقد كان وحيدها وبكرها ، وبهجتها

واملها ، وسلوتها وانيسها . ولم تكد شمسه تبزغ حتى غربت ..
وكاد الأسى أن يلفها فى طياته غير أنها استرجعت وصبرت وتصبرت ،
واحتسبته عند الله وخفف عنها كثيرا قول النبى صلى الله عليهوسلم
لها : **أن له لمرضعا فى الجنة .**

وصادف أن انكسفت الشمس حين مات ابراهيم عليه السلام
وظن الناس أنها كسفت لموته ، وتحدثوا بذلك فقال النبى لهم مصححا
عقائدهم **(ايها الناس أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان
لموت أحد ولا لحياته)** فرجع الناس عن اعتقادهم الخاطىء وآمنوا
بقضاء الله وقدره .

واعتكفت السيدة (مارية) فى بيتها تزورها أختها (سيرين)
ولا تخرج الا لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم حتى توفيت فى
خلافة عمر رضى الله عنه ، ودفنت بالبقيع مع الصحابة والصديقين
والشهداء ـــ رضى الله عنها وعن زوجات رسول الله جميعا .

★ ★ ★

● صفية بنت حيى :

**كان أبوها سيد بنى النضير ، وأمها برة بنت السموءل ، وكانت
سبيا من السبايا اليهود فى معركة خيبر** عندما تزوجها الرســـــول
صلى الله عليه وسلم وجعل عتقها صداقها . وكانت حينئذ فى السابعة
عشرة من عمرها .

**روى فى قصة زواج الرسول بهـــا أنه صلى الله عليه وسلم
قال لها :** لم يزل ابوك من اشد يهود عداوة لى حتى قتله الله ، فقالت
يارسول الله ان الله يقول فى كتابه : (ولا تزر وازرة وزر أخرى)
فقال لها رسول الله .. اختارى فان اخترت الاسلام أمسكتك لنفسى
وان اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك .

فقالت يارسول الله لقد هويت الاسلام وصدقت بك قبل أن

تدعونى ومالى فى اليهودية أرب ، ومالى فيها والد ولا أخ ، فالله ورسوله أحب الى من العتق وأن أرجع الى قومى ، فقال رسـول الله ــ ص ــ لمن حوله :

(قوموا عن أمكم) ايذانا بتشريفها بزواجه عليه الصلاة والسلام .

وقد تحدثت فيما بعد فقالت : انها قبل أن تتزوج بالرسول رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن ربيع أن قمرا وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال : ماهذا الا أنك تتمنين ملك الحجاز محمدا .. ولطم وجهها لطمة شديدة ، فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم بها أثرا منها فسألها ما هذا ؟ فأخبرته بالحادثة .

ودخل الرسول صلى الله عليه وسلم يوما على صفية وهى تبكى فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : بلغنى أن عائشة وحفصة تنالان منى ، وتقولان نحن خير من صفية ، نحن بنات عم رسـول الله وأزواجه !! فقال : الا قلت لهما : كيف تكن خيرا منى وأبى هارون ، وعمى موسى ، وزوجى محمد عليه الصلاة والسلام ؟

وكانت صفية عاقلة فاضلة .. فقد روى أن جارية أتت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فقالت : أن صفية تحب السبت وتصـل اليهود فبعث عمر يسألها ؟ فقالت أما السبت فانى لا أحبه منذ أبدلنى به الله يوم الجمعة ، وأما اليهود فان لى فيهم رحما فأنا أصلها . ثم قالت للجارية ما حملك على ما صنعت قالت الشيطان قالت : فاذهبى فأنت حرة .

وكانت رضى الله عنها من أضوأ نساء النبى صلى الله عليه وسلم وجها ، وأرضاهن معاشرة ، وأدناهن من قلبه ورحمته .

وعاشت صفية بعد انتقال رسولنا صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى .. تصلى فرضها ، وتكثر من التهجد والتنفـل والصيام ، وتجلس على مائدة القرآن تغذى روحها وتصل نفسها بربها ، حتى اذا وقعت الفتنة كانت موالية لعثمان تنقل الطعام والماء اليـه .

وقد روى عنها الكثير من الأحاديث التى سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أقر الرسول صلى الله عليه وسلم احد أصحابه على فعلها . وانتقلت الى ربها سنة خمسين من الهجرة ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين .



● الشفاء بنت عبد الله :

لقد أطلق عليها المؤرخون لقب (**أول معلمة فى الاسلام**) فقد تعلمت القراءة والكتابة ، وعلمتها لنساء المسلمين وأمهات المؤمنين ، وكان ممن علمتهن **(الشفاء)** حفصة بنت عمر ، زوج الرسول عليه الصلاة والسلام بناء على طلب الرسول نفسه — قالت الشفاء : **دخل على رسول الله وأنا عند حفصة فقال لى : عليك أن تعلميها رقية النملة كما علمتها الكتابة)** .

والعلاج بالرقى كان معروفا عند العرب قديما وانما نهى الرسول عن الرقى الجاهلية ، لأنها تتضمن ذكر الأصنام ، ويعتقدون ان الرقى ذاتها هى التى تشفى المرضى ، اما الرقى التى تكون بالقرآن الكريم أو الدعاء والاستعاذة بالله عز وجل فقد أذن بها الرسول عليه الصلاة والسلام (١) .

وكانت الشفاء بنت عبد الله ترقى فى الجاهلية فلما أسلمت

---

(١) المأذون به من الرقى ما لا يؤدى الى الشرك ، ويمنع من الرقى ما يؤدى الى الشرك ، وما لا يعقل معناه فانه لا يؤمن أن يؤدى الى الشرك فمنع احتياطا . قال الربيع سألت الشافعى عن الرقى فقال : لا بأس أن ترقى بكتاب الله وبما تعرف من ذكر الله ، ومع اباحة الرقية فلابد من التماس العلاج الطبى فقد كان من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم التداوى وقال : (تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء . وقال : لكل داء دواء فاذا أصاب دواء الداء برىء باذن الله) .

وهاجرت قالت للرسول : كنت أرقى فى الجاهلية وقد أردت أن أعرضها عليك . فقال فاعرضيها فعرضتها فسمح لها رسول الله ان ترقى وان تعلم رقيتها زوجته حفصه .

★ ★ ★

وكانت الشفاء من عقلاء النساء وفضلياتهن أقطعها رسول الله دارا فى المدينة فنزلت فيها مع أبنها سليمان ، وكان الرسول يزورها ويقيل عندها ، وقد أعدت للرسول أزارا وفراشا ينام عليه وقت الظهيرة . وقد بقيت هذه الآثار النبوية عند ولدها حتى أخذها مروان ابن الحكم ، وكان واليا على المدينة للأمويين يومذاك ..

وقد روت عن رسول الله اثنى عشر حديثا وروى ابنها سليمان وحفيداها أبو بكر وعثمان ولدا سليمان بن ابى حثمة**ومن الأحاديث التى روتها قالت : أتيت رسول الله ، وحضرت الصلاة ، ودخلت على ابنتى وكانت تحت شرحبيل بن حسنة فوجدت شرحبيل فى البيت، فقلت قد حضرت الصلاة وأنت فى البيت ؟ وجعلت ألومه .. فقال ياخالة لا تلومينى فانه كان لى ثوب فاستعاره رسول الله ، فقلت فى نفسى بأبى وأمى رسول الله ، كنت ألومه الساعة وهذه حاله لا أشعر بها .**

وروى عنها ابنها سليمان قولها : دخل على رسول الله وعندى رجلان نائمان (تعنى زوجها أبا حثمة وابنها سليمان) فقال أماصليا الصبح ؟ قلت : لم يزالا يصليان حتى أصبحا فصليا ثم ناما فقال : لأن أشهد الصبح فى جماعة أحب الى من قيام ليلة) وكان ابنهاسليمان من فضلاء المسلمين وصالحيهم ، استعمله عمر على السوق ، وجمع عليه الصلاة فى قيام رمضان .

وكان عمر يقدر فى الشفاء عقلها وحسن تصرفها ، ويقدمها فى فى الرأى ويرعى شؤونها ، ومع كونها من قومه بنى عدى فان هذه

الصلة والقرابة لم تحمله ان يميل عن سبيل العدل . قالت الشفاء : أرسل الى عمر بن الخطاب (أغدى علـــى) فغدوت عليه فوجدت على بابه (عاتكة بنت أسد) فدخلت وتحدثنا ساعة فدعا بنمط فأعطاه عاتكة ، وأتى بنمط أخر دونه فأعطانيه ، فقلت : ياعمر أنا قبلها اسلاما وأنا بنت عمك وتعطينى دونها وأرسلت الى ، وأتتك من قبل نفسها ؟ فقال ما كنت رفعت ذلك الا لك . . فلما أجتمعتما تذكرت أنها اقرب الى رسول الله) .

وكانت الشفاء ترى فى عمر المسلم الصادق ، والقدوة المثلى فى الصلاح والتقوى والعدل . . رأت فتيانا يقصـــدون فى المشى ، ويتكلمون رويدا فقالت : ماهذا ؟ قالوا : نساك ، قالت الشفاء : كان والله عمر اذا تكلم أسمع ، واذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجـــع .

وبمناسبة الحديث عن (أول معلمة فى الاسلام) لابد من الاشارة هنا الى أن العرب قد عرفوا الكتابة والقراءة منذ القدم ، وكانت هذه المعرفة المحدودة منتشرة فى اليمن والعراق ، وقد نقل الكتابـــة الى مكة (**حرب بن أمية — وأبو قيس بن عبد مناف**) وانتشرت بين رجال مكة ونسائها ، وكان عند ظهور الاسلام زهاء سبعة عشر رجـــــلا يقرأون ويكتبون ، ثم تكاثر عددهم فيما بعد ، واستعان الرسول عليه الصلاة والسلام ببعضهم فى كتابة الوحى .

وكان هناك فى الطائف والمدينة المنورة كتاب وقراء ولكن من عرف الكتابة والقراة من أهل مكة كانوا أكثر عددا لأنهم كانوا أصحاب رحلات وأسفار فى سبيل التجارة ، وقد جعل الرسول فداء أسرى قريش من أهل مكة فى غزوة بدر أن يعلم أحدهم عشرة من صبيان المسلمين فى المدينة .

وكما كانت (الشفاء) احدى النســاء المعلمات السابقــات الى معرفة الكتابة والقراءة قبل الاسلام ، كانت كذلك من المهاجرات الاوليات الى المدينة المنورة .

★ ★ ★

● أسماء بنت يزيد :

انها أحد النماذج الرائعة للمرأة المسلمة الجريئة فى الحديث عن حقها ، والمطالبة بحق أهلها وقومها .. باسلوب بليغ جذاب ، ومنطق قوى مقتنع ..

جا فى صحيح الامام مسلم رحمه الله — ان أسماء بنت يزيد الانصارية أتت النبى صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت : بأبى انت وامى يارسول الله .. انا موفدة النساء اليك ..

● ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وصدقناك ..

● أنا معشر النساء محصورات مقصورات ... قواعد بيوتكم، وحاملات أولادكم ..

● وانكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله .

● وأن أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وعزلنا أثوابكم وربينا أولادكم ـ أفنشارككم فى هــذا الخير والأجر ؟

قالت أسماء مقالتهاهذه فأعجبتالرسول عليه الصلاة والسلام، وسر لها سرورا بالغا حتى التفت الى أصحابه يسالهم قبــــل أن يجيبهـــا :

● هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألة هذه فى أمر دينها ؟

● فقالوا يارسول الله ما ظننا امرأة تهتدى الى مثل هذا !

فالتفت صلى الله عليه وسلم الى أسماء يجيبها على مسألتها المعجبة ، ويرد على مقالتها المطربة ..

● **(أفهمى .. أيتها المرأة – واعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله) .**

لئن كانت مقالة أسماء بنت يزيد الانصارية للرسول عليه الصلاة والسلام التى نمت عن عقل راجح ، ونفس طموح – رائعة ماتعة فان رد الرسول عليها كان أروع وأمتع ، وأعظم بلاغة واعجازا .. فى بيان فضل النساء الصالحات القانتات ، الوفيات بالبر لأزواجهن، المربيات على الخير لأولادهن ، القائمات بعزم على وظائفهن التى ربما تفوق جهدا ومجدا وظائف الرجال ..

أن حسن التبعل فى حديث الرسول يعنى أن يؤدى المرأة واجبها وتأخذ حقها فى وداد ومحبة ووفاء مع رفيقها المحب وشريكها المعين .

★ ★ ★

● **سودة بنت عمارة :**

ونترك أسماء بنت يزيد الانصارية الى نموذج آخر من النساء الجريئات فى طلب الحق ، لا لأنفسهن وحدهن ، بل لأهلهن او لقومهن من الرجال والنساء .

هذا النموذج هو (سودة بنت عمارة الهمدانية) التى كانت من أنصار الامام على كرم الله وجهه فى نزاعه مع معاوية رضى الله عنه ..

لقد جاءت الى معاوية تشكو بلسان قومهـا ظلم عامله (ابن أرطأة) بهذا الأسلوب الأدبى القوى الأخاذ ــ قالت :

● يا أمير المؤمنين .. انك للناس سيد ، ولأمورهم مقلد ، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا .

● وانك لاتزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبسط سلطانك فيحصدنا حصد السنابل ، ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا الخسيسة ويسألنا الجليلة ..

● هذا ابن أرطأة قدم بلادى ، وقتل رجالى ، وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة .. فأما عزلته فشكرناك ، وأمالا فعرفناك ..

وغضب معاوية رضى الله عنه ــ على سعة حلمه ــ لمقالتها الأخيرة وعدها تهديدا له ، فذكرت له موقفا لها مع الامام على رضى الله عنه . فلان لها وقال : **(أكتبوا بالانصاف لها والعدل عليها)** فقالت سودة : **(ألى خاصة ؟ أم لقومى عامة)** قال **(ومـــا أنت وغيرك ؟) قالت : (هى والله الفحشاء واللؤم ــ انكان عدلاشاملا والا فيسعنى ما يسع قومى)** فأمر معاوية بأن يكتبوا لها **بحاجتها)** .

أما ذلك الموقف الآخر الذى وقفته (سودة) مع الامام على كرم الله وجهه ، واستثارت بذكره حلم معاوية وأناته ، وظفرت بحاجتها منـــــه ..

فهو كما ترويه هى : أنها أتته يوما فى رجل ولاه أمر الصدقات فكان بينه وبين قومها ما بين الغث والسمين ، ووجدت الامام قائما يصلى .. فانفتل من صلاته ثم قال برأفة وعطف : **(ألك حاجة ؟)** فأخبرته خبر الرجل .. فبكى ــ ثم رفع يديه الى السماء فقال : **(اللهم انى لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا ترك حقك) ثم كتب اليـه** بعزله عن ولاية الصدقات .

هذه بعض نماذج نسائنا الجريئات فى قول الحق ، وطلب العدل ، لافى اللغو واللهو ، ولا فى تغيير خلق الله ، والخروج عن

طبيعة الانوثة ، واهمال وظيفتها ، واهدار كرامتها كما هو حال كثير من نساء اليـــوم .

★ ★ ★

● (حمنة) بنت جحش :

امها اميمة بنت عبد المطلب ، وأختها زينب بنت جحش زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام ـــ كانت زوجة لمصعب بن عمير شهيد احـــــد .

قال محمد بن عبد الله بن جحش : قامت النساء حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد يسألن الناس عن رجالهن ، فلم يخبرن حتى أتين النبى فلا تسأله امراة الا اخبرها ، فجاءت حمنة بنت جحش .. فقال ياحمنة احتسبى لخالك عبد الله قالت : انا لله وانا اليه راجعون ، رحمه الله وغفر له ـــ ثم قال : ياحمنة احتسبى خالك حمزة بن عبد المطلب قالت انا لله وانا اليه راجعون رحمه الله وغفر له ـــ ثم قال ياحمنه احتسبى زوجك مصعب بن عمير فقالت : ياحرباه ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم : **(ان للرجل لشعبة من المراة ما هى له شىء)** ثم قال لها النبى صلى الله عليه وسلم : كيف قلت على مصعب مالم تقولى على غيره ؟ قالت يارسول الله ذكرت يتم ولده .

قال : وقد كانت حضرت احدا تسقى العطشى وتداوى الجرحى، وقد أطعمها رسول الله فى خيبر ثلاثين وسقا ، وتزوجها بعد ذلك طلحة بن عبيد الله فولدت له محمد بن طلحة السجاد وبـــه يكنى طلحـــــة .



● **فاطمة بنت الخطاب :**

أخت (عمر) رضى الله عنهما . كانت من السابقات الأوليات إلى الاسلام ، ويرى بعض كتاب السيرة أن ترتيبها فى الاسلام يأتى بعد خمسة عشر أو ستة عشر اسلموا قبلها .. وقد أسلم من النساء بعدها أسماء بنت أبى بكر وعائشة أختها وهى يومئذ صغيرة .

واسلام فاطمة يعتبر نموذجا رفيعا للايمان وقد أسلمت قبل زوجها سعيد بن زيد فلا تأثير على اسلامها الا تعقلها وتفكيرها ،كما أنها أسلمت قبل أخيها عمر وكانت السبب فى أسلامه .

طرق عمر الباب على أخته فاطمة وزوجها سعيد ، ومعهما خباب يقرئهما القرآن .. ولم يكن يدور بخلده الا البطش بهما فى عنف وقسوة فقال لهما : (لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداعلى دينه)؟ ولم ينتظر الاجابة بل متدت يده الى سعيد وبطش به ، فنهضت أخته لتكفه عن زوجها فضربها وشجها .

وهنا يتجلى الايمان فى أروع صورة اذ قالا فى صوت واحد : **(نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فأصنع مابدا لك ياعمر ..) .**

وطلب اليها عمر أن تسلمه الصحيفة لتى كانت معها فقالت له فى شجاعة : **(يا أخى انك نجس على شركك ، وانه لا يمسها الا المطهرون)** فانصاع لها عمر ، وقام فاغتسل وتناول الصحيفة وقرا فيها : **(طه .. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)** فأحس بروح الايمان يسرى فى عروقه ، وأعجبته حلاوة القرآن وطلاوته ، فأسرع الى الرسول عليه الصلاة والسلام فى دار الندوة ليعلن اسلامه ، واستجاب الله لدعاء رسوله : **(اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين)** فأسلم عمر وكان فاروقا فرق الله به بين الحق و لباطل .. **رضى الله عنه وعن أخته (فاطمة) التى كانت مصباحه الذى أنار له الطريق نحو الاسلام .**

★ ★ ★

● أم سليم :

هى رميصاء بنت ملحان ، أم أنس بن مالك رضى الله عنـــه ، يصفها أبو نعيم فى (الحلية) بقوله : المستسلمة لحكم المحبوب ، والطاعنه بالخناجر فى الوقائع والحروب . وقال عنها صلى الله عليه وسلم **(رايتنى دخلت الجنة .. فاذا برميصاء امرأة أبى طلحة)** وأبو طلحة هو زوجها الثانى بعد مالك والدانس رضى الله عنه ، ولما تقدم أبو طلحة لخطبتها قالت له : أنى فيك لراغبة وما مثلك يرد ، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ... فان تسلم فذلـــك مهرى لا أسألك غيره ، لا أريد منك صفراء ولا بيضاء) .

وتلبث أبو طلحة قليلا ثم انشرح صدره لنور الاسلام ، وذهب الى النبى ليعلن اسلامه فلما رآه الرسول مقبلا قال لصحابته من حوله :**(جاءكم أبو طلحة وغرة الاسلام بين يديه)** .

وقال بعضهم ما بلغنا أن مهرا كان أعظم منه .. أنها رضيت بالاسلام مهرا . فتزوجها أبو طلحة وعاشت أم سليم معه عيشـــة طويلة تزينها الأمانة والمودة والاخلاص .

يروى أنه كان لها طفل من زوجها أبى طلحة فمات الطفـــل وأبو طلحة خارج الدار ، ففطته أمه فى جانب من البيت ، فلما دخل عليها زوجها ليلا سألها عن الطفل فقالت هو أهدأ ما يكون ، ثـــم قدمت اليه طعامه فأكل فلما أصبحا قالت : يا أبا طلحة الم تر آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها فلما طلبها أهلها منهم شق عليهم ذلك ، فقال طلحة : ما أنصفوا فقالت : فأن ابنك كان عارية من اللـــــه عز وجل ، وأن الله تعالى قد قبضه واسترد عاريته ووديعته) ، فاسترجع أبو طلحة وصبر .

ولما ذهب أبو طلحة الى رسول الله عند الصباح قال لـــــه الرسول : يا أبا طلحة بارك الله لكما فى ليلتكما ، فقد حملت أم سليم فى هذه الليلة بابنها عبد الله !

ولقد اشتركت أم سليم مع زوجها فى غزوة حنين ، وكانت تمسك بيمينها خنجرا وبيسارها بعير زوجها وعندما راى ابو طلحة الخنجر فى يدها قال لها ما هذا يا أم سليم ؟ قالت خنجر اتخذته ان دنا منى بعض المشركين بعجته به (أى شققت به بطنه) .

وعن أنس بن مالك قال : لما كان يوم احـــــد رأيت عائشة وأم سليم وانهما مشمرتان ينقلان القرب على متونهما ثم تفرغانها فى أفواه القوم ، وترجعان فتملآنها لتسقيا آخرين .

وكانت ام سليم تحب رسول الله حبا جما . ومن شواهد ذلك ما رواه أبو نعيم ايضا من انالرسول نام القيلولة فى بيت ام سليم فجاءت بقارورة وجعلت تجمع فيها عرق رسول الله عليه الصلاة والسلام ولما استيقظ الرسول ورآها تفعل ذلك سألها ياأم سليم ما الذى تصنعينه) فقالت : هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهـــــو اطيب الطيب .



● أم شريك :

هى غزية بنت جابر الدوسية من الازد .. أسلم زوجهـــــا (أبو العكر) فهاجر الى رسول الله مع أبى هريرة مع دوس حين هاجروا .

قالت ام شريك : فجاءنى أهل أبى العكر فقالوا : لعلك على دينه ؟ قلت أى والله انى لعلى دينه . قالوا لا جرم والله لنعذ بنك عذابا شديدا ، فأرتحلوا بنا من دارنا وحملونى على جمل من شر ركابهم وأغلظة يطعمونى الخبز والعسل ولا يسقونى قطرة ماء ، حتى اذا انتصف النهار وسخنت الشمس ونحن قائظون ضربوا أخبيتهم وتركونى فى الشمس حتى ذهب عقلى وسمعى وبصرى .

وبعد ثلاثة أيام قالوا لى فى اليوم الثالث : اتركى ما انت عليه ، فما دريت ما يقولون الا الكلمة بعد الكلمة فأشير بأصبعى الى السماء بالتوحيد ، فوالله انى لعلى ذلك وقد بلغنى الجهد اذ وجدت برد دلو على صدرى فأخذته فشربت منه نفسا واحدا ، ثم انتزع منى فذهبت أنظر فاذا هو معلق بين السماء والأرض ، فلم أقدر عليه ثم دلـى الى ثانية فشربت منه نفسا ثم رفع ، فذهبت انظر فاذا هو بين السماء والأرض ، ودلى الى الثالثة فشربت منه حتى رويت وأهرقت على راسى ووجهى وثيابى ...

... قالت فخرجوا فنظروا فقالوا : من اين لك هذا ياعدوة الله ؟ فقلت لهم أن عدوة الله غيرى .. من خالف دينه ، وأما قولكم من أين هذا فمن عند الله رزقا رزقنيه ...

...فأنطلقوا سرزعا الى قربهم فوجدوها موثقة لم تحـل ، فقالوا نشهد ان ربك هو ربنا وأن الذى رزقك مارزقك فى هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا هو الذى شرع الاسلام ... فأسلموا وهاجروا جميعا الى رسول الله وكانوا يعرفون فضلى عليهم وما صنع الله الى) .

وهى التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم ، فعرضت نفسها على النبى صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة ، فقبلها النبى صلى الله عليه وسلم وسماها الله مؤمنة فقال تعالى : (وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى أن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) (١) .

★ ★ ★

● ام معبد :

هى زوجة أكثم الخزاعى ، منزلها بقديد ،كانت لها خيمة معروفة باسمها (خيمة أم معبد) وكانت أم معبد تطعم الجائع وتروى الظمآن

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٠ .

من المسافرين بين مكة والمدينة ، ولما مر ركب الرسول الكريم بخيمتها طلب الرسول منها أن تبيعهم شيئا من الطعام ولكن أم معبد اعتذرت قائلة : (والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم القرى) .

ونظر الرسول داخل الخيمة فرأى شاة ترقد بداخلها فقال لأم معبد :

(أما بهذه الشاة من لبن ؟ فقالت : (هي أجهد من ذلك) ؟

ـ فقال صلوات الله وسلامه عليه : (أتأذنين لي أن أحلبها ؟)

ـ **فقالت :** نعم .. ثم أمرت ابنها معبدا أن يحضر الشاة ليرفع عنها تهمة البخل ، تلك التهمة التي كانت ترتعد لها فرائص العرب. ولتقنع الركب أن الشاة هزيلة ، ليس فيها ما تتوق له نفس . ولم تكن تعلم أن يد ضيفها الكريمة اذا لمست شاتها فاض اللبن منها مدرارا باذن الله وعونه .

وضع الرسول رجل الشاة بين ساقه وفخذه ثم مسح على ضرعها وسمى باسم الله ، فدر ضرعها وفاض اللبن غزيرا ، فطلب الرسول اناء كبيرا فأتت به أم معبد فشربت حتى ارتوت . ثم شرب الركب ، وحلب الشاة مرة ثانية فامتلأ الاناء من جديد ... فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : احتفظي بهذا لزوجك .

ومضى ركب الرسول في طريقه الى المدينة . وأم معبد لاتكاد تصدق ما رأت ، وعندما رجع زوجها في المساء بنعاجه الهزيلة وشاهد الاناء مملوءا باللبن قال لزوجته : (من أين لكم هذا ؟) فروت له قصة الرجل الذي مر بها فقال لها : (**هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر) .**

وخرج من فوره مسرعا حتى أدرك الرسول في طريق المدينة، فعرفه بنفسه وأسلم وبايعه . ثم عاد الى زوجته وبلغها الخبر فأسلمت هي وابنها معبد واخوها حبيش بن خالد ، ثم ارتحلوا الى المدينة مهاجرين .

● **أم كلثوم :**

هى أم كلثوم على بن أبى طالب رضى الله عنه .. وأمها سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولدت فى أخريات العهد النبوى ، وتزوجها عمر فى خلافته وهى حدثة دون البلوغ ، وما أراد الا أن يصل نسبه بنسب رسول الله ، وكان رضى الله عنه قد كلم عليا فى أمرها فقال على : انما حبست بناتى على بنى جعفر ، فقال عمر زوجنيها يا على فوالله ما على ظهر الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصد ، فقال على : قد فعلت .

ثم غدا الى بيته وأمر ببرد فطواه وقال لأم كلثوم : انطلقى بهذا الى أمير المؤمنين .. فقولى له أرسلنى أبى يقرئك السلام ويقول : أن رضيت البرد فأمسكه وأن سخطته فرده .. فقال عمر : بارك الله فيه فقد رضينا . فرجعت الى أبيها فقالت : (مانشر البرد ولا نظر الا الى) فزوجها أياه وأقامت عنده حتى قتل عنها ، وولدت منه زيدا ورقية .

وكانت تعرف بخطيبة قريش كما كانت رضى الله عنها تخرج معه ليلا لمساعدة المحتاجات من النساء الى العون فى التوليد والتمريض .



● **أم هانىء :**

هى ابنة عم رسول الله أبى طالب بن عبد المطلب .. وأمها فاطمة بنت أسد بن هاشم .. وهى احدى ذوات الرأى الجزل والأدب الجم من قريش .. خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية وكان أبوها قد وعد بها هبيرة بن أبى وهب فظفربها .

وفى مستهل الاسلام أسلمت أم هانىء ففرق بينها وبين

زوجها بحكم الاسلام ، وكانت قد انكشفت منه عن اربعـــة بنين ، فخطبها رسول الله فقالت:يارسول الله!لأنت أحب الى من سمعي ومن بصرى ، وحق الزوج عظيم فأخشى ان اقبلت على زوجي أن أضيع بعض شأن ولدى ، وان أقبلت على ولدى أن أضيع حق زوجي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **ان خير نساء ركبن الابل نساء قريش أحناه على ولد فى صغره وأرعاه على بعل فى ذات يده .**

وقد روى أصحاب الصحاح الستة جميعا عن أم هـــانىء ، وعاشت حتى جاوزت عهد أخيها على رضى الله عنه .

مبادىء ونماذج

فى الصفحات التالية والخاتمة لهذا الفصل .. نتحدث بايجاز عن المبادىء أكثر من النماذج ــ أى نركز على الاخلاق والصفات التى امتازت بها بعض النساء المسلمات ، وكانت بارزة ظاهرة فى حياتهن وسلوكهن ..

واكتفينا ــ فى هذا الحديث الموجز ــ بالاشارة الى (**الثقافة**) بمعنى الخبرة والفطنة والحكمة .. والى (**الجود**) والسخاء والأيثار .. والى (**الشجاعة**) والنجدة والاسعاف فى مواطن الحروب .

وقد عرف فريق من المسلمات السابقات بهذه المبادىء السامية ، أو هذه الأخلاق العالية .. التى نريد من نساء المسلمين اليوم : أن يتحلين بها ، ليكن خير خلف لخير سلف من الحكيمات الكريمات الشجاعات ..

مثقفات حكيمات :

حين أنبثق فجر الاســلام فى جزيرة العرب كانت الثقافــة بمعناها المعروف معدومة أو تكاد . وكانت الثقافة تعنى يومذاك معرفة القراءة والكتابة وشىء من الحساب البسيط .

ويقول الاستاذ محمد جميل بيهم فى كتابه : (المرأة فى حضارة العرب) أن مكة كانت للعرب بمثابة العاصمة الروحية ، وكانت تعقد حولها الاسواق الأدبية والتجارية فى المواسم .. ولم يكن فيها أكثر من سبعة عشر رجلا يقرأون ويكتبون) .

وذكر صاحب (الاصابة) : أن عائشة وحفصة رضى الله عنهما وهما من أمهات المؤمنين ، وزوجات الرسول الأمين كانتا تحسنان القراءة والكتابة ..

وسنعرض ــ هنا ــ بعض النماذج لثقافة المرأة المسلمــة بالمفهوم المعروف يومذاك .. وهى ثقافة لا تعتمد عــلى القــراءة والكتابة والدرس والمطالعة ، وانما تعتمد على قوة الذكاء ، وحدة النظر ، وصحة الذاكرة ، وهو أمر طبيعى او نتيجة حتمية لفقدان المعارف الكتابية التى تعتمد على الدرس والتحصيل والتدوين .

فالمقصود بالثقافة فى بعض هذه النماذج النسائية هو المفهوم اللغوى الأساسى الذى كانت تعنيه وتــدل عليه كلمــة الثقافــة

ومشتقاتها ــ وهو حسن الادراك ، وفطانة العقل ، وسمو النظر، والأخذ والاعطاء بحكمة تساوى أو تفوق أحيانا حكمــة المتقفين الدارسين بمفهوم العصر الحديث .

يقول الاستاذ جميل بيهم : كان عهد النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين – وان خلا من المثقفات بالمعنى المعروف حديثا ــ حافلا بصاحبات المدارك السامية اللواتى ساهمن فى تأييد هذا الدين بأوفى نصيب ، وكانت هــذه المساهمــة مذكيــة لمواهبهن الطبيعية ، وكان أتصال بعضهن بصاحب الرسالة مؤهلا لهن لحفظ الحديث وروايته أوفر من سائر المسلمين .

● وضرب الاستاذ بيهم المثل بالسيدة (خديجة بنت خويلد) قبل أن تصبح زوجة للرسول عليه الصلاة والسلام .. فقد كانت الى جانب ثروتها المالية خبيرة بوسائل أنمائها ، وكانت تنــافس الرجال فى التجارة فتستأجر الامناء الكفاة منهم أو تضاربهم عــلى ما تجعل لهم من ربح(١) .

وعندما عرفت خديجة فى (محمد) قبل أن يبعث أمانته وصدقه حتى لقب بالأمين بين قومه فى مكة المكرمة ــ عرضت عليه أن يعمل فى تجارتها بين الشام واليمن فقبل ، وأزدادت ثقتها به ، وعرفته عن قرب فخطبته لنفسها وتزوجت منه .

ثم كانت من ورائه ــ كما يقول الاستاذ بيهم ــ تشد أزره وتشرح صدره ، وكلما مسه أذى من قومه أو أصابه خوف مما رأى فى (حراء) من ملابسات الوحى الآلهى خفت الى طمأنته بما كان يملأ نفسها من حزم ويغمر فؤادها من يقين ، وانطلق لسانها يقول له : (كلا والله لا يخزيك الله أبدا .. أنك لتصل الرحم ، وتحمل

---

(١) المضاربة : شركة رأس المال فيها على طرف والعمل على الطرف الآخر ، والربح مناصفة أو أدنى من ذلك .

الـكل ، وتكسب المعـــدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق) .

فتثلج بذلك صدر الرسول ، وتقوى عزيمته ، ويمضى ينشر دعوته بفضل الله وعونه ومؤازرة خديجة التى أيدته فيما قـــال ورأى ، وبشرته بأن مكارم اخلاقه ومحاسن سلوكـــه لن تكـــون عاقبتها خزيا وسوءا .

ولقد كان ذلك منها فراسة وثقافة وحكمة والا فما هى حقيقة (الثقافة) أن لم تكن ثمرتها عقلا حكيما ، ونفسا رضية ، ونصحا رشيدا وأدراكا لظواهر الأمور وبواطنها ، وفهما حسنا لحقائقها وعواقبها ، ومقالا مناسبا لمقامه ، وربطا بين أول الأمر وآخره ؟

* * *

وفى كتاب (حقوق المرأة)يروى مؤلفه (أجاييف) عن الكاتب الهندى أمير على قوله : لقد أشتهر نساء المدينة فى ذلك الوقت بالطهارة والعفة والاستقامة ، وحسن السيرة وجودة السريرة ، وبالجد والنشاط فى قيامهن بالأعمال المجيدة ، وتربية أولادهن على المبادىء القويمة ، وكن يتوافدن على مجالس الخلفاء والصحابة لدراسة التوحيد والشريعة ، وكـــان كثير منهن مهتمات بتثقيف أولادهن .

وقد أشتهر فى رواية الحديث النبوى نفر من النســـاء على راسهن أمهات المؤمنين رضى الله عنهن ، كما كن يساهمن فى تعليم الأمور الدينية وحسبهن ذكرا وفخرا أنهن تعلمن فى مدرسة النبوة وأن القرآن أثبت لهن هذه المكرمة فى قوله عز وجل : **(وأذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) (١) .**

ويذكر البلوى فى كتابه (ألف باء) أن بعض الأحاديث النبوية قد رويت مسلسلة عن نساء دون أن يكون بينهن رجل ــ من ذلك ما روى عن زينب بنت أم سلمة ــ عن حبيبة بنت أم حبيبة ــ عن

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٤ .

زينب بنت جحش قالت : استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه محمرا وجهه وهو يقول (**ويل للعرب من شرقد أقترب**) .

* * *

● **ومما يروى عن ثقافة (عائشة) زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام** أن عروة بن الزبير قال لها يوما : (أنى لا أعجب من فقهك فأنت زوجة النبى وابنة أبى بكر ، ولا أعجب من علمك بالشعر وايام الناس فأبوك ابو بكر أعلم الناس بهما — ولكنى أعجب من علمك بالطب كيف هو ؟ ومن أين هو ؟

قال عروة : فضربت على منكبى وقالت : أى عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسله كان يسقم فى آخر عمره فتقدم عليه الوفود من كل وجه فتنعت له وكنت أعالجه) .

وعلى غرار عائشة — كما يذكر الاستاذ بيهم — كان هناك نساء فى عصرها يتعلمن الطب ويبرع بعضهن فيه ويصبحن طبيبات، وكذلك كانت الجراحة والجبارة .. فقد كان منهن اخصائيات فى هذا النوع من الطب بالممارسة .

وبعد .. فانما قصدنا من تقديم هذه النماذج والصور النسائية فى مجال (الثقافة) والمعرفة والخبرة والحكمة — ان تقتدى المرأة المسلمة المعاصرة بهن ، وأن تجتهد فى تحصيل الثقافة الاسلامية لأنها واجبة عليها وشرف لها .

فالامام الغزالى حجة الاسلام — رحمه الله — يلزم الازواج بتثقيف نسائهن أمور دينهن ، فان قعدوا عن ذلك — اى قصروا فيه — وجب عليهن أن يخرجن للعلم ، ولا جناح عليهن .

وما نحسب الامام الغزالى المفكر العميق يعنى بامور الدين الصلاة والصيام وشؤون العبادة وحدها .. فان أمور الدين التى تهم المراة كما تهم الرجل أوسع من ذلك .. انها الثقافة الاسلامية

أحكاما وآدابا وأخلاقا ، وتربية أولاد ، ومعاملة زوج ، وأحسان عمل وسلوك .

★ ★ ★

كريمات سخيات :

الكلام هنا عن طائفة من كرائم النساء المسلمات اللاتى بذلن فى سبيل الخير أموالهن عن طيب نفس .. مع أن المعروف عن النساء — فى الجملة — أنهن حريصات بفطرتهن على الامساك لأنهن — عادة — لايعملن ولا يتكسبن ، لذلك يأخذن أكثر مما يعطين ..

وأن بدا أن بعضهن — فى العصور الأخيرة — مسرفات فى الانفاق على الزينه ومتارف المأكل والمشرب ، فان ذلك ليس على حسابهن ، وانما هو من مال الرجال المغلوبين على امرهم ،والذين ركبتهم ديون (**بدعة التقسيط**) بحيث أفقرتهم وأرهقتهم .

ثم أن هذا الانفاق بأسراف ليس فى سبيل الله ، وانما هو فى سبيل الشيطان الذى يأمر بالفحشاء والمنكر ، ويزجر عن المعروف، ومع ذلك فان التاريخ الاسلامى يحدثنا عن نماذج نسائية لكريمات سخيات كن ولا يزلن قدوة حسنة واسوة طيبة لاخواتهن المسلمات للانفاق فى سبيل الله ..

● **روى الامام البخارى فى صحيحه** : ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى النساء بعد صلاة العيد ، فكلمهن فى الصدقة فأخذن ينزعن الاقراط والعقود والاطواق والخواتيم والخلاخيل — حتى ملأن حجر بلال الذى بسطه لذلك ..

والكرم من اخلاق العرب قبل الاسلام وبعده : وفى قصة اطلاق سفانة بنت حاتم الطائى من الأسر قال نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام : (**ان اباها كان يحب مكارم الاخلاق**) .

ولا غرابة فى أن يكون نساء الاسلام فى العهد النبوى باذلات للخير ، مسارعات الى النجدة والرفد ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم لهن القدوة الفاضلة الماثلة بين أيديهن وأعينهن ، وهو الذى كان كما حدث ابن عباس أجود الناس ، وأجود بالخير من الريح المرسلة وكان اذا جاءه لحم أو لبن أهدى منه لصواحب — خديجة — زوجته الأولى فتغار عائشة فيقول لها : انهن كن يزرننا أيام خديجة ، وأن حسن العهد من الايمان) .

ونساء النبى صلى الله عليه وسلم أولى بالاقتداء بكرم الرسول وسخائه ، وبالاستجابة لدعوة القرآن المتكررة فى آياته الى البذل والعطاء ..

كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يحث النساء بصفة خاصة على الصدقة كان يقول لهن : يا معشر النساء تصدقن .. فانى رأيتكن اكثر أهل النار — قلن : بم يا رسول الله ؟ قال : لانكن تكفرن العشير ، أى الزوج ، لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت : ما رأيت منك خيرا قط .

* * *

ونبدأ الآن فى تقديم النماذج النسائية السخية :

● **فهذه — عائشة — رضى الله عنها كانت — كما يروى عروة ابن الزبير — تتصدق بالكثير حتى أنها لا تدع لنفسها** شيئا تفطر عليه وهى صائمة وتقول لها صاحبتها أم ذرة : أما استطعت فيما أنفقت أن تشترى بدرهم لحما تفطرين عليه ؟ فترد عليها عائشة قائلة : لو كنت أذكرتنى لفعلت ..

● وهذه — زينب بنت جحش — رضى الله عنها ، التى كانت تفخر على نساء النبى صلى الله عليه وسلم الأخريات بأن الله عز وجل هو الذى تولى تزويجها من رسولـه ، من فـوق سبـع سماوات .

زينب هذه يبعث اليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو امير المؤمنين بنصيبها فى بيت المال .. فتجده كثيرا ، وتظنه قد وكل اليها ان تقسمه بين النساء الأخريات فيقال لها : هذا كله لك ، فتقول لصاحبتها برزة بنت رافع اذهبى به الى بيت فلان ، حتى بقيت بقية تحت الثوب فقالت لها برزة : غفر الله لك يا ام المؤمنين ..والله لقد كان لنا فى هذا حق — فترد عليها زينب : لكم ما تحت الثوب .. ويعلم عمر بما فعلته زينب فيبعث لها بالف درهم ، فتصنع بها ما صنعت بسابقتها ..

وقد روى البخارى — فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لنسائه : أسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا . قالت عائشة : فكنا اذا اجتمعنا فى بيت واحد بعد وفاة الرسول نمد أيدينا فى الجدار فنتطاول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى ماتت زينب ، وكانت امـــــرأة قصيرة فعرفنا حينذاك ان النبى صلى الله عليه وسلم انما أراد بطول اليد : الصدقة ..

● **والسيدة — زبيدة زوجة هارون الرشيد كانت مثالا للمرأة المحسنة ، والمرأة الصالحة التقية** كما كان لها مئة جارية يحفظن القرآن ، وكان يسمع لتلاوتهن فى قصرها دوى كدوى النحل .

ويأتى فى ذروة مبراتها الكثيرة : جر الماء الى مكة المكرمة بعد ان عز فيها وغلا ثمنه .. لقد كان ذلك أخلد حسناتها ذكرا وأعظمها جرا .. ومثله جر الماء الى بيروت من الجبل ، وقد سميت **العين** التى جرتها الى مكة — عين زبيدة — كما سميت القناطر التى تحمل الماء الى بيروت قناطر زبيدة ..

● **وصادف عبد الله بن عباس رضى الله عنهما امرأة فى طريقه من الشام الى الحجاز** فبعث غلمانه اليها ليشتروا طعاما منها — **قالوا** : اعندك طعام نبتاعه ؟ قالت : اما طعام للبيع فلا ، ولكن **عندى ما يكفينى وأولادى .. فطلبوا شطر طعامها فأبت الا ان**

تقدمه كله قائلة : ان اعطاء الشطر نقيصة — وكافأها ابن عباس بمال كثير .. **(وما جزاء الاحسان الا الاحسان)** .

* * *

وبعد .. فان نساء المسلمين اليوم مسرفات فى الانفاق على ملابسهن وزينتهن أسرافا يؤاخذن عليه لأنه تبذير فى سبيل الشيطان، وارهاق لازواجهن وابائهن ، وفيه أغراء بالفتنة والغواية .

ونحن عندما نقدم هذه النماذج الخيرة النيرة من فضليات النساء المسلمات الأوائل — انما نرجو أن يهتدى نساؤنا الأواخر اللاتى يعشن فى الوقت الحاضر .. بهديهن ، ويتخلقن بأخلاقهن : أستحياء من المعايب ، وسخاء بالاطايب ، والتزاما بأحكام الاسلام وآدابه فيما يتعلمن ويعملن ويتحدثن ويلبسن .

جريئات شجاعات :

لقد كانت المرأة العربية فى العهد الجاهلى تتمتع باخلاق فاضلة تتفق مع المزايا الفطرية البدوية ، وتنبثق عنها فى الوقت نفسه . **من** تلك الاخلاق العربية : الشجاعة والعفة ولكرم والنجدة والوفاء ..

وجاء الاسلام متمما لمكارم الاخلاق — كما اعلن ذلك وأكده رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف — فاحتفظت المراة العربية بسجاياها الحميدة ، وازدادت عليها صفات جديدة حين اثار الاسلام فى المراة شعور المساواة بالرجل فى الحقوق الانسانية ، وجعلها تتطلع مثله الى الحياة الآخرة ، وتنافسه فى اعمال الخير والبر ، وتساهم معه فى تحقيق اقامة **(المجتمع الاسلامى)** الفاضل الكريم ، ومن هنا كان منهن الصالحات الزاهدات ، وذوات الشجاعة والاقدام ، وصاحبات البر والوفاء ، وقرينات العفة والاباء .

* * *

ولما كانت (الشجاعة) من أبرز صفات العرب فى جاهليتهم رجالا ونساء على سواء ــ كانت كذلك بعد أن اسلموا مصداقا لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (**خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام اذا فقهوا**) .

ولا غرابة أن تكون الشجاعة فى المقام الأول والمركز الافضل عند العرب فى الجاهلية ، فحياتهم الفطرية ومجتمعهم البدوى ، وظروف البداوة وملابساتها من اعتماد على القوة فى الكسب وفى الحرب وفى دفع العدوان ، كل ذلك ساعد على تنمية صفات الشجاعة فى رجال العرب ونسائهم .

وجاء الاسلام فأمد الشجاعة العربية بقوة جديدة .. هى قوة الايمان والعمل الصالح ، والجهاد فى سبيل الله ابتغاء للنصر ، ورجاء فى الشهادة والأجر . وكان حظ المرأة المسلمة من الشجاعة حظا موفورا قلما شهد التاريخ الحديث والقديم له نظيرا .

ووجد الرسول عليه الصلاة والسلام من النساء العربيات المسلمات صدقا ووفاء وشجاعة ــ ما أعان على نشر دعوته ، واذاعة دينه ، وقد أسلفنا فى تراجم السيدات الفاضلات (**خديجة بنت خويلد ــ وأسماء بنت أبى بكر ــ وفاطمة بنت الخطاب ــ وخولة بنت الأزور وصفية بنت عبد المطلب وأمثالهن**) صورا روائع من سلوك المرأة العربية المسلمة فى هذا المجال[1] .

● **أسلفنا كيف كانت (خديجة) أول امرأة آمنت برسول الله حين كذبه الناس** ، وواسته بنفسها ومالها حين حرمه الناس ، وشجعته على أداء رسالته الخالدة بقولها وخلقها ، وقالت له قولتها المشهورة : (**والذى نفس خديجة بيده .. لن يخزيك الله أبدا**) .

● وأسلفنا كيف ثبتت (فاطمة بنت الخطاب) امام اخيها عمر

---

(١) فى هذا الفصل وفى كتابنا (كرائم النساء) .

عندما اكتشف اسلامها ووجد بين يديها صفحة من القرآن فلطمها على وجهها لطمة عنيفة ، فكان ثباتها وشجاعتها أمام جبروت عمر سببا لاستجابته وقبوله للاسلام ، وذهابه من فوره الى دار الارقم ليعلن اسلامه بين يدى الرسول الأعظم .

ولا نريد أن نعيد مواقف أسماء بنت أبى بكـــر وصفية بنت عبد المطلب وخولة بنت الأزور ولكنا نضيف بعض النماذج القصيرة للتذكير والاقتداء ..

* * *

بعد هجرة الرسول الى المدينة ، وحين فرض الجهاد .. خفت المرأة المسلمة الى ميدان القتال تثير حماس الرجال ، وتروى ظمأهم ، وترعى جرحاهم ، وتداوى مرضاهم .

● **وأشتهر منهن فريق كبير (كأم عطية)** التى يروى عنهـــا قولها : (غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وكنت اخلفهم فى رحالهم ، واصنع لهم الطعام ، واداوى لجرحى ، واقوم على المرضى) .

● **ومنهن (أم عمارة)** التى شهدت العقبة الكبرى وكانت اول مبايعة فيها للرسول عليه الصلاة والسلام كما شهدت غزوة احد ، وبيعة الرضوان ، ويوم اليمامة .. حيث كانت تقاتل مـــع أبنها عبد الله حتى قتل مسيلمة الكذاب . وقد قطعت يدها فى تلك المعركة ، وأصيبت بجروح كثيرة .

لقد كان لأم عمارة هذه فى غزوة أحد موقف رائع نادر المثال ، غريب بين الرجال . فقد خرجت فى بداية المعركة تسقى الظماء ، وتداوى المجروحين ، وعندما تحول وجه المعركة عن المسلمين ، وتناولت سهام الكفار وسيوفهم نحور المسلمين وظهـــورهم فولوا مدبرين .. الا قليلا وقفوا يدافعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ جاء دور أم عمارة حيث انتضت سيفها واحتملت قوسها ،

وجعلت تصول وتجول بين يدى الرسول ، وحولها على وابو بكر وعمر وسعد وطلحة والزبير والعباس وولداها حبيب وعبد الله وزوجها زيد بن عاصم ، فكانت أظهر القوم اثرا وأبرزهم موقفا .. حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم : **(ما التفت يمينا ولا شمالا الا وانا أراها تقاتل دونى) !**

وسمعها الرسول تقول لابنها عمارة بعد أن ضمدت جراحه : قم يا بنى فضارب القوم ، وجاهد فى سبيل الله ـــ فقال عليه الصلاة والسلام : (من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة) ؟؟

● **وهذه (أم حرام) زوجة الصحابى الجليل عبادة بن الصامت رضى الله عنهما ركبت البحر مع زوجها عبادة حينما أراد معاوية بن ابى سفيان غزو جزيرة (قبرص) .**

وكان نصيب جهادها الصادق لشهادة فى سبيل الله فقـــد استشهدت فى هذه الغزوة سنة سبع وعشرين للهجرة .. وكتبت فى عداد المجاهدات الصادقات .

* * *

● **وهذه أم حكيم كأختها أم حرام** ، وكانت زوجـــة للقائـــد الاسلامى البطل عكرمة بن أبى جهل ، الذى قتل فى حرب **(أجنادين)** مع الروم فتزوجها خالد بن سعيد . فاستشهد هو الآخر فحملت أم حكيم عمود الفسطاط الذى قتل فيه خالد عند القنطرة وقتلت سبعة من الاعداء ، وقد سميت تلك القنطرة **(قنطرة أم حكيم)** الى اليوم تذكارا لشجاعتها وجهادها .

* * *

● **وهناك (الخنساء) الشاعرة العربية المعروفة .. التى خلدها شعرها المطرب المعجب فى رثاء أخيها (صخر) فى عهدها الجاهلى ، ثم خلدها فى الاسلام أيمانها الصادق ، وحثها لأبنائهـــا الأربعة على الجهاد فى سبيل الاسلام ، وصبرها الرائع عندمـــا بلغها نبأ استشهادهم جميعا .. فاحتسبت ذلك شرفا عظيما لهـــا وحمدت الله عليه .**

فقد نادى منادى القتال فى معركة القادسية فجمعت أبناءها الأربعة وخطبتهم قائلة : (يا بنى انكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، ووالله الذى لا اله الا هو : انكم لبنو رجل واحد .. كما انكم بنو امرأة واحدة . ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين فى حرب الكافرين من الثواب الجزيل ـ فاذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين) .

وكان أبناء الخنساء .. كأمهم ايمانا وشجاعة فخاضوا وطيس المعركة وانتصر المسلمون على أعداء الاسلام ، وكان هؤلاء الابناء الابطال من الشهداء الخالدين .

وكانت الخنساء هى الخنساء فى جاهليتها وأسلامها مثلا مشرفا فى الشجاعة والصبر . كان موقفها مطربا معجبا فى مقتل اخويها (معاوية وصخر) وكذلك كان موقفها أكثر اطرابا واعجابا عند استشهاد أولادها الأربعة فى حرب القادسية ، لقد قالت عندئذ:

الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته !!) .

● **وهذه أسماء بنت أبى بكر** فقد دفعت بابنها عبد الله بن الزبير الى الصبر على قتال الحجاج بن يوسف الثقفى فى معركة تتوقع هزيمة ولدها فيها بل تترقب موته فى نهايتها ..

لقد قالت أسماء لابنها (عبد الله) :

(ان كنت تعلم أنك على حق تدعو اليه فامض عليه ولا تمكن من رقبتك غلمان بنى امية فيلعبوا بك . وان كنت أردت الدنيا فبئس العبد انت .. اهلكت نفسك ومن معك . وان قلت انى كنت على حق ولما ذهب أصحابى ضعفت بنيتى فليس هذا فعل الاحرار ، كم خلودك فى الدنيا ؟ أن القتل احسن ما يقع بك يابن الزبير ، والله لضربة بالسيف فى عز أحب الى من ضربة بسوط فى ذل) .

لقد كان موقفا مذهلا حقا : ابن يستشير أمه فى معركة يعلم هو وتعلم هى انها خاسرة .. فتشير عليه بمواصلة القتال ان كان

على حق ثم تقول له قولة تدل على مبلغ كرامة النفس المؤمنة التى تابى مذلة الحياة على هزيمة وانكسار . وتؤثر عز الموت وشرف الجهاد فى سبيل المبدأ الكريم : **(والله لضربة بالسيف فى عز أحب الى من ضربة بسوط فى ذل !!) .**

وقد مضى عبد الله بن الزبير بتحريض أمه أسماء الى القتال مرة أخرى .. حتى قتل شهيدا سعيدا . وكان من قبل وهو صبى شجاعا جريئا فقد كان يلعب مع رفاق له ومر بهم عمر بن الخطاب فهابه الرفاق ، وفروا من وجهه الا عبد الله بن الزبير فسأله عمر : مالك لا تفر مع أصحابك ؟! فكان جوابه الجرىء الشجاع : (لم أجرم فأخاف منك ، ولم يكن الطريق ضيقا فافسح لك !!) .

ولا غرابة .. فأمه أسماء بنت ابى بكر ، وهكذا ينبغى ان تكون الأمهات جريئات شجاعات .

* * *

ونحن حين نذكر هذه النماذج النسائية التى تصور شجاعة المرأة المسلمة فى صدر الاسلام — لا نريد من نسائنا ان يقتدين بهن فى ميادين القتال ، فقد تطورت الانظمة العسكرية الآن بحيث استغنت الجيوش المحاربة عن نساء يسقين الظماء ، ويقمن على شؤون الجرحى والمرضى .

وانما نريد من نسائنا الحاضرات ان يكون لهن مثل شجاعة أسلافهن فى مجال تربية الاولاد ذكورا واناثا .. تربية حازمة . لا تدليل فيها ولا تضليل ، فان أكثر فساد الاولاد — وخاصة (البنات) يرجع الى ضعف الامهات ، ورخاوتهن فى التوجيه والتنبيه ، وتركهن الحبل على غارب بناتهن ، ناسيات أوجاهلات ان معلمنا الاول والأمثل صلى الله عليه وسلم قد شدد وركز على أهمية تربية البنات ، ووعد الجنة جزاء على احسان تعليمهن وتربيتهن ..

وذلك لأنهن (قوارير) كما وصفهن عليه الصلاة والسلام ، ولابد من الصبر الجميل فى تربيتهن ، والحذر الشديد من كسرهن .

قالوا .. عن الكتاب :

● معالى الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم الحالى ووزير المعارف سابقا يقول فى رسالة خاصة الى المؤلف :

(تحية مباركة طيبة .. وارجو لكم دوام الصحة . وقد تلقيت شاكرا ومقدرا مؤلفكم القيم (مكانك تحمدى) وقضيت معه ساعات نافعة ، وحمدت الله على وجود من يعتقد الحق ويقوله فى بلدى الحبيب . وانى اذ ابلغكم شكرى وتقديرى اسأل الله أن يوفقنا جميعا لما نحبه ويرضاه . وارجو بعث نسخة خاصة بالوزارة توطئة لشراء كمية منه — وتقبلوا تحياتى الطيبة) .

اخوكم
حسن بن عبد الله آل الشيخ
١٣٨٤/٧/١٤هـ

* * *

● وكتب الاستاذ عبد السلام البساسى الامين العام لنادى مكة الثقافى مقالات ثلاثا بجريدة **(عكاظ)** عرض فيها بعض فصول الكتاب وعددا من فقراته — جاء فيها قوله :

لقد تصفحت الكتاب من شاطئه الأول الى شاطئه الأخير . فألفيته الكتاب الأول من نوعه ، بحيث يضم طائفة من الأفكار والآراء السديدة حول المرأة وطبيعتها ووظيفتها ، وما خلقت له ، وما خلق لها .. وسرعان ما تعمقت فى القراءة وادركت الكثير مما لم يكن يدور فى خلدى حتى احسست احساسا طبيعيا اننا اشرفنا على فتح جديد فى أدب الدين والدنيا وحسبنا أن المؤلف الفاضل يقول فى أول صفحة من المقدمة وهو فى سياق الحديث عن الكتاب : (كتبت فصله الأول .. عن طبيعة المرأة ووظيفتها ، وتخلل الكلام فى هذا الفصل ذكر تجارب الامم من غيرنا فى اخراج المرأة عن طبيعتها التى فطرها الخالق تبارك وتعالى عليها ، وصرفها عن وظيفتها الأساسية التى خلقت لها ، وهى تمتاز عن الرجل بالقدرة والكيفية لادائها كاملة وافية) .

وان هذه الجملة التى لم تتجاوز بضع سطور من الكتاب تكفى للدلالة على عمق الكتاب وما يحويه من افكار وآراء حول المرأة مع ذكر تجارب الامم من غيرنا على حد تعبير المؤلف .

ثم وقبل ان يختتم المقدمة بهذه الجوانب المشرقة المشوقة يذكرنا بما نحن فى أمس الحاجة اليه فيقول : (ان الكتاب نذير عاجل صارخ للفتاة السعودية أن تعود الى قواعدها سالمة ، بعد أن بدا تيار التحلل والتفسخ يجرفها الى الهاوية ويخرجها عن طبيعتها ووظيفتها وينزع عنها تقاليدها الوطنية .. تقاليد المحافظة والاحتشام والحياء) .

ونحن امام هذا الشعور الاسلامى المتدفق من نفس المؤلف الفاضل الذى وهب موهبة الاحساس والعقيدة الاسلامية التى انفرد بها من بين حشود من اقرانه الادباء والكتاب لا يسعنا الا ان نقول : حيهلا بهذه الروح الاسلامية الطموحة .. ومرحى ثم مرحى لهذه النفس الكريمة المتوثبة للخير والصلاح الشامل .. ولعمرى .. والحق اقول : ان هذا هو الأدب .. هو الشعور والاحساس بالمبادىء والمثل والاهداف السامية والادراك الحقيقى لكل مقومات

الحياة الفكرية والاجتماعية وهى تبدو واضحة جلية فى روح احمد جمال .. ونفس أحمد جمال .. وحياة أحمد جمال المليئة بكل كنوز المعرفة ، وذخائر الفكر .

* * *

والذى اريد ان اقوله عن الكتاب «مكانك تحمدى» هو ان هذا الكتاب الثمين قد وضعه المؤلف الفاضل خصيصا للمرأة العربية المسلمة وخاصة الفتاة السعودية الناشئة .. فهو يعتبر الكتاب الوحيد الاول الذى يصلح للفتيات حيث يجدن فيه ضالتهن ومعارفهن وأفكارهن ، وكل ما يهدفن اليه فى حياة المعرفة والفكر والشعور .. ومن اجل ذلك فانى ارجو والح على اولياء امور الطالبات وفى المملكة العربية السعودية على الاخص ان يقتنوا هذا الكتاب الذى يعد فى الواقع دستورا لحياة فتياتهم ..

* * *

ان المؤلف الفاضل كاتب ضليع .. وحكيم الى أبعد حدود الحكمة والمعرفة والفهم والادراك .. كذلك فهو كثيرا مايصيب كبد الحقيقة ، ويحاول جاهدا مخلصا ان يقرع الحجة بالحجة ، ويدحض اقوال المرجفين الخارجين على نظام الطبيعة بكل ما يملك من افكار وآراء وادلة تقوم مقام الفرض والقانون .. وهو على هذا الاساس من العقيدة واليقين يتبسط فى البحث والتفكير والمقارنة باسلوب العالم الجليل المصلح ، ورأى الاديب الفنان المبدع ، ليغتصب اعجاب الناس وتقديرهم لعلمه وأدبه ونقده وتوجيهه وارشاده بجنوحهم الى الحق دون اية غضاضة او اشمئزاز ..

ثم اذا اراد ان يقارن بين الخارجين الذين يرون ان تكون المرأة رجلا باسم المساواة بين الجنسين .. وبين من يريدها تبقى كما هى فى طبيعتهاالاصلية استنادا الى الادلة الاسلامية الصادقة والقواعد المألوفة فى ديننا الحنيف استطاع بلباقته ومعارفه

الزاخرة ان ينقل طرفا من دلائل الخارجين وآرائهم ومعتقداتهم .. ثم يدحضها بالادلة الصارخة التى اثبتها الدين الاسلامى والتقاليد الاسلامية ..

* * *

ومن اروع ما تحدث به عن المرأة قوله: (المرأة — كالرجل — ميزتها الخلق لا العلم ،بل الخلق الحسن فى المرأة مرغوب فيه أكثر منه فى الرجل، ذلك أنها موطن العفة والشرف ، والكرامة بالنسبة للزوج والاولاد ، بل انها كما يطلق عليها فى بلادنا (عرض الرجل) يحمد به أو يذم ، وليس الرجل عرض المرأة تحمد به أو تذم !).

وينهى المؤلف بحثه بالتعليق والتفسير للتشبيه الحكيم الذى شبه به نبينا عليه السلام النساء بالقوارير ودعوته للرفق بهن فيقول :

(رفقا بالقوارير : دعوة للرجال بالعطف واللطف معهن ..

رفقا بالقوارير : تنبيها لهم الى الحرص عليهن من الكسر والخدش ..

ورفقا بالقوارير : زجرا عن اهمالهن بدون تربية فاضلة ، وتأديب حسن ..

ورفقا بالقوارير : نهيا عن القائهن فى تيارات الفتنة ومجتمعات الرجال ، وهن ذوات القلوب الهواء ، فيغرهن الثناء .)

عبد السلام الساسى

(عكاظ ١/١١/١٣٨٤ هـ)

● وكتب الاديب الكبير الاستاذ محمد حسن عواد عن (كرائم النساء) فى جريدة (البلاد) مقالا قيما جاء فيه قوله :

الاخ (أحمد محمد جمال) غنى عن التعريف ، فهو من أوضح كتابنا ، لا مسلكا وعشرة فحسب ، ولكن كتابة ورأيا ، ومذهبا،كذلك .. يدل على هذا ما يجيل فيه قلمه من موضوعات اجتماعية محكومة

بتعاليم الدين الاسلامي الحنيف يشقها كما يفعل رجـال الدعـوة الاسلامية .

وله فى هذا المجال كتب مؤلفة طبعت من سنوات ، واعاد طبعها الآن ، منها كتاب (على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب) وكتاب (محاضرات فى الثقافة الاسلامية) وكتاب (مكانك تحمدى) .

وهنا كتيب باسم (كرائم النساء) اخرجته المكتبة الصغيرة فى الرياض تحت رقم ١١ فى مجلدها الثانى ، وهو يحوى تراجم خفيفة لست عشرة امراة بينهن سبع من اسرة النبى صلى الله عليه وسلم : زوجات ، وبنات ، وأم له عليه الصلاة والسلام ، أما التسع الأخريات ففيهن ثلاث من عصور غير العصر الاسلامى الأول ، احداهن عاشت قبل الميلاد ، وباقى العدد كلهن صحابيات ،والمجموعة كلها من أفراد مؤمنات مسلمات لا يخرجن على شرط المؤلف فى تأليفه ، ذلك الشرط غير المنصوص على مشروطيته ، ولكنه قد اشار اليه اشارة عابرة فى الجملة لتى اثبتها تحت عنوان الكتيب ، وهى ان مترجماته فيه يشكلن (أمثلة من أمجاد الامومة البرة والانوثة الثرة ، فى حضارة الأسلام، وتاريخ المسلمين) .. والسجعة هنا لا اظنها مقصودة من حيث أن اسلوب الاستاذ (احمد جمال) اسلوب (ترسلى حـر) والنسـاء المختارات فى هذا الكتيب كلهن عظيمات .

ولولا انه راعى فى التأليف حجم الكتيب الذى يجب أن يطابق احجام كل ما تخرجه المكتبة الصغيرة لتمنيت أن يطيل فى ترجمة (امة العزيزة) (زبيدة بنت جعفر) وان يلقى الظلال الصادقة على أعمالها، بل عملها الواحد العظيم الخالد ، اعنى اخصاب وارواء الصحراء والقرى والمدن من بغداد الى مكة وما حولها على امتداد الوف الاميال حيث أوجدت هناك المصانع ، والاحواض ، والابار والعيون ، وشيدت حولها المساكن والمآوى العامة ، العمل الذى بقى مفعوله ساريا حتى الآن منذ اثنى عشر قرنا هجريا .

ان (زبيدة) ــ صاحبة عيون الماء المعروفة باسمها الى الآن ــ امراة لا تنسى،ولا يختصر الطريق الى معرفتها ونشر اثارهاالانسانية والاجتماعية والعمرانية فى الحضارة الاسلامية .

ان حبى لأحمد جمال هو الذى ابرز مقالتى فى هذه الصورة من الاندفاع ، وهو اندفاع اليه ، لا عليه ، كما يحس ويرى .

ان حاجة النشىء — ذكورا واناثا — الى الالتصــاق بالتراث المشرف تتمثل فى دراسة البطولات من الانواع البطولية التى مارستها سيدة الامهات والزوجة المثلى ، وخادمة بيتها ، والزوجة المعلمة ، وحارسة القرآن ، والام الباسلة ، والمهاجرة الأولى ، وفادية زوجها ، وذات الهجرتين ، والناقمة التائبة ، وأم الشهداء ، وخالدة الذكر ، والفارس الملثم ، والحاكمة الحازمة .

وليس لهذا النشىء حاجة بدراسة امراة زاهدة بل ان به حاجة شديدة — لكى يعيش روح الاسلام الحقيقى — ان يبتعد عن قراءة السلبيات .

والمناسبة فانى أضيف الى تحيتى السابقة للصديق أحمــد جمال لاقدامه على نشر هذا النوع من الثقافة الاسلامية عبر هــذا الكتيب وامثاله — تحية أخرى لجمال الكلمات التى اطلقها عناوين على تراجم هؤلاء المترجمات .

محمد حسن عواد

جريدة (البلاد) ١٣٩٥/٥/٧

* * *

● **السيدة لطفية عبد الحميد الخطيب — المشرفة الاداريــة والموجهة الاجتماعية فى ادارة تعليم البنات** — بعثت برسالة الى المؤلف تتحدث فيها عن ضرورة مكافحة الغزو الفكرى والعقائدى فى محيط المرأة السعودية .. وضرورة التعاون بين الآباء والامهات من ناحية وبين المدرسة من أجل تربية الابناء والبنات تربية اسلامية صحيحة — ومما قالته :

حضرة الداعية الاسلامى الاستاذ أحمد محمد جمال — حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد .. فقد قرات كتابكم **(مكانك تحمدى)** ومحاضراتكم : **(رفقا بالقوارير — والاسلام اولا —**

والمجتمع العربى كما ينبغى أن يكون) التى هدفها جميعـــا ايضاح الأسس الاسلامية التى يجب مراعاتها لصيانة المجتمع السعودى فى فترة تطوره من هذه التيارات الفكرية والعقائدية الخطيرة ..وأهمها زعزعة العقيدة .. وفتنة النساء التى سبق أن حذرنا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : **(أتقوا الدنيا ، واتقوا النساء فان أول وثنة بنى اسرائيل كانت فى النساء)** .

وقد شكرت الله على حسن توفيقكم فى ابداء وجهة نظركم قوية صريحة من اجل اصلاح المجتمع) .

لطفية الخطيب

١٣٨٥/٢/١هـ

* * *

● **الاستاذ على العميد سكرتير تحرير جريدة (البلاد) كتب يوم ١٣٩٤/٢/١٦ يقول :**

يمتاز الاستاذ احمد محمد جمال بغزارة وتنوع انتاجه ، ووفرة اهتماماته وخاصة فى مجال الفكر الاسلامى !

ولذلك لم افاجأ بصدور كتاب جديد له ضمن سلسلة المكتبـة الصغيرة لصاحبها الاستاذ عبد العزيز الرفاعى ، لاننى أعرف مـدى نشاط الاستاذ احمد جمال فى مجال التأليف على الرغم من مشاغله الجمة .

وهذا الكتاب الجديد ، وهو بعنوان **(كرائم النســاء)** يعتبر مكملا بشكل أو بآخر لكتابه السابق **(مكانك تحمدى)** يجتمعـــان فى الهدف ويختلفان فى الأسلوب .

الكتاب السابق تناول أوضاع المراة السعودية ، ووجه اليهـا النصح والارشاد بشكل مباشر ، وأسلوب تقريرى واضح .

أما هذا الكتاب فهو يضرب المثل ويحدد القــدوة حيث عرض الاستاذ نماذج نسائية رفيعة تصلح لأن تكون مثالا يحتذى ، فكأنه يقول للمراة السعودية بشكل غير مباشر ، هؤلاء بعض من امهاتك ،

وهذه النماذج الرفيعة نما وجدت فى ظلال الاسلام لأن مكانة المرأة فى الاسلام كبيرة جداً .

تحية للاستاذ احمد جمال على هذه الجهود المباركة النافعة ؛ وتحية للاستاذ عبد العزيز الرفاعى صاحب المكتبة الصغيرة على هذه الهدية القيمة !

* * *

● **وكتب الاستاذ عمر عبد الجبار — رحمه الله — من رجال التربية والتعليم الكبار ، ومؤسس مدارس الزهراء لتعليم البنات يقول :**

« قرأت باهتمام وشغف (مكانك تحمدى) ، وتتبعت فى نهم دفاعك عن المرأة وحملتك الشعواء على السفوريين ، وتفنيد تبجحهم ونقض مزاعمهم ..

وكم كنت أتمنى أن تقارن بين امرأة الجيل الماضى القريب وبين امرأة هذا الجيل فى مختلف ديار المسلمين .. ليرى السفوريون دعاة الاباحة الى اى مدى تدهورت الأخلاق وتفسخت الآداب،لقد كانت نساء جميع طبقات العهد الماضى لا يخرجن من بيوتهن لزيارة أهليهن أو لطواف الافاضة الا محجبات مقنعات ، وكانت المرأة تتغلف فى الملاءة التى ترد من جاوا (اندونيسيا) وتضع على وجهها برقعا أبيض ويرسل من فوق الجبين الى غاية الصدر فوق الملاءة لا يظهر منها الا عيناها من خلال البرقع وأطراف البنان فى قبضتها على مصراعى الملاءة ، وكان نساء الترك يلبسن الحبرة السوداء ويسترن وجوههن بقناع أسود لا يشف عما تحته ولم يعرف فى ذلك العهد التضمخ بالعطر و لتجمل بالمساحيق وملونات الأظافر والشفاه سوى الحناء وكانت تستعمل لحضور حفلات الأعراس .

وكان الافراط فى الزينة معيبا تكرهه السيدات ويتخذن مستعملته موضع حديثهن فيشرحنها بألسنتهن وأقاويلهن اللاذعة فى مجتمعاتهن لا سيما اذا كانت ليست ذات بعل ، وربما أقفل الأشراف فى وجهها بيوتهن خشية التهمة والعار .

وكانت المرأة تلازم بيتها فتقوم بتدبيره وادارته ،وتربيةأولادها والتفانى فى خدمة زوجها وطاعته والسهر على سعادته ليتفرغ لأداء واجبه نحو أسرته دون أن ترهقه بنفقة ملابس أو طعام أو خادم ما دام فى استطاعتها بناء أسرتها وتقوية أركانهـــا والذب عن حياضهـــا والتعاطف بين أعضائها .

* * *

وأخيرا أشكر لك جهادك فى الدفاع عن لدين ورد شبهـــات المفترين والدعوة الى الحجاب صيانة للاخلاق وحرصـــا على شرف المرأة ومكانة أسرتها ، فسر فى طريقك معالجا للقلوب ، مزيلا أدران الشك والالحاد من العقول ، داعيا للحق فان الله ناصرك ما دمت قوى العقيدة ، صادق الايمان ، طاهر القلب ، سليم الطوية ، واذا لم يقدر لك جيل وطنك غيرتك الدينية وحماستك الاسلامية ، فان التاريخ سيخلد لك كل كلمة سطرها قلمك الجرىء المخلص النزيـــه العف الأمين .

وثق أن الرجال المخلصين فى المملكة السعودية وفى كل بلـــد

اسلامى يصفقون اعجابا لما تذيع وتكتب فى الصحف والمجلات ، وقد تلقيت عدة رسائل من رجـــال الدين والتعليم كلهـــا تفيض ثناء على مواقفك المشكورة ودفاعك المجيد عن بيضة الاسلام وتطلب فى الحاح مؤلفاتك (على مائدة القرآن) فأعد طبعها ونشرها ، وكفاك بهـــذا سمعة وفخرا ، وتخليد ذكر ، وطيب أثر » .

عمر عبد الجبار

عن مجلة (الحج)

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٦/٤٧١١

مطبعة أطلس ــ ١١ ، ١٣ ش سوق التوفيقية ــ القاهرة



مؤلف هذا الكتاب :

الأستاذ « أحمد محمد جمال » هو :

- عضو مجلس الشورى .
- أستاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز .
- عضو اتحاد المنظمات الاسلامية العالمية .
- عضو اللجنة الثقافية برابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة .

مؤلفاته :

١ – على مائدة القرآن : دين ودولة – الطبعة الثانية .
٢ – على مائدة القرآن : مع المفسرين والكتاب – الطبعة الثانية .
٣ – محاضرات فى الثقافة الاسلامية – الطبعة الثانية .
٤ – مفتريات على الاسلام – الطبعة الثانية .
٥ – كرائم النساء : نماذج اسلامية رائعة .
٦ – استعمار وكفاح – أبحاث سياسية وتاريخية .
٧ – نحو سياسة عربية صريحة – أبحاث سياسية وتاريخية .
٨ – الطلائع – ديوان شعر .
٩ – سعد قال لى – قصص اجتماعية .
١٠ – ماذا فى الحجاز – تراجم ونماذج أدبية .
١١ – مجتمعنا كما ينبغى أن يكون .
١٢ – الاسلام أولا .
١٣ – رفقا بالقوارير .
١٤ – من كشمير الى فلسطين .
١٥ – مسئولية العلماء فى الاسلام .
١٦ – من أجل الشباب .

« أنور زعلوك »